الخشية

عناصر الموضوع

مفهوم الخشية ٨
الخشية في الاستعمال القرآني ٩
الألفاظ ذات الصلة ١٠
أنواع الخشية ١٢
أسباب الخشية ٢١
الموصوفون بالخشية في القرآن ٢٧
آثار الخشية ٣١

مفهوم الخشية

أولاً: المعنى اللغوي:

[illegible] والخشية: الخوف، [illegible][1].

والخشية [illegible][2].

[illegible] {فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا} (الكهف: ٨٠) أي: فعلمنا[3].

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

الخشية هي [illegible][4].

وقيل هي: خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه.

[illegible] {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (فاطر: ٢٨)[5].

فالمعنيان اللغوي والاصطلاحي متوافقان، إذ كلاهما يدور حول الخوف إلا أن المعنى الاصطلاحي خص بالخوف من الله.

---

(١) انظر: العين، الفراهيدي [illegible]، تهذيب اللغة، الأزهري [illegible]، مقاييس اللغة، ابن فارس [illegible]، مختار الصحاح، الرازي ص[illegible].

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) المفردات، الراغب الأصفهاني [illegible]

الخشية في الاستعمال القرآني

وردت مادة (خشي) في القرآن الكريم (٤٨) مرة[1].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	٦	﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة:٨)
الفعل المضارع	٢٩	﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة:١٣)
فعل الأمر	٥	﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ (المائدة:٣)
المصدر	٨	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ (الإسراء:٣١)

وجاءت الخشية في القرآن بمعناها اللغوي وهو: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خص العلماء بها[2].

---

[1] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، ص ٢٩٣-٢٩٤.

[2] انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٢٨٣، عمدة الحفاظ، السمين الحلبي ١/٥٠٦، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٢/٥٤٤.

الألفاظ ذات الصلة

١ الخوف:

الخوف لغة:

الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع(١).

الخوف اصطلاحًا:

قال الراغب: «الخوف: توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، ويضاده الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية»(٢).

ويقول الجرجاني: «الخوف توقع حلول مكروه أو فوات محبوب»(٣)، وقيل: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف، وقيل: فزع القلب من مكروه يناله أو من محبوب يفوته(٤).

الصلة بين الخشية والخوف:

الخشية أشد من الخوف؛ لأنها مأخوذة من قولهم: شجرة خشية، أي: يابسة، وهو فوات بالكلية، والخوف النقص، ولذلك خصت الخشية بالله، والخشية تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قويًا، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمرًا يسيرًا(٥).

٢ الوجل:

الوجل لغة:

الوجل: خلاف الطمأنينة، وجل الرجل يوجل وجلًا، إذا قلق ولم يطمئن(٦).

الوجل اصطلاحًا:

الوجل: استشعار الخوف من حاجز في الظاهر وليس له أمارة(٧)، كذلك نجدها في كتاب الله تعالى تستعمل في سياق أخص من الخوف، وهو حالة نفسية تعترض النفس عند

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٢/٢٣٠.
(٢) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٠٣.
(٣) التعريفات للجرجاني ص ١٠١.
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]
(٦) [illegible]
(٧) [illegible]

يخافه في ما(١).

الصلة بين الخشية والوجل:

قال السعدي رحمه الله: «الخوف والخشية، والخضوع، والإخبات، والوجل معانيها متقاربة، فالخوف يمنع العبد من محارم الله، وتشاركه الخشية في ذلك، وتزيد أن خوفه مقرون بمعرفة الله، وأما الخضوع، والإخبات والوجل، فإنها تنشأ عن الخوف والخشية، فيخضع العبد لله ويخبت إلى ربه منيباً إليه بقلبه ويحدث له الوجل»(٢).

الشفقة

الشفقة لغةً:

الشفقة من الأمر: إذا رقّت وحاذرت(٣)، وهي صرف الهمة إلى إزالة المكروه عن الناس(٤)، فقيل: الشفق والشفقة الاسم من الإشفاق، والشفق: الخيفة(٥).

الشفقة اصطلاحاً:

الشفقة هي ضرب من الرقة وضعف القلب ينال الإنسان وهي حالة مخالطة بالخوف(٦).

«الإشفاق رقة الخوف، وهو خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه، فنسبته إلى الخوف نسبة الرأفة إلى الرحمة، فإنها ألطف الرحمة وأرقها»(٧).

الصلة بين الخشية والشفقة:

إن الشفقة ضرب من الرقة وضعف القلب ينال الإنسان ومن ثم يقال للأم إنها تشفق على ولدها أي: ترق له، وليست هي من الخشية والخوف في شيء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧]

ولو كانت الخشية هي الشفقة لما حسن أن يقول ذلك، كما لا يحسن أن يقول يخشون من خشية ربهم(٨).

---

(١) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني ص٢٢٩، بتصرف.

(٢) تيسير اللطيف المنان ١/ ٢١٢.

(٣) الصحاح، الجوهري ٤/ ١٥٠١.

(٤) انظر: التعريفات، الجرجاني ص١٢٧.

(٥) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٠/ ١٨٠.

(٦) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ١/ ٥١٣.

(٧) مدارج السالكين، ابن القيم ١/ ٥١٣.

(٨) الفروق اللغوية، العسكري ١/ ٢٤١.

الرهبة

الرهبة لغة:

رهب: خاف (رَهْبًا) و(رُهْبًا) و(رَهْبَةً) و(رَهَبُوتًا) بالتحريك، وفي المثل: (رَهَبُوتٌ خيرٌ من رَحَمُوتٍ) أي: لأن تُرهب خيرٌ من أن تُرحم[1].

الرهبة اصطلاحًا:

الرهبة هي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي مخافة مع تحرز واضطراب، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه[2].

الفرق بين الخشية والرهبة:

الرهبة خوف وانزعاج من مكروه، والخشية خوف وسكينة في محل الأمن، مقرون بمعرفة[3].

---

[1] مختار الصحاح، الرازي (ص ١٣٠).

[2] انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (١/٣٦٦)، مدارج السالكين، ابن القيم (١/٥٠٨).

[3] انظر: مدارج السالكين، ابن القيم (١/٥٠٨).

أنواع الخشية

تنقسم الخشية إلى أنواع، منها فطرية خارج التكاليف يولد بها الإنسان، مثل: الخوف من الوحوش، ومن المرض والمجهول، ومنها الخشية المحمودة التي تكون من الله فتمنع صاحبها من الوقوع في المعاصي، أما الخشية المذمومة التي تكون من الناس فتجعل صاحبها يقع في المحظور [illegible] من [illegible] إلا الله تعالى [illegible] الخشية من [illegible] الفقر، ومن الأعداء ومن المخلوقين، وهذه الخشية مذمومة تودي بصاحبها [illegible] لسخط الله وعدم توفيقه له ويكون في الدنيا والآخرة من الهالكين الخاسرين إلا أن يتوب.

الخشية الفطرية:

الخشية الفطرية: تكون [illegible] في الإنسان أن يتخوف أن [illegible] من مكان مرتفع، أو الخشية من [illegible] أو من الزلازل والبراكين، أو الخشية من غضب الوالد، أو [illegible] فهذا أمر طبيعي لا يلام عليه الإنسان؛ لأنه خارج التكاليف، فالخشية من الصفات الفطرية [illegible] في القلب، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الخشية الفطرية في نفس يعقوب عليه السلام.

ومن الآيات التي تدل على الخشية الفطرية:

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [يوسف: ١٣].

ذكر ابن كثير: [illegible]"[1]. [illegible]

[illegible]"[2].

[illegible]"[3].

[illegible]"[4].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

---

[1] تفسير القرآن العظيم [illegible]

[2] الجامع لأحكام القرآن القرطبي [illegible]

[3] [illegible]

[4] زهرة التفاسير [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [يوسف: ٦٧]

[illegible] خاف من العين عليهم [illegible]

[illegible] لا تدخلوا من باب واحد ولكن ادخلوا من أبواب متفرقة [illegible] بكم مكروه[illegible]

أراد أن يأخذ بالأسباب، فطلب منهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ذكر ما يعتقده [illegible]

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible]

وقوع الناس في المعصية [illegible] الأمر [illegible] على سنن الصالحين [illegible] عليهم[1].

وذكر [illegible] المرضعة [illegible] القلب [illegible] رب العالمين[2].

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible] لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾ (القصص: [illegible])

[illegible] أم موسى عليه السلام [illegible] موسى عليه السلام

[illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (القصص: [illegible])

[illegible]

[illegible] الله [illegible]

[illegible]

---

[1] انظر: [illegible]

[2] انظر: [illegible]

[3] انظر: [illegible]

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن [illegible]

عاجزة مسكينة، هنا تحصل به الخشية فتصل بالأم الرحمة [illegible] المذكورة وتلقي في روعها [illegible] بالعرش [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ مشهد الأمم الغابرة [illegible] الجبابرة [illegible] على القلب [illegible] المحرور [illegible](١).

ثانيًا: الخشية المحمودة:

إن القلوب لا تحيا إلا بقربها من الله تعالى والخشية منه، [illegible] الخشية [illegible] الإنسان عن المعاصي، [illegible] من النار والفوز بالنعيم والراحة في الدنيا والآخرة، [illegible] أنواع الخشية المحمودة:

١- الخشية من الله تعالى.

الخشية من الله أعلى مراتب الإيمان، [illegible] الإنسان يبلغ مرتبة الإحسان حين يعبد الله كأنه يراه [illegible] الله [illegible] خشية [illegible] القلب [illegible] الإنسان الله [illegible] في السر والعلن، وفي الغيب والشهادة.

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

﴿ [illegible] ﴾ [الملك: ١٢].

فالإيمان [illegible] الخشية لله في الغيب والشهادة [illegible] أن العبد يخشى الله سرًا وعلانية، [illegible] الناس [illegible] يخشى الله في الخلوة وفي الشهادة [illegible] الله في الغيب [illegible] الناس [illegible] الله من [illegible] بالغيب(١).

٢- خشية العقاب الدنيوي والأخروي.

الخشية من الله تعالى تجعل الإنسان دائم الذكر لله تعالى، مبتعدًا عن ارتكاب المعاصي والمحرمات، حريصًا على عمل الخير، مبادرًا في الأعمال الصالحة، مسرعًا في التوبة والرجوع إلى الله تعالى، خشيةً من العقاب [illegible] من النار [illegible] في العذاب [illegible] لا [illegible] الله تعالى [illegible] الدنيا [illegible] لا [illegible] العبادات والأعمال الصالحة التي ترضي الله [illegible] ويدخلهم [illegible] الجنة.

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

﴿ [illegible] ﴾ [الرعد: ٢١].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

(١) الخشوع في الصلاة، لابن رجب [illegible].

[illegible] فيه [illegible](١).

٣. الخشية من الوقوع في الفاحشة.

يجوز للمسلم أن [illegible] بشرط [illegible] [illegible] الفاحشة [illegible] على نفسه الوقوع في الفاحشة.

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا [illegible] ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال [illegible]: ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ أي: الإثم في [illegible](٢).

﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ أي: لمن خاف وقوعه في الإثم الذي تؤدي إليه غلبة الشهوة، وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر يعتري الإنسان، ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم بارتكاب أفحش القبائح [illegible]

[illegible] إذا [illegible] يخشى أن [illegible] [illegible](٣).

٤. الخشية من التقصير في الاستمرار إلى الحق.

[illegible] الخشية من قلب الإنسان [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible] مُّسْتَقِيمٍ﴾

﴿[illegible]﴾ أي: ما [illegible] ﴿[illegible] مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي [illegible](٤).

٥. الخشية من سمة الذرية الضعيفة.

[illegible]

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

---

(١) إرشاد العقل السليم أبو السعود [illegible].

(٢) تفسير السعدي [illegible].

(٣) إرشاد العقل السليم أبو السعود [illegible].

(٤) الجامع لأحكام القرآن القرطبي [illegible].

[الكهف: ٨٠].

﴿فَخَشِينَا﴾ أي: [illegible] والخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه. [illegible]

﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١] [illegible]

وقال البيضاوي: [illegible]

٦. الخشية من الفقر والحرمان:

[illegible]

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

[illegible]

[illegible]

ثالثًا: الخشية المذمومة:

١. الخشية من الناس.

قال تعالى: [illegible]

[illegible]

وقال أبو حيان: [illegible]

قال تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

[illegible]

[illegible]

الخشية(١).

٢. الخشية من الأعداء.

قال تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٣].

ففي الآية إيماء إلى أن المؤمن يجب أن يكون أخشى الناس وأشجعهم همة ولا يخشى إلا الله(٢).

وقال أبو بكر الجزائري: «أتتركون قتالهم خشية منهم وخوفاً، إن كان هذا ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ لأن ما لدى الله تعالى من العذاب ليس لدى المشركين فالله أحق أن يخشى»(٣).

قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: ٣].

فإن الكافرين من المشركين ومن معهم قد يئسوا من أن يردوكم عن دينكم كما كان ذلك قبل فتح مكة وعودة ثقيف وهوازن في الإسلام وظهوركم عليهم في كل معركة دارت بينكم وبينهم؛ إذاً فلا تخشوهم بعد الآن أن يتمكنوا من قهركم وردكم إلى الكفر واخشوني أن تخالفوا أمري وذلك بالتخلي عن طاعتي

بسوء، وأوجع مخيفي، ولأجاهد بسيفي في الوغى حتى لا أتعرض للقتل بسبب عطائي، فإن أعطاني لأجل عطائي فلأجل أطمع فيه لأجل مصيبتي(١).

٣. الخشية من الفقر.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣١].

حيث كان أهل الجاهلية كانوا يقتلون أولادهم خشية الفاقة أن ينفقوا عليهم من الذهب والفضة، أو أن يكسبوهن لغير أكفاء لشدة الحاجة، وكذلك خاف التبديد فنهاهم الله عن قتلهن، وقال: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾، يعني: أن الأرزاق بيد الله تعالى إنما هو فتح أبواب الرزق على الرجال فكذلك يفتح على النساء(٢). قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٠].

(أي): لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفقر(٣).

على الإنسان أن يتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب فهو الرزاق لا أحد سواه سبحانه.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٢/ ٢٨.

(٢) تفسير المراغي، ١٠/ ٨٥.

(٣) أيسر التفاسير، ١/ ٤٦٥.

(١) أيسر التفاسير، ١/ ٤٦١.

(٢) لباب التأويل، الخازن، ٣/ ١٢٩.

(٣) معالم التنزيل، البغوي، ٥/ ١٢٢.

٤. الخشية من المخالفين.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (النساء: ٧٧).

فنزلت في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانوا بمكة [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

أجلنا ﴿[illegible]﴾ وهو الموت [illegible]

٥. الخشية من كيد الفجار.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (المائدة: ٣).

﴿[illegible]﴾ [illegible]

ومعنى قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

﴿[illegible]﴾ من الهجرة [illegible] حتى فتح مكة، فسقط فرض الهجرة [illegible][1].

٦. الخشية على الأولاد بعد موت العاقل.

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝﴾ [النساء: ٩].

أمر الأوصياء بخشية الله تعالى [illegible] في أمر اليتامى [illegible] بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم أو للحاضرين المريض عند الإيصاء [illegible] على أولاد المريض [illegible] عليهم [illegible] على أولادهم فلا [illegible] المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين [illegible] أنهم لو كانوا أولادهم [illegible] خلفهم ضعافًا [illegible] للموصين [illegible] للورثة فلا [illegible][2]. [illegible] على ورثتهم[3].

أسباب الخشية

للخشية أسباب عدة تختلف باختلاف نوع الخشية، ويمكن إيجاز ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: أسباب الخشية المحمودة:

١. تعظيم الله تعالى.

الخشية من الله تكون نتيجة لتعظيم الله سبحانه وتعالى، [illegible] تكون خشيته نابعة من تعظيمه لله عز وجل.

قال تعالى: ﴿[illegible] إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝﴾ [فاطر: ٢٨].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [illegible][1].

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ [illegible] ۝﴾ [الزمر: ٢٣].

[illegible]

---

[1] زاد المسير، ابن الجوزي [illegible].

[2] أنوار التنزيل، البيضاوي [illegible].

[3] [illegible].

[1] أنوار التنزيل، البيضاوي [illegible].

ما بعد عليه من تعظيم الله، بالخشية على العلم أن لا إله إلا أنه لا بد وأن تكون الخشية من الله عز وجل، والشرف منه مستويان لم تكن له الخشية من عظمة الهيبة والجلال والسلطان[1].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ﴾ خشية جلال وهيبة ورهبة لا يتصوره فيها أمر ما[2].

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٩] أي: من ذلك وعظمته[3].

٢. العلم:

لقد مدح الله العلماء وخصهم بخشيته، بأنهم هم العارفون بالله تعالى، بأسمائه وصفاته وأفعاله.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

إنما يخافه سبحانه بالغيب العالمون به وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة، قال مجاهد: إنما العالم من خشي الله عز وجل.

وقال مسروق: كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار جهلاً، فمن كان أخشى لله كان أعلم به.

قال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم.

وقال الشعبي: العالم من خاف الله[1].

وقال ابن عباس في تفسير الآية: كفى بالزهد علماً، وقال ابن مسعود: كفى بخشية الله علماً، وبالاغترار جهلاً، وفي الحكم: من علم ما كانت الخشية منه، وقال في الفرق: اعلم أن العلم حيثما ذكر في الكتاب والسنة فإنما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية، وتكتنفه المخافة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ بيّن سبحانه أن الخشية تلازم العلم، وأنهم من هذه الخشية هم أهل الخشية[2].

٣. النجاة من العذاب في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

ويخشون ربهم: يخافونه خوف مهابة، ويخافون سوء الحساب خصوصاً، فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا[3].

وقال سيد قطب: فهي خشية الله ومخافة العذاب الذي يسوء في يوم الحساب، الرهيب، وهم أولو الألباب الذين يتدبرون الحساب قبل يوم الحساب[4].

---

[1] انظر: اللباب في علوم الكتاب (١١/ ٢٩٥).
[2] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢/ ٢٧).
[3] فتح القدير (١/ ٤٤١).

[1] انظر: المحرر الوجيز (١/ ٣٦١).
[2] تفسير المنار (١/ ٢٣٧).
[3] أنوار التنزيل (٣/ ١٨٣).
[4] في ظلال القرآن (٤/ ٢٠٥٠).

وقال أبو بكر الجزائري: (أي: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

٤. الرغبة في المغفرة والثواب.

الهدف الأسمى الذي يسعى إليه المسلمون هو نيل رضا الله سبحانه وتعالى والفوز بجنته، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فهو غفار الذنوب، والساتر للعيوب.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١]

معنى: ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: خاف عقابه وهو غائب عنه، أو خافه في سريرته ولم يغتر برحمته فإنه منتقم قهار كما أنه رحيم غفار(١).

البشر من الملك [illegible] بمغفرة واسعة وجنة عرضها السماوات والأرض، وأجر على ذلك كريم(٢).

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾: خاف عقابه قبل حلوله ومعاينة أهواله أو في سريرته ولا يغتر برحمته فإنه كما هو رحمن منتقم قهار. ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾(٣).

ثانيًا: أسباب الخشية المذمومة:

١. ضعف الإيمان.

ضعيف الإيمان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

---

(١) أيسر التفاسير [illegible].

(٢) المصدر السابق [illegible].

(١) انظر: إرشاد العقل السليم [illegible]، تفسير القرطبي [illegible].

(٢) انظر: تفسير الواضح، محمد [illegible] [illegible].

(٣) أنوار التنزيل [illegible].

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: ٧٧)

قال المراغي: الخطاب لجماعة المسلمين [illegible] أمرهم الله [illegible] الأيدي عن الاعتداء وإقامة الصلاة والخشوع لله وإيتاء الزكاة [illegible] في القلوب [illegible] من أنفسهم [illegible]

فلما جاء الإسلام [illegible] كتب عليهم القتال [illegible] وخافوا أن [illegible] الكفار [illegible] في هذا الوقت؟

[illegible] سيجدونه في الآخرة خيرا لهم [illegible] إلا من اتقى الله [illegible] الأسباب التي [illegible] والأخلاق الكريمة [illegible] ولا تظلمون فتيلا[1].

٢. محبة الحياة.

[illegible] في سبيل الله [illegible] فيجاهد [illegible] من الجهاد في سبيل الله [illegible] الأبصار [illegible]

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب: ١٦)

كان عبد الله بن أبي بن سلول [illegible] المسلمين [illegible] من الهجرة [illegible] عبد الله بن أبي بن سلول: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [illegible]

---

[1] انظر: تفسير المراغي [illegible]

الْفَاسِقِينَ ۝ ﴾ [التوبة: 24].

[illegible]

في الدنيا والعذاب في الآخرة[1].

قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ۝ ﴾ [التوبة: 44-46].

[illegible]

[illegible]

في الدين.

[illegible]

٣- حب الدنيا:

إن حب الدنيا وتقديمها على الآخرة من أعظم البلايا التي تصيب الأمة في دينها ودنياها [illegible]

قال تعالى: ﴿ [illegible] ۝ ﴾ [illegible].

[illegible]

قال تعالى: ﴿ [illegible] ۝ ﴾ [illegible].

[illegible]

---

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible].

[2] ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

[3] مفاتيح الغيب، الرازي [illegible].

والآخرة خير وأبقى، يعني: أن الدنيا فانية والآخرة باقية، والباقي خير من الفاني، والأعمى تؤثر الفاني على الباقي[1].

٤. النفاق.

قال الجرجاني: النفاق: إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب[2].

والنفاق كالكفر والشرك والفسق، على مراتب منه ما هو مخرج من الملة وهو النفاق الاعتقادي، ومنه ما ليس بمخرج من الملة وهو النفاق العملي.

قال ابن رجب: ومن أعظم خصال النفاق العملي: أن يعمل الإنسان عملاً ويظهر أنه قصد به الخير، وإنما عمله ليتوصل به إلى غرض له سيء فيتم له ذلك ويتوصل بهذه الخديعة إلى غرضه ويفرح بمكره وخداعه وحمد الناس له على ما أظهره ويتوصل به إلى غرضه السيء الذي أبطنه[3].

ومن صفاتهم: مظاهرة الأعداء على المسلمين.

قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩].

قال الطبري: إن الله تعالى يخاطب من نبيه أن يبشر المنافقين الذين يتخذون أهل الكفر بي أولياء من دون المسلمين بأن لهم عذابًا أليمًا، أيبتغون عندهم العزة يقول: أيطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بالله، فإن العزة لله جميعًا يقول: فإن الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاء العزة عندهم هم الأذلاء الأقلاء، فهلا اتخذوا الأولياء من المؤمنين، فيلتمسوا العزة والمنعة والنصرة من عند الله الذي له العزة والمنعة الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء[4].

ومن صفاتهم: التراخي فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من حث على الجهاد والفرح بالقعود مع الخوالف.

قال تعالى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١].

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الكريم من المنافقين، فالنفاق هو منبع بالمتعة في غزوة تبوك، أو الذين خلفهم الله وتخلفوا، أو الشيطان، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، سبب ذلك الشح بالأموال والأنفس، وعدم وجود باعث الإيمان، وخفي الإخلاص، ووجود الصارف عن ذلك، وهو ما هم فيه

---

[1] لباب التأويل، الخازن (٤/ ٤١٨).

[2] التعريفات ص٢٤٥.

[3] جامع العلوم والحكم (١/ ٤٩٥).

[4] جامع البيان (٩/ ٣١٩).

من الخوف: ﴿[illegible]﴾ أي: إلا المنذرين لأمر الهم [illegible] الخشية [illegible] والخاشعين [illegible] لأمر الله ورسوله، ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: ﴿[illegible]﴾(١).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الحديد: ١٦).

قال المفسرون: نزلت في المنافقين، ثم لهم في ذلك قولان أحدهما: أن اليهود والنصارى كانوا يسبون المنافقين ويقرعونهم [illegible] فأنزلت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [illegible] فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وممن قال نزلت في المنافقين، والآخرين: مقاتل وقتادة(٢).

الموصوفون بالخشية في القرآن

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أصناف الذين يخشونه، وأوصافهم منهم: الملائكة والأنبياء والعلماء والصالحون، حتى الجمادات تخشى الله عز وجل، فكل شيء يسبح بحمد الله عز وجل، الخاشع [illegible] ذلك الذين لا يخشون الله وهم: الكافرون والمشركون والمنافقون.

أولًا: الملائكة:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (الأنبياء: ٢٦-٢٨).

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ قال ابن عباس: يريد من الملائكة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي: من [illegible] ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾ [illegible] ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ [illegible] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ [illegible] ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ﴾ [illegible] ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون [illegible](١).

---

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني [illegible].

(٢) زاد المسير لابن الجوزي [illegible].

(١) انظر: الوسيط للواحدي ٣/ ٢٣٠.

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٥/ ١٥٥.

ثانيًا: الرسل والأنبياء:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

الله وصف الله عز وجل الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله [illegible] ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ [illegible]

[illegible]

ثالثًا: العلماء:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال مجاهد: إنما العالم من خشي الله عز وجل.

وقال مسروق: كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار جهلًا [illegible]

قال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم[1].

[illegible]

وقال ابن عباس: العلماء بالله الذين يخافونه.

وعن ابن مسعود قال: ليس العلم من كثرة الحديث، ولكن العلم من الخشية.

وعن [illegible] يحسب المؤمن من العلم أن يخشى الله[2].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible]

[illegible]

الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44] هذا خطاب للربانيين والأحبار، المرجع ألا يخافوا الناس في إنفاذ حكمه وإمضائه على ما في الكتاب وأن يخشوه في ذلك [illegible][1].

رابعًا: الصالحون:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 21].

هؤلاء أولو الألباب هم الذين يخافون ربهم فيما يأتون، وفيما يتركون من أعمالهم ويراقبون الله في السر والعلن، يخافون [illegible] يخافون سوء الحساب في الآخرة لأن عاقبة ذلك [illegible] في نيران جهنم[2]، والعياذ بالله.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 48-49].

[illegible] أوصاف المتقين [illegible] ذكر تعالى [illegible] الله تعالى في السر وفي العلن [illegible] يوم القيامة [illegible] وما يجري فيها من الحساب والسؤال قبل القيامة[3].

الصفة الأولى للمؤمنين: يخشون الله في حال الغيب والخلوة حيث لا يطلع عليهم أحد، ويخافون عقاب ربهم [illegible] في السر [illegible] من أعمال الإيمان وإرادته، والصفة الثانية للمؤمنين: الخوف الشديد من الساعة أي: القيامة والإشفاق على النفس من أهوالها وما يحصل فيها من الحساب والسؤال والإشفاق أشد الخشية[4].

خامسًا: العلماء:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 27-28].

الخشية [illegible] من العلم [illegible] ولا الخشية [illegible] فلا [illegible] الأخبار [illegible] الله تعالى [illegible] لا الكافر ولا [illegible] من أمر الله تعالى، [illegible] بسنة [illegible][5].

---

[1] [illegible] (2/ 320).

[2] التفسير الوسيط، د. الزحيلي (2/ 1122).

[3] التفسير المنير، د. الزحيلي (17/ 71).

[4] انظر: التفسير الوسيط، د. الزحيلي (2/ 1588).

[5] انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (4/ 254).

الجبل: المراد به حقيقة الجبلية على معنى أنه يخلق فيها الحياة والتمييز، وليس شرط عقل الحياة والتمييز في الجسم أن يكون على بنية مخصوصة عند أهل السنة[1].

وقال الخازن: ﴿مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: ... من أهل العقل إلى ... وخشيتها عبارة عن ... لأمر الله ... ما يرد عليه وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تنخشع ... الحجر ... يخشع ... يعلم ... الله تعالى ... ولكن ... يخشع ... لا يعلم ... لا يفقه ... ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿...﴾.

فيجب على المرء الإيمان به ... علمه إلى الله تعالى[2].

قال تعالى: ﴿...﴾

(الحشر: ٢١)

من شأن القرآن وعظمته أنه لو جعل في الجبل تمييز، وأنزل عليه القرآن لخشع، أي: لخضع وتطأطأ وتصدع، أي: لتشقق من خشية الله[3].

... القرآن ... القرآن ... من خشية الله ... القرآن[4].

والقرآن ... على جبل من الجبال ... في غاية الخشوع والخضوع ... الله ... عليها[5].

وقد جعل الله عز وجل القرآن ... يجب أن تخشع ... القلوب ... حقائق ... القرآن ... الله عز وجل ... لا تلين ... من خشيته؟ ... كلامه[6].

---

[1] حاشية الجمل على الجلالين (٤/ ١٠٣).

[2] لباب التأويل للخازن (٤/ ٢٨٣).

[3] حاشية القونوي على البيضاوي (١٩/ ٤٣٣).

[4] التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٨/ ١١٦).

[5] التفسير الوسيط (٩/ ٢٣٦١).

[6] انظر: تفسير المراغي (٢٨/ ٤٧).

آثار الخشية

الخشية المحمودة أكثر تحريك حملة الاقتناع بالتحرك الجد من الخلف، حيث تجد المسلم الحق يستغل كل طاقة في طاعة الله ويحرص على عدم إضاعة وقته [illegible] الانقطاع [illegible] لله تعالى، [illegible] سعيه [illegible] ويصبر [illegible] في سبيل الله، ويقوم بالدعوة إلى الحق لا يخشى في الله لومة لائم، بينما الخشية المذمومة من آثارها: [illegible] عن الإنتاج والفرار من [illegible] والحكم بغير الحق.

آثار الخشية المحمودة:

١. الانتفاع بالتذكرة.

قال تعالى: ﴿طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۞﴾ [طه: ١-٣].

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ أي: [illegible] من يخشى [illegible] ولا يتذكر [illegible][1]، [illegible] إلا الذي يخشى الله، [illegible][2].

قال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۞﴾ [الأعلى: ١٠].

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ يعني: سيتعظ بالقرآن من يخشى الله تعالى ويسلم [illegible] من عذاب الله تعالى[1]، [illegible] الله [illegible] إلا أن التذكرة [illegible][2].

٢. خشية الله وحده في تبليغ الحق.

فهؤلاء يبلغون الحق ولا تستهويهم سطوة أحد من تبليغ أمر الله، وكفى بالله حاسبًا وحسيبًا.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۞﴾ [الأحزاب: ٣٩].

فمدح [illegible] من الله وهم [illegible] لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم[3]، [illegible] الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله.

كما أثنى الله على الأنبياء بقوله: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ يعني: فرائض الله وسننه [illegible] إلى من أرسلوا إليهم ﴿وَيَخْشَوْنَهُ﴾ يعني: يخافونه ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ يعني: لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٧٠).

(٢) الكشف والبيان للثعلبي (٦/ ٢٤٢).

(١) تفسير السمرقندي (٣/ ٥٧٢).

(٢) الكشف والبيان للثعلبي (١٠/ ١٨٤).

(٣) انظر: الوسيط للواحدي (٣/ ٤٧٣).

ونرى عليهم ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ أي متذللين للأعمال خائفين منه[1].

٣. المبادرة إلى الطاعات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

أي يرغبون في الطاعات فيبادرونها[2] ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ أي [illegible] المتصفة [illegible] إلى فعل الطاعات والأمر [illegible][3].

إن المؤمنين بما هم عليه من العمل لله خائفون من عقابه يعملون ما عملوا من أعمال البر. قال الحسن: عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم[4].

الرجوع مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح، مشفقون من الله خائفون منه وجلون من مكر ربهم[5].

٤. التأثر بالقرآن

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله[1].

والمستحب من التالي للقرآن أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره، ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه[2].

وهذه نعت أولياء الله نعتهم الله تعالى: تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله تعالى[3].

والمعنى أنهم إذا سمعوا القرآن وقوارع آياته وعيد أصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم وإذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة ثم أصبح سالكًا منضبطًا إلى ذكر رحمة[4].

---

[1] [illegible]
[2] [illegible]
[3] [illegible]
[4] [illegible]
[5] [illegible]

[1] [illegible]
[2] [illegible]
[3] [illegible]
[4] [illegible]
[5] [illegible]

٥- المبادرة إلى الجهاد.

إذا وجدت أسباب القتال فلا خوف ولا خشية من العدو [illegible] إلا من الله وحده [illegible]

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

يقول الحق جل جلاله: ﴿الذين قال لهم الناس﴾ [illegible] ﴿إن الناس﴾ [illegible] ﴿جمعوا لكم﴾ [illegible] ﴿فزادهم إيمانا﴾ [illegible] ﴿حسبنا الله﴾ [illegible] ﴿ونعم الوكيل﴾ [illegible]

الإيمان، والتوكل، والمبادرة إلى الجهاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible](١).

لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد إلى المدينة [illegible] ﴿إن الناس قد جمعوا لكم﴾ [illegible] ﴿حسبنا الله﴾ [illegible] ﴿ونعم الوكيل﴾ [illegible](٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

[illegible] ﴿فلا تخافوهم﴾ [illegible](٣).

---

(١) انظر: البحر المديد [illegible]

(٢) التحرير والتنوير [illegible]

(٣) تيسير الكريم الرحمن [illegible]

غضبه، فإذا المؤمن لا يخشى إلا الله، ولا يخفى في أموره كلها إلا رضا الله، والخوف من غضبه وعقابه[1].

٦. البعد عن الفواحش.

الخشية هي التي تحول بين الإنسان وبين معصية الله، وتبعد صاحبها عن [illegible] [illegible].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٤٨-٤٩).

[illegible]

يخشون ربهم بالغيب، وهم الذين يؤمنون بالغيب[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الملك: ١٢).

أي: يخافونه وهم لا يرونه، [illegible] في غيبة من الناس فيطيعونه ولا يعصونه، [illegible] مغفرة لما فرط من الذنوب، وأجر كبير [illegible] الجنة[3].

إن الذين يخشون ربهم [illegible] ويحضرونه كأنهم يرونه مع أنهم لا يرونه [illegible] دلالة على قوة الإيمان، وعلى طهارة القلب وصفاء النفس[4].

٧. الفوز في الدنيا والآخرة.

الفوز برضا الله سبحانه وتعالى وجنته، والفوز بالجنة أمر من آثار الخشية.

قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (ق: ٣١-٣٥).

هذا من الثواب الذي وعدهم به على لسان الرسول، [illegible]

---

[1] انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة [illegible].

[2] أيسر التفاسير، الجزائري [illegible].

[3] التفسير [illegible].

[4] أيسر التفاسير، الجزائري [illegible].

القرب من الجنة للمتقين الخائفين من ربهم ويقربهم الله بالقرب منها إليه، بعد ما يبعدها لهم"(1).

قال أبو السعود: إشارة إلى قوم من خشيتهم عظيم رهبتهم وخشيتهم تعالى، ووصف القلب بالإنابة لما أنه العبرة في رجوعه إلى الله تعالى، أي يقال لهم: ادخلوها ملتبسين بسلام من العذاب وزوال النعم أو بسلام من جهة الله تعالى وملائكته"(2).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝﴾ [البينة: ٧-٨].

فهذه الخشية التي هي من خصائص العلماء بطريق الله عز وجل مقام لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية"(3).

نسأل الله أن يرزقنا من العلم ما يكون طريقاً لهذه الخشية التي تكون سبباً في التوفيق في الدنيا والآخرة والنصر على الأعداء والنجاة من النار والفوز برضا الله والجنة.

ثانياً: آثار الخشية المذمومة:

١- ترك الأمر بالمعروف

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ۝﴾ [المائدة: ٥١-٥٢].

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله، لأنهم إنما يتولون أولياءهم في النصر والنصرة ضد المسلمين، فهم إنما ينصرون الكفار على المسلمين، وأعلموا أن الله تعالى ينهى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله.

ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض الزهد ولا يرضون بهم، ومن يتولهم أن يكون معهم في الخطة، ليس من صفات المؤمنين الصادقين.

وهذا تغليظ من الله وتشديد على المنافقين الذين يصادقون مع اليهود والنصارى الحاقدين في الدين؛ لأن موالاتهم تستدعي الرضا بدينهم، وأن من يوالي هؤلاء في شؤون الدين والمنافقين الواجب محاربتهم بوجه لمن ظلم، لما فيه وضع الولاية في غير موضعها والله لا يهدي إلى

---

(1) انظر تفسير المراغي ٢٦/ ١٧٢.

(2) انظر إرشاد العقل السليم ٨/ ١٣٢.

(3) المصدر السابق ٩/ ١٨٧.

[illegible] الكفر.

وسبب ذلك أن هؤلاء المنافقين لأعداء الإسلام اليوم [illegible] [illegible] [illegible] الكافرين على المسلمين [illegible] [illegible] [illegible] المنافقين [illegible] [illegible] [illegible]

ويقول الخازن في معنى الآية: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] [illegible] [illegible] اليهود [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][1].

٢- الإمساك عن الإنفاق.

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

خطاب المؤمنين، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الرزق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][2].

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

قال الزجاج: [illegible] [illegible][3].

٣- الفرار من الزحف.

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

---

[1] انظر: تفسير الخازن [illegible]

[2] انظر: [illegible]

[3] انظر: [illegible]

[4] انظر: [illegible]

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]

[illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible] يتصف بصفة [illegible]

[illegible]

٤. كتمان الحق.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

والتعسير: أن علماء اليهود والنصارى

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي [illegible].

(٢) انظر: تفسير المراغي [illegible].

(٣) انظر: [illegible].

يعرفون أن القبلة التي صرفك إليها هي قبلة إبراهيم وقبلة الأنبياء قبلك كما يعرفون أبناءهم لا يشكون في ذلك. ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ﴾ أي: من علماء أهل الكتاب ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ يعني: صفة محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: أمر القبلة ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [illegible][1].

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۝ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ۝ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ٤٠-٤٢].

قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ الآية: أي لا تلبسوا [illegible] [illegible][2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي [illegible] محمدًا صلى الله عليه وسلم [illegible]

مشهور في التوراة والإنجيل.

وحسن قراءة: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي أنكم تعلمون [illegible]

عن ابن عباس: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وأنتم تجدونه مكتوبًا عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم.

ويجوز أن يكون المعنى: [illegible][3].

* قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

«[illegible]»[4].

---

[1] لباب التأويل (الخازن) ١/٩٠.
[2] تفسير الطبري [illegible].
[3] مختصر تفسير القرآن العظيم ابن كثير، الصابوني [illegible].
[4] [illegible]

[illegible] خطئاً كبيراً [illegible]

[illegible]

[illegible] من قتل الأولاد [illegible]

٦. الحكم بغير الحق.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ [illegible] وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [illegible]

قال مجاهد: من ترك الحكم بما أنزل الله ردّاً لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق. وقال عكرمة: ومن لم يحكم بما أنزل الله [illegible]

[illegible] كفر دون كفر [illegible] ابن عباس [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(١) انظر: لباب التأويل، الخازن ٢/ [illegible]، التفسير المنير، وهبة الزحيلي [illegible]

(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن ٢/ [illegible]

(٣) [illegible]

الخلق

عناصر الموضوع

مفهوم الخلق ٤٢
الخلق في الاستعمال القرآني ٤٣
الألفاظ ذات الصلة ٤٤
الله تعالى خالق كل شيء ٤٦
بداية الخلق ٥٨
معالم الخلق ٦٦
مقاصد الخلق ٧٦
دلالة الخلق ٨١
التفكر في المخلوقات ٨٥

مفهوم الخلق

المعنى اللغوي والاصطلاحي:

[illegible]

[illegible]

ثانيا: المعنى الاصطلاحي:

[illegible]

[illegible]

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس [illegible]

(٢) لسان العرب، ابن منظور [illegible]

(٣) انظر: [illegible]

الخلق في الاستعمال القرآني

وردت مادة (خلق) في القرآن الكريم (٢٥٢) مرة[1].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	١٥٣	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩]
الفعل المضارع	٣٢	﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل:١٧]
اسم الفاعل	١١	﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]
اسم المفعول	٢	﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج:٥]
مصدر	٥٢	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة:١٦٤]
صيغة المبالغة	٢	﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر:٨٦]

وجاء الخلق في القرآن على أربعة أوجه[2]:

الأول: الدين: ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم:٣٠] يعني: لدين الله.

الثاني: الكذب: قال تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧] يعني: تقولون كذبًا.

الثالث: التصوير: قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [المائدة:١١٠] يعني: وإذ تصور من الطين كهيئة الطير.

الرابع: الإيجاد: قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام:١] يعني: أوجدهما ولم يكونا شيئًا.

---

[1] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص [illegible].

[2] انظر: الوجوه والنظائر، مقاتل بن سليمان، ص [illegible]، [illegible]، نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، ص [illegible].

الألفاظ ذات الصلة

1 التصوير:

التصوير لغة:

صورة كل مخلوق: هيئة خلقته[1].

وصوَّر الشيء: جعل له صورة مجسمة، أو رسمه على الورق أو الحائط ونحوهما بالقلم أو بآلة التصوير[2].

التصوير اصطلاحًا:

التصوير في حق الله عز وجل: جعل الشيء على هيئة معينة.

وفي حق المخلوقين: محاكاة صورة الشيء، وتقليدها.

الصلة بين التصوير والخلق:

الخلق إيجاد من العدم، والتصوير جعل هيئة معينة لهذا المخلوق.

2 الذرء:

الذرء لغة:

ذرأ الله الخلق، أي: خلقهم[3].

الذرء اصطلاحًا:

لا يختلف معناه الاصطلاحي عن المعنى اللغوي.

الصلة بين الذرء والخلق:

الذرء مختص بخلق الذرية[4].

---

(1) مقاييس اللغة، لابن فارس ٣/٣٢٠.
(2) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١/٥٢٨.
(3) انظر: مختار الصحاح، الرازي ص ١١٢.
(4) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٢/١٥٦.

٢ الإنشاء

الإنشاء لغةً:

الإنشاء يدلُّ على ارتفاع وسموٍّ[1]، ويقال: أنشأ الله الخلق، أي: ابتدأ إيجادهم من عدم[2].

الإنشاء اصطلاحًا:

إيجاد الله تعالى لكل المخلوقات من عدم، مع ما يبيِّن عظيم قدرة الله تعالى وأنه يخلق ما يشاء.

الصلة بين الإنشاء والخلق:

يشترك الإنشاء مع الخلق في أن كل منهما إيجادٌ من عدم.

٣ البعث

البعث لغةً:

البعث: إحياء الله تعالى للموتى[3].

البعث اصطلاحًا:

إحياء الله تعالى الأموات، وإخراجهم من قبورهم يوم القيامة للحساب والجزاء[4].

الصلة بين البعث والخلق:

بينهما عموم وخصوص، فالبعث خلقٌ خاص، ويستعمل في إعادة الخلق.

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس ٥/٤٢٨.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/٩٢٠.

(٣) انظر: تاج العروس، للزبيدي ٥/١٦٨.

(٤) معجم ألفاظ العقيدة، لعامر الفالح ص٧٢.

الله تعالى خالق كل شيء

أولاً: إثبات صفة الخلق لله عز وجل:

إن وجود هذا الكون الكبير، وعظمته وبهائه وجماله الباهر، وما فيه من سماوات وأرض، وشمس وقمر، ونجوم وكواكب وليل ونهار، وجبال وبحار وأنهار، إلى غير ذلك من المخلوقات التي لا تعد ولا تحصى، سواء كانت مرئية لنا أم غير ظاهرة لنا؛ دليل على أن لهذا الكون الكبير خالقاً أوجده، وأن من كل مخلوقات الخلق والغيب، فإن هذا الخالق يتصف بكل صفات الكمال المطلق في ذاته العلية، وصفاته العليا، وفي أفعاله الكثيرة.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

فالله سبحانه أمر العباد بعبادته جل وعلا، واستدل على الأمر بما يدل على وجوبه تعالى، وهو الخلق الصادر من خلق الناس المخاطبين، وخلق الذين كانوا من قبلهم، وخلق السماء وخلق الأرض، وخلق الثمرات من الماء النازل من السماء إلى الأرض[1].

ويقول عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ففي هذه الآية يبين الله سبحانه صفات ربوبيته من خلق السماوات والأرض، واستوائه سبحانه على العرش، وإغشاء الليل والنهار، وجعل الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره جل وعلا، وبعد أن ذكر تعيين لهذا الكون، أنبه بأن الخلق والأمر له وحده سبحانه حيث قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾.

ومعلوم أن تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور على المبتدأ يفيد الحصر والقصر، فقد أخبر الله تعالى أن الخلق والأمر له وحده فيختصان به لا يأتي فيه[2].

وقال الألوسي في تفسيره: ففي ذلك إشارة إلى أنهما -الخلق والأمر- على الحكمة وفي غاية الكمال، ولا يقال ذلك في غيره تعالى، بل هي صفة خاصة به سبحانه[3].

---

(1) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، ٢/ ٣٣٣.

(2) انظر: فتح القدير للشوكاني، ٢/ ٢١١.

(3) روح المعاني، ٨/ ١٣٩.

ثم جاء الله تعالى الآية ببيان أنه رب العالمين الذي له صفات الكمال المطلق والعزة من جميع النقائص والعيوب.

وإثبات صفة الخلق والأمر لله تعالى وحده يستلزم أن يكون خالقها متصفًا بالقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة والإرادة النافذة.

﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: [illegible] [illegible]

[illegible]

والمعنى: لا ترى تفاوتًا، أي: تناقضًا أو عيبًا أو عدم تناسق في خلق الله تعالى السماوات وغيرها من مخلوقاته عز وجل.

والمقصود من هذا هو التعريض بالمشركين [illegible] النظر في الكون والاستدلال بما فيه على وحدانية الله تعالى [illegible]

وإضافة الخلق إلى اسم (الرحمن) يدل على أن هذا النظام [illegible]

ومثيله[1].

وعند قوله تعالى: [illegible]

[illegible]

قال السعدي: أخبر تعالى أنه خلق الخلق من السماوات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهن، وأنزل الأمر، وهو الشرائع والأحكام [illegible]

---

[1] التحرير والتنوير لابن عاشور [illegible]

[2] [illegible]

العينية التي أرسلها إلى رسله لتذكير العباد وتوعظهم، وكذلك الآيات الكونية والنفسية التي بثها في الخلق، كل ذلك لأجل أن يعرف العباد ويعلموا إحاطة قدرة الله بالأشياء كلها وإحاطة علمه بجميع الأشياء، فلا عجب إذ وصف نفسه بالقدسية وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، [illegible] لهذه الغاية المقصودة من الخلق والأمر معرفة الله وعبادته، فقام بذلك المراد من عباد الله الصالحين، وأعرض عن الله الظالمون المحرومون[1].

ومن أسماء الله [illegible] التي له جميع صفات الكمال التي منها القدرة الشاملة على خلق المخلوقات بأمر من الله بما يدل عليه [illegible] الدالة على الصانع، فهو وحده الذي أوجد المخلوقات بشكل تام من عدم، وهذا يقدره الله تعالى على [illegible] بعلمه سبحانه، فالناس يشاهدون حقيقة هذه المخلوقات ويشهدون أنه لا يقدر عليها إلا من هو تام العلم وكامل القدرة، ألا وهو الله عز وجل[2].

والأمر الله تعالى في قوله: ﴿[illegible]﴾ [النحل: ٢٠-٢١].

أي: الأصنام التي يعبدها المشركون من دون الله تعالى لا تتصف بالخلق، بل هي مخلوقة، وليست خالقة في نفسها، لا أرواح فيها ولا تسمع ولا تبصر، ولا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا، فكيف يعبدها هؤلاء المشركون، ويعرضون عن الخالق[3]؟!

فإن العقول والأبصار التي تعتبر وتنظر [illegible] الله تعالى [illegible] الخلق، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

أي: إن هذه المخلوقات الوارد ذكرها في الآية هي من أعظم المخلوقات المبهرة، [illegible] بهذه الأشياء على قدرة موجدها، وحكمة مبدعها، ووحدانية منشئها[4].

ولما كانت صفة الخلق من أبرز صفات الله عز وجل، كانت له أسماء مشتقة منها، وهما الخالق، والخلاق.

ثانيًا: الخلاق:

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، ص [illegible].

[2] انظر: [illegible] (١٠/ ٢٢٢).

[3] انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٩٤).

[4] [illegible]

قال الزجاج: «الخالق: أصل الخلق في الكلام: التقدير، يقال: خلقت الشيء، خلقًا إذا قدرته. فالخلق في أسماء الله تعالى هو ابتداء تقدير النشء، فالله تعالى خالقها ومنشئها ومتممها»[1].

وقال سعيد القحطاني في شرح الخالق: «الذي خلق جميع الموجودات وبرأها وسواها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم»[2].

و(الخالق) هو الذي أوجد جميع الأشياء بعد أن لم تكن موجودة، وقدر أمورها في الأزل بعد أن كانت معدومة، ويكون أيضًا بمعنى أنه هو الذي ركب الأشياء تركيبًا، ورتبها بقدرته ترتيبًا.

وقد ورد اسم الله تعالى (الخالق) اثنتي عشرة مرة في القرآن الكريم، وجاء على صيغة اسم الفاعل، ويدل دلالة على معنيين رئيسين:

الأول: إيجاد الشيء من العدم أو إخراج مخلوق جديد ليس له مثيل.

ولا شك أن هذا المعنى خاص بالله تعالى، ولا يشاركه فيه أحد، ومن هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر: قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر: ٦٢].

وقوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

الثاني: الهيئة والتقدير والتشكيل والتصوير والتركيب والتصنيع والتكوين.

ومن هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر: قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وقوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥].

والمتأمل على هذا المعنى يدخل فيه البشر، أي: أن الإنسان صنع الشيء من المادة التي خلق الله تعالى أصلها، ثم ينسب إلى الإنسان بعطاء البشري من خلق أشياء حسية [illegible] حتى أن الصناعة وإبداعهم أشياء من عند مقام الله تعالى، ويبقى الخلق البشري من مخلوقات الله تعالى.

وإن الله تعالى هو الذي خلق المادة التي هي أصل الأشياء كما خلق عقل الإنسان، وما أوجده من آلات ومخترعات استخدمها [illegible] العقل في مجال [illegible] ويبقى الله تعالى هو الخالق وحده.

---

(1) تفسير أسماء الله الحسنى ص٣٧.

(2) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة ص٢٧١.

فالإشارات العلمية الجديدة ما هي إلا مكتشفات صنعها رب العالمين للبشر، أما أصل هذه الإشارات فالله تعالى هو خالقها من العدم.

وبهذا معنى الخلاق الخلق على التحقيق سبحانه.

والخلاق:

ورد ذكر هذا الاسم مرتين في القرآن الكريم بصيغة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (الحجر: ٨٦).

وقوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (يس: ٨١).

والخلاق صيغة مبالغة على وزن (فعّال).

قال ابن عاشور في التفسير آية سورة يس: (أي: من يخلق الخلائق الكثيرة [illegible] بأسرارها [illegible])[1].

والفرق بين الاسمين أن (الخالق): اسم فاعل، وهو الذي يخلق الشيء من العدم بتقدير وعلم، ثم يصنع [illegible] من أطوار. (الخلاق) هو الذي أكثر [illegible] خلق من عدم.

أما الخلاق فهو صيغة مبالغة من الخالق المخصوص بخلق كثير، وهو الذي يبدع في الخلق كثرة وقوة بقدرته الشاملة المطلقة.

ومن ثم فإن صفة الخلاق أبلغ من صفة الخالق.

ومن المعلوم أن منهج السلف الصالح في أسماء الله الحسنى هو التسليم بها من غير تكييف أو تمثيل أو تعطيل أو تشبيه، فهو فرع على الأسماء [illegible] بما يليق به، وربما يكون الإنسان من خلال ما دلت عليه هذه الصفات من المعاني العظيمة [illegible][1].

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٢-١٤).

والمعنى: إن الله تعالى [illegible] في بيان أصل النوع الإنساني، وهو آدم عليه الصلاة والسلام، فقد خلقه الله تعالى من طين، ثم جعل نسله [illegible] الأمهات [illegible] في حرز حصين من أول وقت الحمل إلى حين وقت الولادة [illegible] النطفة [illegible] العلقة [illegible] المضغة [illegible].

---

[1] التحرير والتنوير: ٢٣/ ٧٩.

[1] انظر: العقيدة الصحيحة وما يضادها، ابن باز ص [illegible].

خطابًا، ثم يحيل الله تعالى النفس [illegible] للعطاء، ثم أنشأ الله تعالى وخلقه خلقًا آخر مبينًا ومختلفًا عن الخلق الأول، حيث نفخ فيه الروح، فصار [illegible] بعد أن كان جمادًا لا روح فيه، فأصبح سميعًا بصيرًا عاقلًا، [illegible] الروح فيه [illegible] عز وجل من غرائب الخلق وعجائبه ما لا يعد ولا يحصى [illegible] بيانه[1].

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ أي: تعالى شأنه في خلقه الشامل، وقدرته الباهرة، وتكرار اسم الجلالة (الله) وذلك لتربية المهابة، وإدخال الروعة، والإشعار بأن ما ذكر من الأفاعيل العجيبة من أحكام الألوهية، والإيذان بأن حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عز وجل أو لاحظه أن يسارع إلى التكلم به إجلالًا وإعظامًا لشؤونه تعالى[2].

وكلمة ﴿أَحْسَنُ﴾ على وزن (أفعل) التفضيل، أي: أحسن الخالقين خلقًا، بمعنى المقدرين تقديرًا، وحذف المميز لدلالة الخالقين عليه[3].

[illegible] لا يعني أن هناك خالقين غيره وأن الله تعالى هو الأفضل فيما بينهم، ولكن يكون ذلك [illegible] وإنما يعني [illegible] الرحمة الكاملة على عظيم قدرة الله تعالى، والله عليم بأحكامه [illegible].

ويعني البركة في قوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ يرجع إلى المعاني الآتية:

1. الاتساع والزيادة، فكل ما زاد على الشيء فقد بارك.
2. البركات والخيرات، فكلها من الله تعالى.
3. [illegible]: أصله من البروك، بمعنى الثبات، فكأنه قال: والبقاء والدوام والبركات كلها من الله تعالى، فهو المستحق للتعظيم[4].

ثالثًا: إقرار المشركين بالخلق لله تعالى:

سبقت الإشارة إلى أن الخلق صفة من الصفات الربوبية لله تعالى، ومن يدخل تحت القسم الأول من أقسام التوحيد، وهو توحيد الربوبية، ويقصد به: [illegible] ربه سبحانه بأفعاله الصادرة منه كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وإنزال المطر، وإنبات النبات، والنفع، والضر، وتدبير جميع الأمور، إلى غير ذلك من أفعال الرب سبحانه[5].

ولقد كان المشركون في عصر النبوة يعتقدون أن هذه الأمور هي من خصائص الله تعالى، ويقرون ويعترفون أن أصنامهم

---

[1] انظر: تفسير المراغي، [illegible].

[2] إرشاد العقل السليم لأبي السعود، [illegible].

[3] انظر: المصدر السابق.

[4] انظر: مفاتيح الغيب للرازي، [illegible].

[5] [illegible]

التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضراً، فكيف تملكه لمن يعبدها، فهي لا تنزل الغيث، ولا تأتي بالرزق، ولا تملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً، كما أنها لا تسمع ولا تبصر، فالمتفرد بكل ذلك هو الله تعالى وحده، والحكمة بهذا الأسلوب إقناعهم بعظمة الله تعالى، فالمشركون يعبدونهم من دونه عز وجل، لم يعبدوا إلههم ما يعبدونها إلا لتقربهم إلى الله زلفى، فتنتج لهم حجة الله تعالى في الرزق والنصر وسائر الأمور الدنيوية، فقال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ (الزمر: ٣).

والمعنى: إن هؤلاء المشركين لم يقصدوا العبادة لله تعالى وحده بل كانت شركية بعبادة غيره من الأصنام والملائكة وعيسى عليه الصلاة والسلام معتقدين أنهم لا يعبدونها إلا من الأولياء إلا ليقربوهم إلى الله تعالى قربى[1].

وأما أقوال حال المشركين في شأنهم عبادة الأنداد والشركاء من دون الله تعالى، يحاورهم ويخاطبهم ويظهر عجز حاجاتهم الدنيوية، استخدم معهم القرآن الكريم أسلوب تقرير المخاطبين بطريق الاستفهام عن الأمور التي يسلمون بها حتى يعترفوا بما يتركونه وهو صورة من صور المحاورات التي استخدمها القرآن في الرد على الخصوم لإقامة الحجة عليهم[2].

ومن الأمثلة على ذلك الاستدلال بالخلق على وجود الخالق كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ۝ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ۝ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ۝ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الطور: ٣٥-٤٣).

وكذلك الاستدلال بالمبدأ على المعاد كما في قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (ق: ١٥).

كما دل القرآن الكريم في مواطن عدة من سوره على إقرار المشركين بربوبية الله تعالى مع إشراكهم به في العبادة ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (الزمر: ٣٨).

---

[1] انظر: فتح البيان، القنوجي، ١٢/٢٩.

[2] انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٣٠٠.

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ويظهر من هذا أن جميع الخلق [illegible] الله عز وجل [illegible]

[illegible]

[illegible]

توحيد الربوبية وحده لا يكفي إلا ويكون معه توحيد الألوهية حتى يصير صاحبه من عباد الله تعالى، بل هو حجة على صاحبه إذ كيف يؤمن بتوحيد الربوبية ويشرك بتوحيد الألوهية؟ فتوحيد الألوهية من لوازم توحيد الربوبية ولهذا احتج الله تعالى على المشركين إذ قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤).

فينبغي على المرء أن يخص العبادة لله تعالى وحده، قال ابن القيم: فما كان لله سبحانه فهو متعلق بألوهيته وما كان بالله فهو متعلق بربوبيته وما تعلق بالألوهية أشرف مما تعلق بربوبيته، ولذلك كان توحيد الألوهية هو المنجي من الشرك دون توحيد الربوبية بمجرده، فإن عباد الأصنام كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه ولكن لما لم يأتوا بتوحيد الألوهية وهو عبادته وحده لا شريك له لم ينفعهم توحيد ربوبيته[1].

ثالثاً: تنزيه الله تعالى عن التعب والنصب في الخلق:

إن القدرة والخلق صفتان لله تعالى ولا يعتريهما النقص بالنسبة للمخلوقين، فمهما يصنع الإنسان شيئاً ما فإنه يعتريه التعب والإعياء، فيكون هذا نقصاً في الكمال، أما بالنسبة لله عز وجل، فإنه قد خلق هذا الكون العظيم وما فيه من مخلوقات عظيمة بما فيها الإنسان الذي يعجز عن إحصائها وعدها، وخلق تعالى الكون كله في ستة أيام، ومع ذلك لم يصبه الله تعالى تعب ولا نصب ولا إعياء.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (ق: ٣٨).

والآية دليل على عظمة الله سبحانه الذي [illegible] لم يعجز بالخلق الأول، حتى يعجز عن الإعادة في الخلق الثاني، كما قال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (ق: ١٥)[1].

هذا وقد دلّل الله تعالى على قدرته على الإعادة بعد الموت بأنه خلق السماوات والأرض على عظمهما وسعتهما وإتقان خلقهما وما فيهما دون أن يكترث بذلك ولم يصبه الله تعالى بسببها إعياء ولا تعب فكيف يعجز عن إعادة الناس بعد الموت وهو على كل شيء قدير[2].

فقال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

---

[1] [illegible]

[1] انظر: مفاتيح الغيب: الرازي (٢٨/١٤٣).

[2] انظر: تيسير الكريم الرحمن: السعدي ص [illegible].

[مريم: ٢٧].

قال الشوكاني: «الفريّ هنا هي الفعلة [illegible] الإنكار، [illegible] على نفسها، أي: ألم ينظروا ولم يعلموا أن الذي خلق هذه الأجرام العظام من السماوات والأرض ابتداءً ولم يعي بخلقهن [illegible] عن ذلك ولا عجب منه»[1].

[illegible] الآية [illegible] اليهود الذين رموا [illegible] الله سبحانه [illegible] اليوم السابع [illegible].

[illegible]

ذكر قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ في القرآن الكريم في ستة مواضع.

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

[illegible] الله تعالى [illegible] عيسى عليه الصلاة والسلام [illegible] هذا الأمر [illegible] الله تعالى [illegible] بقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

للدلالة عليها في موضع آخر بقوله: ﴿قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

والتعبير في هذه الآية عن [illegible] عيسى عليه الصلاة والسلام [illegible] إلا لله تعالى [illegible].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

فهذه الآية فيها رد من الله تعالى على النصارى [illegible] الله تعالى أنهم [illegible] المسيح [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] عيسى عليه الصلاة والسلام [illegible]

---

[1] فتح القدير ٣/ ٢٢.

في أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام من جملة سائر البشر، وأنَّ الله تعالى هو الذي لا يُرَدُّ له أمر، ولا يُغلب ولا يُقهر، بل هو الحي القيوم الذي يحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت كما أنَّ الله تعالى له تصريف ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما، يفني من يشاء ويهلك من يشاء لا يمنعه من ذلك مانع، ولا يرده عن ذلك راد، بل ينفذ فيهم أمره ويمضي فيهم قضاءه، وليس المسيح كما زعموا [illegible] من خلق [illegible] [illegible] يكون إلهًا.

بل الإله الحق هو الذي ملك كل شيء بيده تصريف كل ما في السماوات والأرض وما بينهما[1].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

والمعنى: أنَّ الله تعالى يخلق ويختار ما يشاء؛ ولذلك قال: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٤٩].

وذكر المفسرون لاتصال الآية بما قبلها:

الأول: أنها متصلة بذكر الشركاء الذين يعبدونهم من دون الله تعالى ويختارونهم. والمعنى: الاختيار لله تعالى وحده وليس لهم.

الثاني: المراد من الآية: أنه ليس لأحد من الخلق أن يختار، بل الاختيار هو لله تعالى وحده.

الثالث: إن هذه الآية نزلت جوابًا عن اليهود حين قالوا: لو أرسل إلى محمد غير جبريل لآمنا به[2].

والآية مكية، ولم يكن اليهود يخاطبهم في القرآن المكي، فالقول الثالث مستبعد.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

يخاطب الله تعالى عباده ويقول لهم: إن الإله الذي يستحق أن تعبدوه هو الله تعالى الذي ابتدأ خلقكم من ضعف، أي من النطفة التي [illegible] أو خلقكم من أصل ضعيف وهو النطفة، ثم جعل بعد ذلك قوة في حال الشباب، وبلوغ الأشد، ثم جعل بعد القوة حال الضعف والشيخوخة.

وقوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ أي: يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشباب وشيبة، فهو العليم بأحوالهم، والقدير على التدريج، والاختلاف في هذه الأحوال كلها بين [illegible] على [illegible]

---

[1] انظر: جامع البيان للطبري (١٠/ ١٤٦).

[2] انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢١٨).

الخالق العليم القدير[1].

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

[illegible] باطل، فقد زعم النصارى أن عيسى عليه الصلاة والسلام من الله تعالى، كما زعم [illegible]

[illegible]

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible]

والمعنى: [illegible]

[illegible]

[illegible]

خامسًا: [illegible]

[illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

فبعد أن عدّ الله تعالى مجموعة من النعم التي أنعمها على عباده من خلق السماوات والأرض، ومن خلق الإنسان، وخلق الأنعام، وعدّد ما فيها من منافع ومصالح للناس، [illegible] وأوبارها وأشعارها [illegible] من الإبل والفرس [illegible]، ولكم فيها جمال [illegible] كما أنها [illegible] أثقالكم إلى البلاد التي [illegible] إلى البلاد البعيدة [illegible] لكم [illegible] ثم خلق الخيل والبغال والحمير [illegible] لاستعمالها في الركوب [illegible] الجمال والزينة [illegible].

ثم قال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: مما يكون بعد نزول القرآن من الأشياء التي يركبها الخلق في البر والبحر والجو، ويستعملونها في منافعهم ومصالحهم، فإنه لم يذكرها بأعيانها؛ لأن الله تعالى لا يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد، أو يعرفون نظيره، وأما ما ليس له نظير في زمانهم فإنه لو ذكر لم يعرفوه ولم يفهموا المراد منه، فيذكر أصلاً جامعاً يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون(١).

ويقول في موضع آخر: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

يقول الشنقيطي في تفسيره: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ [illegible] الأصناف [illegible] ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ من الشجر والنبات بأجناسهما وأنواعهما وأصنافهما ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [illegible] وأصنافها ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [illegible] من المخلوقات التي لا اطلاع لهم عليها [illegible] والجوية [illegible] الزوجية [illegible] لا [illegible](٢).

ويمكننا [illegible] أن الله عز وجل يخلق ما يشاء مما نعلم ومما لا نعلم، فتلك مخلوقات صنعها الله تعالى يقصر العقل البشري عن علمها [illegible] العقل من العلم [illegible] إلا أنه يبقى عاجزاً عن علم جميع مخلوقات الله تعالى التي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص [illegible].

(٢) أضواء البيان [illegible].

خلقها أول الخلق، وإلى بعثها إلى قيام الساعة.

سادساً: الحكمة من اقتران الخلق بالحق:

ورد ذكر الحق مرتبطاً بخلق السماوات والأرض في اثنتي عشرة آية، وجميع السور [illegible] الآيات مكية، [illegible] السماوات والأرض [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

فمعنى هذه الآية كما قال ابن عباس: لا للعبث ولا للباطل ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾[1].

وهذا يدل على أن خلق السماوات والأرض بالحق في [illegible] المكي [illegible] على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ [illegible]﴾ [illegible]

فيكون معنى الآية: هو الذي خلق السماوات والأرض [illegible] بالقدرة التي بها يقع إيجاد المخلوق بعد عدمه [illegible][2]، حيث إن [illegible] في آياته القرآنية [illegible] خلق السماوات والأرض [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

فمعنى هذه الآية أن الله تعالى خلق السماوات والأرض [illegible]

وقد [illegible] الله تعالى لم يخلق السماوات والأرض [illegible]

---

[1] معالم التنزيل، البغوي، [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

[illegible]

---

[1] جامع البيان، الطبري [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible] تفسير القرآن العظيم، ابن أبي زمنين [illegible]

بداية الخلق

تحدث علماء المسلمين عن بدايات الخلق، قال: خلق السماوات والأرض، وخلق سيدنا آدم عليه السلام، وأن الله تعالى خلق مخلوقات قبل السماوات والأرض، وقبل سيدنا آدم عليه السلام ... عليه البشر ...

أولاً: خلق السماوات والأرض:

لقد تحدثت آيات كثيرة من القرآن الكريم عن خلق السماوات والأرض مع مجموعة من المخلوقات الأخرى التي أنعم الله تعالى بها على عباده.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 164).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: 190).

وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام: 1).

في حين تحدثت بعض الآيات المدة الزمنية لخلق السماوات والأرض وما بينهما ...

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: 54).

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (السجدة: 4).

ومن إعجاز الخلق ما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال: «خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل»[1].

وهذا ما لا ينبغي أن نعتقد ... خلق السماوات والأرض في ...

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه الصلاة والسلام، 4/2149، رقم 2789.

[illegible] أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام [illegible]

إذ [illegible]

إذ الخلق [illegible]

ومن مسألة: أيهما أسبق في الخلق: السماء أم الأرض؟ [illegible] من كتاب الله تعالى، ومنه: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣].

فهذه الآيات تبين أن السماء أسبق في الخلق من الأرض [illegible]

[illegible] الأرض، كما أخرج في السماء [illegible] ثم بعد ذلك خلق الأرض، وأودع فيها منافعها من الماء والمرعى، [illegible] الجبال [illegible] على أصنافهم[1].

أما قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢﴾ [فصلت: ٩-١٢].

فهو يشعر أن الأرض أسبق في الخلق من السماء، [illegible]

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، [illegible]

نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بتوبيخ المشركين الذين يكفرون بالله تعالى، وهو خالق السماوات والأرض، وكما سبقت الإشارة فإن المشركين يعترفون أن الله تعالى هو الخالق، ولكنهم يشركون في العبادة معه غيره من الأصنام والأوثان.

ويبين الله تعالى في هذه الآيات أنه خلق الأرض في يومين، ثم جعل الجبال في الأرض رواسي ثابتة، وبارك الله تعالى فيها بما خلق من المنافع وإنبات الشجر، وخلق البحار والأنهار والثمار، كما قدر فيها أرزاق أهلها وما يصلح لمعيشتهم من التجارات والأشجار والمنافع في كل بلدة ما لم يجعله في بلدة أخرى، فكل هذا الأمر خلقها الله تعالى في تمة أربعة أيام أخرى.

ثم خلق الله تعالى السماء سبع سماوات ثم أمر السماء والأرض أن تأتيا بما خلق فيهما من المنافع والمصالح طائعتين.

وعلى هذا المعنى، فإن الله تعالى قال ثم خلق السماء بعد خلقهما، وهو قول الجمهور، فقالتا أتينا طائعتين، فقضى السماوات سبع سماوات، وأكمل بيومين، ثم زين الله تعالى في كل سماء أمرها، وزين السماء الدنيا بمصابيح الكواكب وحفظها الله تعالى من الشياطين الذين يسترقون السمع[1].

والناظر في هذين النصين يرى أن آيات السورتين توهم في ظاهرها الإشكال والتعارض، ولكن حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما أزال هذا التعارض حين سئل عن ذلك، فقد قال له رجل: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي، ومن ضمنها مسألة ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء﴾ على الله في أن الأرض، وسأله عن الآيات التي ذكرناها، فأجابه ابن عباس: خلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿دَحَاهَا﴾ وقوله: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السماوات في يومين[2].

والخلاصة القول: إن الله خلق الأرض أولاً، كان في يومين، ثم كان خلقه للسماء ثم أنه خلق السماء في يومين آخرين، ثم كان دحو الأرض المطرزة وخلق ما فيها من

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج15، ص343-344.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ والأرض ... فتح الباري، ج8، ص427.

خوريات الخلق ومخالفهم في يومين آخرين، وهكذا تكون السماوات خلقت وما فيها في يومين، وخلقت الأرض وما فيها في أربعة أيام، والله تعالى أعلم. وقد سبقت الإشارة إلى عظيم قدرة الله تعالى في تحويل الأسباب.

ثانيًا: خلق آدم عليه الصلاة والسلام.

بعد أن خلق الله تعالى السماوات والأرض وما فيهما، خلق آدم عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة التي هي خير أيام الله تعالى كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها»(1).

وقد خلقه الله تعالى من تراب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

أي: خلقه من تراب دون أب ولا أم بل بكلمة ﴿كُن﴾ فكان آدم عليه الصلاة والسلام(2).

وورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب»(3).

ولما أتم الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام حين خلقه بيده، نفخ فيه من روحه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: 72].

والحسد لما حسد إبليس من السجود لآدم الذي خلقه الله بيده من غير واسطة أب أو أم(4)، فخلقه الله تعالى في صورة جميلة وشكل حسن، حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4].

ثم علمه الله تعالى جميع مسميات الأسماء كلها، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31].

فضله على جميع خلقه حتى الملائكة، فأمرها الله تعالى بالسجود له عليه الصلاة والسلام سجود تكريم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة (2/585) رقم (854) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (3/264).

(3) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القدر (4/222) رقم (4693) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1759).

(4) انظر: تفسير الرازي (22/271).

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].

وبعد ذلك خلق الله تعالى له زوجه حواء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

فالله تعالى خلق حواء من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء»(١).

ثم أمر الله تعالى آدم وزوجه أن يسكنا في الجنة ويأكلا منها ما شاءا، ولكن الله تعالى نهاهما عن الأكل من شجرة منها، فإنهما إن قرباها وأكلا منها فسوف يكونان من الظالمين لأنفسهم، لكن الشيطان وسوس لهما، وأغراهما في المعصية بالأكل من الشجرة التي نهيا عنها، فأخرجا من الجنة التي كانا يسكنانها، فهنا حيث أمرهما الله تعالى بالهبوط من الجنة إلى الأرض، فهي موضع الاستقرار لهم، فلما ندم آدم عليه الصلاة والسلام بالتائب علّمه الله تعالى كلمات يقولها فيتوب الله تعالى عليه، ويغفر له ذنبه(٢).

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحادثة، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٥-٣٧].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ٣/ ١٣٣١، رقم ٣١٥٣، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، ١/ ٥٩.

معالم الخلق

تطرق هذا بحثًا من المعالم المتعلقة بالخلق، والتي يشير إليها القرآن الكريم حتى علمه من الخلق، ومن تلك المعالم:

أولاً: الزوجية:

إن قاعدة الزوجية تمثل قاعدة مهمة من قواعد الخلق في هذه الأرض، وهناك العديد من الآيات القرآنية التي جاءت تدلل على هذه القاعدة [illegible] في الزوجية [illegible] على [illegible] عليه الصلاة والسلام وأن القرآن من لدن حكيم عليم.

فالمعجزة التي [illegible] موجودة في زمن النبي عليه الصلاة والسلام لا تمكن من الكشف عن قاعدة الزوجية في الأحياء فضلاً عن مباحث الوجود المختلفة، أما اليوم وفي ظل هذا التقدم العلمي المشهود والاكتشافات الكونية المتسارعة في المجالات المختلفة استطاع العلماء الكشف عن أشكال التزاوج والازدواج في كافة مباحث [illegible] بالمعجزة [illegible].

ومن الآيات في تقرير هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

ففي هذه الآية حقيقة علمية تكشف عن قاعدة الخلق في هذه الأرض، وهي قاعدة الزوجية في الخلق [illegible] في الأحياء، وكلمة ﴿زَوْجَيْنِ﴾ تشمل غير الأحياء [illegible] التفسير [illegible] أن الأشياء كالأحياء مخلوقة على أساس الزوجية[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ قيل: صنفين ونوعين مختلفين، إشارة إلى المتضادات والمتقابلات من الأشياء كالليل والنهار، والشقوة والسعادة والهدى والضلالة، والأرض والسماء، والسواد والبياض، والصحة والمرض، والكفر والإيمان ونحو ذلك.

وقيل: هي إشارة إلى الذكر والأنثى من كل الخلق حيث يستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥][٢].

ويرجح الطبري القول الأول لأنه دليل على قدرة الله تعالى على خلق الشيء ومخالفه[٣].

وختم الآية بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتعلموا أيها المشركون أن الخالق الذي [illegible] لا [illegible] على خلق الشيء

---

[١] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، [illegible].

[٢] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، [illegible]، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، [illegible]، الجواهر الحسان، الثعالبي، [illegible].

[٣] انظر: جامع البيان، الطبري، [illegible].

وخلافه، وابتداع زوجين من كل شيء يخالف ما لا [illegible] على ذلك.

وهو دليل على المغايرة بين المخلوق والخالق، فهو المتفرد في ذاته وصفاته وأفعاله، حيث يدرك الناس تفرد الخالق من خلال ما يشاهدونه من ظواهر الزوج الأشياء وتركيبها، وارتباطاتها، وترابطاتها على نحو يتصل معه البدء، والانفصال، والمضافة"(1).

وخلق الكون يقوم على مبدأ الزوجية وقد جاءت الآيات مؤكدة على ذلك، ومن مظاهرات الكون التي يتمثل فيها مبدأ الزوجية الظاهرة.

قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات-٤٩).

يقول سيد قطب: إن كل الأحياء وأوليها [illegible] لكنك من ذكر وأنثى، حتى النباتات التي كانت مظنة أن ليس لها من جنسها ذكر، تبين أنها تحمل في ذاتها الزوج الآخر، فتضم أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث مجتمعة في زهرة، أو متفرقة في العود، وهي حقيقة تتضامن مع المشهد في إثارة التذكر إلى سر أسرار الخلق بعد تأمل ظواهره"(2).

ويقول: إنه تعالى أول ما خلق العالم وخلق فيه الأشجار خلق من كل نوع من الأزواج التي فضلا على قال: خلق زوجين، ثم يحتمل أن المراد النوع أو الشخص، أما إذا قال: ﴿اثْنَيْنِ﴾ علمنا أن الله تعالى أول ما خلق من كل زوجين اثنين، لا أقل ولا أزيد، والتناسل أن الناس فيهم الآن كثيرة إلا أنهم ابتداء ابتدأوا من زوجين اثنين بالشخص، فما أدري وجه الكلمة القول في جميع الأشجار والزرع"(3).

ثانيا: الأطوار:

بدأ خلق الإنسان من آيات الله العظيمة، خاصة إذا علمنا أن كل طور من الأطوار التي مر فيها خلق الإنسان [illegible] على مدخل الوحي والبدء، فالقرآن الكريم أخبر عن هذه الأطوار قبل أن تتوصل إليها الاكتشافات العلمية الحديثة.

وهذا أوجد الحديث عن المراحل والأطوار لخلق الإنسان [illegible] إلى قسمين:

الأول: مراحل خلق الإنسان الأول آدم عليه الصلاة والسلام.

والثاني: مراحل خلق نسله (خلق الإنسان في بطن أمه، وخلقه التناسلي).

---

(1) انظر: معجم [illegible] ٢٢٩/٢٩، [illegible] ٢٢٤/٢.

(2) في ظلال القرآن ٦/٣٣٨٠.

(3) مفاتيح الغيب للرازي ٩/١٩.

١. مراحل خلق الإنسان الأول آدم عليه الصلاة والسلام:

أ. الطين:

وهو التراب المركب من تراب وماء الذي يتكون منه جسد الإنسان، فيدلنا على الإنسان من التراب قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ومن الماء الذي يدخل في خلق كل شيء حي قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فإذا اختلط التراب مع الماء أصبح طينًا، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

وقال أيضًا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢].

والمراد به جنس الإنسان، والسلالة من خلاصة شيء من طين، أو أول الفرد وهو آدم عليه الصلاة والسلام، وهذا دليل كاف على قدرة الله تعالى ووحدانيته واستحقاقه بكل صفات الكمال[1].

ولقد وصف الله تعالى هذا الطين باللازب: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١] أي: اللاصق، وقيل: اللاصق واللازب والفرق بينهما أن اللاصق: هو الذي قد لصق بعضه ببعض، واللازب: هو الذي يلتزق بما أصابه، وقيل: اللازب اللزج[2].

ويذكر سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم أن قبضة التراب التي خلق منها آدم كانت من جميع الأرض؛ لذلك تعدد في ذريته صفات متعددة مختلفة، منها الأحمر والأبيض، والطويل والقصير، والصالح والطالح، قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب»[3].

٢. الصلصال:

وهي المرحلة الثانية بعد الطين، فإذا ترك الطين أصبح صلصالًا، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦].

والحمأ: الطين الذي تغير واسود لونه من طول مجاورة الماء، ومسنون: اختلف أهل التفسير في معناه فقيل: مصور من سنة الوجه، أو مصبوب ليبس ويصلب، ولقد [illegible] الصلصال [illegible] إنسان [illegible]

---

[1] التفسير المنير، الزحيلي، ١٨/١٨.

[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٥/٦٩.

[3] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب التفسير، باب ومن سورة البقرة، ٥/٢٠٤، برقم ٢٩٥٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: ٣/٢١، برقم ٢٣٥٥.

أو طين من سائلة الحمإ على الحجر إذا حككته به، فإذا سيل بهما وأقرباً منهما.

٣. الصلصال:

ثم بعد أن أصبح الطين حمأً مسنوناً يجف ويصبح صلصالاً كالفخار، قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤].

فالصلصال: الطين اليابس، والفخار: الخزف الذي طبخ بالنار، والمعنى: أنه خلق الإنسان من طين يابس في صورة الفخار(١).

٤. نفخ الروح:

في المراحل الثلاث الأولى لا روح في آدم عليه السلام، فإن الله تعالى خلق آدم عليه السلام من طين وصوّره ثم صار صلصالاً، أي يبس الطين بعد تصويره، ثم نفخ الله الروح في جسد آدم عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧١-٧٢].

وإضافة الروح إلى الله تعالى تأويل على أنه تعظيم وتشريف للروح الإنسي(٢).

[انظر: آدم، خلق آدم]

٢. مراحل نسل آدم عليه الصلاة والسلام (خلق الإنسان في بطن أمه):

بينت لنا الآيات الكريمة المراحل والأطوار التي يمر بها خلق الإنسان وهو في بطن أمه، فكتاب الله القرآن الكريم يحكي عن مراحل خلق الإنسان الأولى، تلك تخرج في التحديد من علق سلالة مثلاً الإنسان، ومن الآيات التي تشير إلى هذه المراحل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

فهذه الآيات وغيرها توضح الأطوار التي يمر فيها خلق الإنسان، فبعد أن خلق

---

(١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، [illegible]، لباب التأويل، الخازن [illegible].

(٢) انظر: [illegible].

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، [illegible].

آدم عليه الصلاة والسلام، وخلقت حواء من ضلعه، ثم الأبناء مرَّ خلق نسله بأول هذه المراحل:

١. النطفة الأمشاج:

وهي اختلاط ماء الرجل -الذي يحمل ملايين الحيوانات المنوية- مع ماء المرأة فتكون النطفة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٣].

أمشاج: أي ماء الرجل، بماء المرأة يختلطان في الرحم فتكون منهما الولد(١)، وهي أول مرحلة من مراحل خلق الإنسان ثم تأتي المرحلة الثانية وهي:

٢. العلقة:

وهي الدم المتجمد(٢)، وسميت بذلك لكونها تعلق في جدار الرحم، فبعد أن يلقح الحيوان المنوي البويضة في رحم المرأة في مدة أربعين يوماً تتحول النطفة إلى دم متجمد يتصل بجدار الرحم مدة أربعين يوماً أيضاً، حتى تتحول إلى الطور الثالث وهو:

٣. المضغة:

وهي القطعة الصغيرة من اللحم بقدر ما يمضغ، وهذا الطور يمر بمرحلتين: المضغة غير المخلقة، والمضغة المخلقة، فالمضغة في أول أمرها تكون غير مخلقة، أي: غير ظاهر فيها تشكل الخلقة، ثم تكون مخلقة، والمراد: بدء الخلقة وتشكيل الوجه أو الأطراف(٣)، ثم يأتي الطور الرابع وهو:

٤. العظام:

وفي هذا الطور تتحول قطعة اللحم إلى هيكل عظمي، ثم يأتي الطور الخامس وهو:

٥. كساء العظام باللحم:

حيث يغطي العظم بما يستره ويشده ويقويه من اللحم [illegible] فيحصل الاكتمال له.

يقول سيد قطب في معرض حديثه عن هذا الطور: فهنا يقف الإنسان مدهوشاً أمام ما تكشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيراً بعد تقدم علم الأجنة التشريحي، ذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم، وقد ثبت أن خلايا العظام هي التي تتكون أولاً في الجنين، ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام، وتمام

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، [illegible].

(٢) انظر: [illegible].

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، [illegible]. التفسير المنير، الزحيلي، [illegible].

الهيكل العظمي النحيف(١) / أو إلى الطور السادس وهو:

٦- الخلق الآخر.

ومن جنين الإنسان تتم العناصر الحسية التي تميزه عن غيره من المخلوقات، فيكون سميعاً للإدراك والتمييز والتكليف(٢). فتبارك الله أحسن الخالقين.

أما عن المدة الزمنية لكل طور من الأطوار فقد جاء تحديدها في السنة النبوية كما في حديث ابن مسعود وهي أربعون يوماً لكل مرحلة [illegible] في بطن أمه [illegible] حتى يخرج طفلاً. قال ﷺ: [illegible] إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة(٣).

وحكمة خلق الله تعالى الإنسان في هذه الأطوار حيث أنشأه بالتدرج طوراً بعد طور حتى صار في أحسن تقويم، وهو سبحانه قادر على أن يقول له: كن فيكون، ولكنه سبحانه أظهر لنا سنة التدرج في الإنشاء [illegible] من سنة الله في خلقه لذلك، ويجب علينا أن نأخذ منه التدرج [illegible] في تربية الإنسان وتعليمه.

(انظر: الإنسان، خلق الإنسان)

ثالثاً: الأجل:

خلق الله تعالى الإنسان وكتب أجله في الحياة الأولى لا يعلمه إلا الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥]

أي: أن الله يبقي النفس البشرية مدة تعهد آجالها ويسميه الأجل الذي [illegible] عليها بالموت الطبيعي، ولا يرجعها إلى [illegible] الأجل [illegible] وهو الموت الطبيعي(١).

رابعاً: الحياة [illegible] والبشرية

---

(١) [illegible] رقم [illegible].

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، [illegible]، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، [illegible].

(١) في ظلال القرآن [illegible].

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء [illegible]

التي(1)، وقد أخبر الله تعالى أنه قضى لعباده أجلين: أجلًا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الدنيا.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 2](2).

واختلف أهل التفسير في معنى الأجلين:

فقيل: عن مجاهد وابن عباس: الأول [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

وقيل: الأول قبض الأرواح في النوم، والثاني قبض الروح عند الموت.

وقيل: الأول ما يعرف من أوقات الأهلة والبروج وما يشبه ذلك، والثاني: أجل الموت.

وقيل: الأول لمن مضى، والثاني لمن بقي(3).

والآية محتملة لكل المعاني، والله أعلم بمراده.

[illegible] [illegible] كلمة الأجل في [illegible] من الآيات القرآنية [illegible] [illegible] [illegible]، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿[illegible]

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: 49].

أي: [illegible] [illegible] [illegible] أجل مسمى [illegible]، وفي تفسير هذا الأجل قولان: القول الأول: وهو قول عطاء عن ابن عباس: [illegible] [illegible] أجل [illegible]، والقول الثاني: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible](1).

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [يونس: 49].

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الله(2).

كما أن الآجال محسومة لا يزاد فيها ولا ينقص منها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الصادق المصدوق [illegible] [illegible]

---

(1) انظر: التفسير المنير [illegible].

(2) انظر: تفسير القرآن [illegible].

(3) انظر: جامع البيان [illegible].

(1) انظر: مفاتيح الغيب للرازي [illegible].

(2) فتح القدير للشوكاني [illegible].

في بطن أمه [illegible] يكون [illegible] على ذلك [illegible] يكون [illegible] على ذلك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

(انظر: الأصل: أصل الإنسان)

رابعًا: التفاضل:

كرّم الله تعالى بني آدم، [illegible] [illegible] على كثير من سائر مخلوقاته.

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠)

ولقد جعل الله تعالى الإنسان خليفته في الأرض، وكان من لوازم كونه الإنسان خليفة أن يعمر الأرض [illegible] بين الناس وترابطهم، ولا يكون ذلك [illegible] في [illegible] واحدة.

يقول المولى تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة: ٢١٣)

فكان من الحكمة أن لا تكون [illegible] متماثلين، [illegible] أراد سبحانه أن تكون متماثلين في المواهب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله في قوله سبحانه: ﴿[illegible]﴾ أي: أنه تعالى خالف بين [illegible] بعضهم فوق بعض في الرزق والعقل والقوة والعلم [illegible] في الدرجات [illegible] [illegible] [illegible].

يقول الإمام الشعراوي عند تفسيره لهذه الآية: [illegible] [illegible] [illegible].

وبذا يبين الله تعالى الهدف والغاية من هذا التفاضل بين الخلق في الشدة من الأزمات.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب [illegible] [illegible] رقم [illegible].

(٢) انظر: جامع [illegible] [illegible].

(٣) تفسير الشعراوي [illegible].

قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: ٣٢).

فالتفاوت في الرزق جعل هنا سببًا للغنى والفقر، فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضًا في حوائجهم، ويكون بعضهم سببًا في معاش بعض، وبذلك تنتظم الحياة، ويتعلق العمران، ويتم الخير بين الناس، ويصل كل واحد إلى مطلوبه على حسب ما قدّر الله تعالى[1].

وبيّن سبحانه أن التفاضل بين البشر كما هو في الدنيا فهو في الآخرة أيضًا قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٢١).

ففي هذه الآية إشارة إلى هذه الدرجات المتفاوتة بين الناس، فما أنعم به الله سبحانه وتعالى في هذه الدنيا إلا فيهم من وسّع الله له في الرزق، فملك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، وفيهم من لا يملك شيئًا من ذلك، وبين هؤلاء وأولئك درجات، فكما هي في الدنيا، وهي في الآخرة كذلك درجات متفاوتة، فريق في الجنة وفريق في السعير، وأهل الجنة درجات، وأصحاب النار دركات، والمثل ما بين الدنيا والآخرة وما بين النار والجنة: ﴿[illegible]﴾ فهي دار البقاء والخلود[2].

خامسًا: التفرج في ساحة القتال:

خلق الله تعالى الكرة في أربع مرور، وأهل في الساحات في سورة القمر كمثال القمر، ولقي الأرجحة عن غيره الأمر، مطالبًا في ساحة القتال، أما الجن فقد أصل خلقها من نار كما قرره الله الأيات.

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ (المعارج: ١٥).

قال ابن عباس في قوله: ﴿إنها لظى﴾ النار التي تتلظى، وقال ابن مسعود: ﴿لظى﴾ التي تتلظى منها النار جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم[3].

وقال أيضًا: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ (الرحمن: ١٥).

والمارج: اللهب الصافي الذي لا دخان فيه، وقيل: هو المختلط بسواد النار[4].

أما الملائكة فقد بيّن لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أنها مخلوقة من نور، فعن

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ([illegible])، و"في ظلال القرآن" لسيد قطب ([illegible]).

[2] انظر: البحر المديد لابن عجيبة ([illegible])، تفسير القرآن للقرطبي ([illegible]).

[3] انظر: الدر المنثور للسيوطي ([illegible]).

[4] انظر: الكشاف للزمخشري ([illegible]).

عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[1].

أما بقي الأحياء على وجه الأرض فقد خلقت من ماء فالماء هو العنصر الذي خلق الله منه كل شيء سوى الملائكة والجن بما هو حي؛ لأن الملائكة خلقوا من النور والجان خلق من النار كما بينا.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

ويدخل في قوله تعالى: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ جسم الإنسان بل يمكن لنا أن نقول: إنه خلقه الله تعالى من الماء.

يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ (الفرقان: ٥٤).

أما الحديث عن مراحل خلق الإنسان [illegible] الإنسان [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الانفطار: [illegible]).

وأضيف إليه الماء [illegible] قال

سبحانه: ﴿[illegible] فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ([illegible]).

وقد تحدثت آيات القرآن الكريم عن خلق آدم عليه الصلاة والسلام في أكثر من موضع، ثم تناولها فيما سبق.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة (٢٩٩٦).

مقاصد الخلق

إنَّ الله سبحانه وتعالى لم يخلق الخلق سدى ولا عبثًا، وإنما خلق سبحانه الخلق لغاية عظيمة، وحكمة جليلة، فقد خلق سبحانه الخلق بالحق.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الدخان: ٣٨-٣٩).

وقال سبحانه: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ (الأحقاف: ٣).

فالخلق لله كله خلقه الله تعالى بالحق، ولا يعلم الخلق كله إلا الله من حكمة عظيمة من خلقه، وجعلها من حقيقة ولا من أجل ذلك الحكم الذي على أن لا أنها عظيمة حكيمة(١).

إنَّ الله سبحانه وتعالى حكيم في خلقه وتدبيره، عليم بمصالح عباده لا يخلق شيئًا إلا بالحق، فهو العليم الحكيم، ومن الظنون الظن بأنه خلق الخلق باطلًا، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (ص: ٢٧).

قال السعدي رحمه الله: «يخبر تعالى أنه ما خلق السماوات والأرض عبثًا ولا لعبًا من غير فائدة، بل خلقها بالحق وللحق، ليستدل بها العباد على أنه الخالق العظيم المدبر الحكيم الرحمن الرحيم الذي له الكمال كله، والحمد كله، والعزة كلها، الصادق في لقائه الصادقة، وأن القادر على خلق السماوات والأرض -مع سعتها وعظمها- قادر على إعادة الأجساد بعد موتها، ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته»(٢).

فهذا يعني الحكم من خلق السماوات والأرض، أما خلق الإنس والجن فقد بين الله سبحانه الغاية من خلقهم فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٦-٥٨).

وقد أنكر سبحانه على من ظن أنهم خلقوا عبثًا مهملين، لا حساب عليهم ولا ثواب ولا عقاب، فقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون: ١١٥-١١٦).

وقد بين الله تعالى في آيات كثيرة من كتابه العزيز الغاية من خلق الخلق وحكمه

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٦/ ٣٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١٢.

[illegible] مقاصد [illegible]، ولذا يأتي بيان المقاصد على الخلق بين الجن والإنس خاصة، أما مقاصد خلق المخلوقات الأخرى [illegible].

أولاً: العبادة:

إن الله تعالى ما خلق الجن والإنس إلا للعبادة، وقد بيّن سبحانه ذلك [illegible] فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

فعبادة الله هي الغاية العظمى لخلق الجن والإنس، فما خلقهم إلا ليعبدوا ربهم، [illegible] والعبادة وذلك من خلال طاعة رسله، والقيام بأمره واجتناب نهيه، [illegible] تعالى[1].

فهذا هو المقصد الأعظم من خلق الجن والإنس، وهذه هي الغاية الكبرى، وما عدا ذلك من المقاصد والغايات لخلق الثقلين إنما هي [illegible] تحت هذه الغاية الكبرى وهي العبادة. [illegible] تعالى- أن يحققوا تلك الغاية من خلقهم [illegible] أن يعرفوا ربهم، [illegible] رسله، [illegible] أمره [illegible] الحكمة من خلقهم في ذلك سبحانه وتعالى.

وقد ذكر المفسرون هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ فقال بعضهم: المعنى: ما خلقتهم إلا [illegible] خاصة [illegible] السعداء منهم دون الأشقياء، وقال بعضهم: معنى ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا ليقروا لي بالعبودية طوعاً أو كرهاً؛ لأن المؤمن [illegible] والكافر [illegible] وقال بعضهم: معنى ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا لآمرهم بعبادتي، [illegible][2].

وقد رجّح الإمام الطبري رحمه الله القول [illegible] أن الله تعالى ما خلق الجن والإنس إلا [illegible] سبحانه بالعبودية طوعاً أو كرهاً[3].

ويرجح القول الأخير جماعة من المفسرين، منهم الإمام الشنقيطي رحمه الله إذ قال: [illegible] هذه الآية الكريمة: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، [illegible].

[2] انظر: [illegible].

[3] انظر: جامع البيان، الطبري، [illegible].

[illegible]

ثانيًا: الاستخلاف:

[illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ثالثًا: الابتلاء:

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: 7].

وقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: 7].

وفي مطلع سورة الملك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: 1-2].

ومعنى قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: [illegible] [illegible] [illegible]

ومعنى قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

رابعًا: الاختلاف:

[illegible] [illegible] [illegible] ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [illegible]

---

(1) تفسير السعدي [illegible].

(2) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل [illegible].

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible].

﴿[illegible] إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ [illegible]﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩].

وقد اقتضت حكمته [illegible]

[illegible]

وعلى هذا يكون الجمع بين الآيتين: الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والآية الأخرى: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ [illegible]﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩].

بأن الإرادة - التي أرادها الله تعالى من عباده - في الآية الأولى [illegible]

[illegible]

---

(١) انظر: [illegible]

(٢) انظر: [illegible]

دلالة العقل

لا شك في أن الخلق يدل على وجود الخالق، ولا ريب أن عظم الخلق يدل على عظم الخالق سبحانه وتعالى، وإذا تأمل العبد [illegible] من سماء وأرض، وجبال وأنهار، وأشجار، وأصناف الدواب والطيور، [illegible] عظمة الخالق سبحانه [illegible] السماوات والأرض التي [illegible] ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ [illegible]﴾ [غافر: 57]

ولا شك أن هذا الخلق العظيم الذي تعجز عن مجرد تصور عظمته وأبعاده عقول البشر - لا شك أن فيه دلالات عظيمة وبراهين جلية لا يغفل عنها إلا من أعمى الله بصره، وأصم أذنه، وختم على قلبه.

ولقد مدح الله تعالى عباده الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض، ويستدلون بما حولهم من خلق عظيم وآيات باهرة على عظيم قدرة ربهم تعالى، وعلى صدق رسله، وصدق وعده ووعيده، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ [illegible] فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 190-191].

فخلق الله تعالى فيه دلالات عظيمة، وبراهين جلية [illegible]

أولاً: دلالة الخلق على استحقاق الخالق للعبودية

إن الفطر السليمة، والعقول البصيرة تدرك أن من خلق وأوجد [illegible] ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 17].

[illegible]

﴿... تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ١١-٢٢].

وما أكثر الآيات في كتاب الله تعالى التي يوجه الله تعالى فيها عباده إلى التأمل والتفكر في مخلوقات السماوات والأرض ليخلصوا من ذلك عظمة الخالق البديع، ويخلصوا أنه لا يجوز أن يعبد غيره ولا يدعى سواه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

ففي هذه الآيات وأمثالها في كتاب الله تعالى استدل الله تعالى لعباده على وجوب عبادته وحده دون سواه بأنه سبحانه وحده هو الخالق المدبر؛ فما دام أنه سبحانه الخالق، وهو سبحانه المتفضل على العباد من النعم وأتم عليهم بالخلق والإيجاد وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة فهو سبحانه المستحق وحده للعبادة[١].

إذاً فالخالق هو المستحق للعبادة إذ المخلوق ضعيف محتاج إلى خالقه في وجوده وبقائه ورزقه ولا يمكن أن يستغني عنه بأي حال من الأحوال، فإذا كان الأمر كذلك فلا يجوز أن يعبد ذلك المخلوق الضعيف من دون عزيز حكيم[٢]، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

ففي هذه الآية رد الله تعالى على أولئك الضالين المشركين بكلمة واضحة إذ قال سبحانه: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، والتعبير في هذه اللفظة إنما هو على أولئك المشركين، ليكون المعنى: أن هؤلاء المشركين جعلوا من لم يخلقهم مثل خالقهم في العبادة وهذه غاية الجهالة إذ المستحق للعبادة هو الخالق لا غيره ولذا كان التعبير حقاً على المشركين من عبدة غير الله تعالى، ويكون المعنى: أن المشركين اتخذوا شركاء في العبادة وهؤلاء الشركاء لا يخلقون شيئاً والخالق هو الله تعالى، فكيف يطلب أن يجعلوا من غيره سبحانه[٣].

وقد أنكر الله -تعالى- في آيات كثيرة من كتابه العزيز- على من عبدوا مخلوقات مثلهم لا تخلق شيئاً، وإنما هي مخلوقة أمثالهم.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣].

قال الشنقيطي رحمه الله: أنكر تعالى في هذه الآية الكريمة على أنه هو المستحق للعبادة وحده لأنه هو الخالق ولا يستحق

---

[١] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٠٧/١)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص(٤٥).

[٣] انظر: البحر المحيط، أبي حيان (٤٨٦/٥).

من العقل أن يحيط بها إلا من خلقها وأبرز لنا من البديع إلى الوجود(١).

وقال سبحانه في آية أخرى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ويبين سبحانه حال تلك المعبودات من دونه فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝﴾ (النحل: ٢٠-٢١)

وما أعظم تلك الهداية الربانية التي [illegible] لهذه القلوب الغافلة، وتنبه العقول الغافلة التي [illegible] [illegible] أن يعبد غير الله تعالى من مخلوقات ضعيفة [illegible] يقول سبحانه وتعالى: ﴿[illegible]﴾

(الأعراف: ١٩١-١٩٢)

إن هذه المخلوقات في غاية العجز والضعف، لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً [illegible] فكيف يليق [illegible] على عبادة من كان هذا حاله؟!

إن الله تعالى هو خالق كل شيء، ولا خالق غيره [illegible] ﴿[illegible]﴾ ([illegible]: ١٠١)

ثالثاً: دلالة الخلق على قدرة الخالق على البعث:

إن من الدلالات العظيمة التي يدل عليها خلق الله تعالى الدلالة على قدرته سبحانه وتعالى على البعث، وإعادة الروح للحياة من جديد [illegible] الكفار [illegible] تلك الحقيقة العظيمة، فهذا القرآن الكريم بأعظم الأدلة وأحسنها لإثبات هذه الحقيقة العظمى.

وقد استدل القرآن الكريم على حقيقة البعث [illegible] دليل الخلق، [illegible]

---

(١) [illegible]

[illegible]

ويتلخص دليل الخلق على البعث في أن الله تعالى الذي خلق الخلق أول مرة قادر على إعادة الخلق مرة أخرى [illegible] الإيجاد الأول.

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible] العقل [illegible] الإيجاد الأول [illegible] الإيجاد الثاني [illegible]

وقال سبحانه [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

قال سبحانه وتعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

---

[1] [illegible]

[illegible] الإيجاد الأول، لقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (يس: [illegible]) [illegible] الإيجاد الأول على [illegible] الإيجاد الثاني[1]، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس ٧٨-٧٩).

انظر: البحث: منهج القرآن في تقرير عقيدة البعث.

التفكر في المخلوقات

ويوجد العديد من الآيات التي تدعو إلى التفكر والتأمل في خلق الله تعالى، والتي تدل على عظمة الله تعالى وقدرته، ومن هذه الآيات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ١٦٤).

وقد اشتملت هذه الآية على ثماني آيات كونية عظيمة دالة على عظمة الخالق تعالى، وقدرته، وفيها دعوة للتفكر والتأمل في خلق الله تعالى.

أول هذه الآيات الدالة على عظم خالقها هي السماوات، فالسماء على ارتفاعها [illegible] طبقات مستمرة ومرفوعة بغير عمد، والشاهد وكواكبها السيارة، وبروجها، ومدارات الكواكب فيها من أكبر الأدلة الدالة على قدرة المولى تعالى، وثانيها الأرض في [illegible] وسهولها، وكثافتها وانخفاضها، وجبالها، وبحارها، ووهادها، وعمرانها وما فيها من المنافع العظيمة من معادن عظيمة بداخلها، والتي تشهد على

---

[1] تفسير البيان ١/ ٢١٥.

وحماية خلائقه(١).

ثم جاءت الآية الثالثة [illegible] في اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما [illegible]، كما قال الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (يس: [illegible]).

[illegible] كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (النحل: ١٢).

[illegible] ذلك دليل على الخالق البديع(٢).

قال المفسرون: [illegible] في الليل والنهار أن انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون في النهار، وطلب النوم والراحة يكون في الليل، فاختلاف الليل والنهار إنما هو لتحصيل مصالح العباد(٣).

ثم الآية الرابعة متمثلة في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة: ١٦٤).

أي: تسخير البحر لحمل السفن التي تنقل الناس من جانب لآخر، ونقل تجاراتهم(٤) [illegible] في الفلك [illegible] على وجه الماء وهي موقرة بالأثقال والرجال، فلا ترسب، وحركتها بالريح مقبلة ومدبرة، وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينجي منه إلا الله تعالى(١).

ثم الآية الخامسة في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة: ١٦٤).

ففي هذه الآية دليل على قدرة الله تعالى، ولها عبرة لأولي الألباب والعقول، [illegible] الفكر والتأمل في خلق [illegible] وتعالى، [illegible]: ﴿[illegible]﴾ (البقرة: ٢٢).

[illegible] ذلك الماء الذي يسقي الأرض [illegible] جعل الماء نازلًا عليها من [illegible] السماء، وفي الآية [illegible] [illegible] [illegible] الماء نازلًا من السماء [illegible] [illegible] [illegible]

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]

(٣) لباب التأويل [illegible]

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]

(١) لباب التأويل (١/ ١٠٠).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]

وكما جاء في قوله تعالى: [illegible]

ثم تأتي الآية [illegible] في قوله تعالى: [illegible]

[illegible]

قال ابن عباس: [illegible]

[illegible]

[illegible]

من وجوه هذه الضرب؟ قيل: إن الإبل أكثر [illegible] العرب [illegible] من خصائص [illegible] من باقي الحيوانات.

وقد جاء ذكر هذه الخصائص في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] ٢٠-١٧].

[illegible] الإبل والبقر والغنم [illegible] [illegible]⁽¹⁾ [illegible] سائر الحيوانات لا يجتمع فيه هذه الخصائص [illegible] من السحاب⁽²⁾.

قال الإمام الرازي: «إنه في كل واحد من هذه الخصائص أفضل من الحيوانات التي لا يوجد فيه إلا تلك الخصلة، لأنها إن جعلت حلوبة [illegible] وإن جعلت أكولة [illegible] وإن جعلت ركوبة [illegible] المسافات [illegible] لا يمكن قطعه بحيوان آخر، وكذلك [illegible] من قوة احتمال [illegible] على السير والصبر على العطش، بالأحمال [illegible] [illegible] حيوان آخر، وقد جعلت [illegible] يحمل الأحمال الثقيلة التي لا يستقل بها سواها، [illegible] أن هذا الحيوان [illegible] أعظم الحيوانات [illegible] في قلب العرب [illegible] الإنسان [illegible] من غيره⁽³⁾.

فكيف يصبح المشركون إنكار البعث والمعاد واستبعاد وقوع ذلك، وهم يشاهدون الإبل التي في غالب مراعيهم [illegible] كيف خلقها الله على هذا النحو البديع، من عظم الجثة [illegible] في خلق عجيب وتركيب غريب، ومع ذلك تراها تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، [illegible] وتصبر على الجوع والعطش، [illegible] فتبارك الله أحسن الخالقين⁽⁴⁾.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠/[illegible].

(2) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٣١/[illegible].

(3) المصدر السابق.

(4) انظر: روح المعاني، الآلوسي، [illegible] محاسن التأويل، القاسمي، [illegible] التفسير المنير، الزحيلي، [illegible].

وتصحح هذه الآية وما قبلها من بعض أهل الكفر الذين جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم وأنكروا قدرة الله تعالى على البعث والجزاء فكان الرد من الله تعالى عليهم ودحض حججهم.

قال أهل التفسير: نزلت هذه الآية في العاص بن وائل السهمي، وقيل: في أبي بن خلف الجمحي، وذلك أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فقال: يا محمد أترى أن الله يحيي هذا بعد ما رم؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم ويبعثك الله ويدخلك النار) فنزلت هذه الآية(1).

فالله تعالى يرد على منكري البعث الذين يستبعدون عودة العظام إلى الحياة بعد أن تصبح بالية، فهذا الإنسان الجاهل المجادل بالباطل، ضرب مثلاً [illegible] في غاية الغرابة، حيث أنكر قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، [illegible] من يحيي العظام وهي رميم؟

ونسي أصل خلقه من تراب [illegible] ثم المراحل التي يمر بها خلق الإنسان [illegible] العظام [illegible] الإنسان [illegible]

جانب الاستبعاد من البلى والفناء(1).

لهذا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالجواب الذي يخرس ألسنة المنكرين للبعث فقال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: 79].

أي: يحيي العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها أين ذهبت، وأين تفرقت وتمزقت(2).

[illegible] الكافر والاستبعاد [illegible] الإنسان [illegible] خلق الله تعالى [illegible] والأرضية.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21].

في هذه الآية حث من المولى على الإنسان على التفكر والتدبر في خلقه فيها دلالة واضحة على أن الإنسان [illegible] في خلقه، ودليل على توحيد الله، وصدق ما جاءت به الرسل، فالله تعالى يخاطبهم: أفلا تبصرون [illegible]

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، [illegible]

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي [illegible]

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]

[illegible] والأرياح [illegible] [illegible] بالصدفة ولا بالطبيعة، وإنما [illegible] الله القادر على كل شيء [illegible] البعث وإعادة الحياة في النفس من [illegible] [illegible] من مرحلة إلى أخرى، وما في [illegible] المشاهد، واختلاف الأزواج والألسنة والصور، من الأدلة الناطقة على قدرته تعالى ووحدانيته[1].

قال ابن عجيبة: ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] القدرة إذ ليس شيء في العالم إلا وفي الآدمي له نظير، مع ما فيه من [illegible] [illegible] العجيبة، خلقه نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم [illegible] إلى العظم والعصب والعروق [illegible] [illegible] بعضها إلى بعض [illegible] [illegible] [illegible] لا يقوم ولا يمشي، ولا [illegible] ولا يسمع، [illegible] ثم خلق تعالى [illegible] في الطعام في [illegible] [illegible] [illegible] ثم خلق سبحانه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ثم خلق سبحانه العروق في جميع الجسد [illegible] [illegible] منها إلى أركان الجسد لكل موضع من الجسد عدد [illegible] ثم أجرى الدم في العروق سيالاً [illegible] ولو كان يابساً [illegible] [illegible] لم يجر في العروق، ثم كسى سبحانه اللحم بالجلد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولولا ذلك [illegible] [illegible] [illegible] وجعلها سبحانه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على جميع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ثم خلق سبحانه [illegible] [illegible] على الفم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] خلق الله سبحانه الأسنان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لكسر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] للأضراس إلى غير ذلك مما في الإنسان من عجائب الصنع وبدائع التركيب[2].

ثم [illegible] سبحانه وتعالى الآية الكريمة بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: أفلا تنظرون نظر من يعتبر، فإن [illegible] من تفكر في خلق

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، [illegible]

[2] البحر المديد، ابن عجيبة، [illegible]

نفسه عرف أنه إنما خلق وأوتي مقامه لمعرفته[1].

موضوعات ذات علاقة

آدم، الأرض، الإنسان، البصر، التفكر، الجبال، الحكمة، الحيوان، السماء، السير

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤١٩/١).

الخمر

عناصر الموضوع

مفهوم الخمر ٩٥
الخمر في الاستعمال القرآني ٩٥
الألفاظ ذات الصلة ٩٦
حقيقة الخمر ٩٨
التدرج في تشريع حكم الخمر ١٠٦
مقاصد تحريم الخمر ١١٣
أحكام تتعلق بالخمر ١١٦
خمر الجنة ١٢٢
صفة مجالسها في الجنة ١٢٢
الإعجاز التشريعي في تحريم الخمر ١٢٩
أثر الخمر على الفرد والمجتمع ١٣٦

[illegible]

مفهوم الخمر

أولاً: المعنى اللغوي:

أصل مادة (خمر) تدل على التغطية والمخالطة في ستر[1].

والخَمْرُ: ما أسكر من عصير العنب أو غيره لأنها خامرت العقل[2].

سميت الخمر خمراً لأنها تُركت فاختمرت، واختمارها تغيُّر ريحها، ويقال: سُمِّيت بذلك لمخامرتها العقل[3].

والتخمير: التغطية[4].

وهذه المعاني الثلاثة: التغطية والمخالطة والستر، كلها موجودة في الخمر:

1. فهي تحجب العقل وتستره.
2. وهي تخالط عقل الشارب ويظهر على تصرفاته.
3. وهي تخالط العقل.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

الخمر اصطلاحاً: كل شراب مسكر، من أي أصل، سواء كان من الثمار كالعنب والرطب والتين، أو الحبوب كالحنطة والشعير، أو الحلويات كالعسل، أو الحيوان كالألبان الحليب[5].

---

(1) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس ٢/٢١٥.

(2) انظر: الصحاح، والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده ٥/١٨٥.

(3) المصباح المنير ١/١٨١.

(4) تهذيب اللغة، للأزهري ٧/٢٧٣.

(5) الموسوعة الفقهية ص ٥.

الخمر في الاستعمال القرآني

وردت مادة (خمر) في القرآن الكريم (٧) مرات[1].

والصيغ التي وردت هي:

الآيات	عدد المرات	الصيغة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠)	٦	الاسم
﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور: ٣١)	١	جمع خمار

ولم تخرج (الخمر) في الاستعمال القرآني عن معناه اللغوي وهو: كل شراب مسكر، والخمر سميت بذلك لأنها تستر العقل[2].

---

[1] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، ص ٢٤٨.

[2] انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٢/ ٥٧٢، عمدة الحفاظ، السمين الحلبي ١/ ٥٧٢-٥٧٤.

الألفاظ ذات الصلة

1 الكأس

الكأس لغة:

الزجاجة ما دام فيها شراب، ولا تسمى الكأس كأسًا إلا وفيها الشراب، وقيل: الكأس: الشراب بعينه، وقيل: هو اسم للخمر نفسها[1].

الكأس اصطلاحًا:

لا يختلف معنى الكأس اصطلاحًا عن معناه اللغوي.

الصلة بين الكأس والخمر:

الكأس هو القدح الذي يشرب به الناس إذا كان فيه الخمر، ويطلق على الشراب بعينه، وقد جاء في القرآن الكريم إطلاق الكأس على الخمر في قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝﴾ [الصافات: 45] يعني الخمر[2].

2 الشراب

الشراب لغة:

يقال: شربت الماء أشربه شربًا، والشُّرب الاسم، والشراب: ما يشرب[3].

الشراب اصطلاحًا:

الشراب: كل مائع يشرب سواء كان ماءً أو غير الماء.

الصلة بين الشراب والخمر:

أن الشراب أعم عمومًا في كل ما يشرب، وقد جاء في القرآن الكريم إطلاقه على الخمر في قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: 21] أي: خمر الجنة[4].

---

[1] لسان العرب، ابن منظور 6/188.

[2] انظر: جامع البيان، الطبري 21/32، زاد المسير، ابن الجوزي 7/ [illegible].

[3] انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس 3/267.

[4] زاد المسير، ابن الجوزي 4/ [illegible].

المسكر

المسكر لغة:

أصل مادة السكر: تدل على حيرة. من ذلك السُّكر من الشراب[1].

والسكران: خلاف الصاحي، والجمع سُكارى وسَكارى[2].

المسكر اصطلاحًا:

وأما السكر: فهو حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب المسكر، وقد يعتري من الغضب والعشق[3].

الصلة بين المسكر والخمر:

كل ما يؤدي إلى السكر فهو خمر؛ لما جاء في صحيح مسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام).

والتحقيق يفيد أن كل ما أسكر يسمى خمرًا، وأن كل مسكر محرم سواء أطلق عليه اسم الخمر، أم أطلق عليه اسم آخر؛ لأن علة التحريم هي الإسكار، فمتى وجد وجدت الحرمة.

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٨٩.

[2] الصحاح للجوهري ٢/٦٨٧.

[3] المفردات للراغب الأصفهاني ص ٤١٦.

حقيقة الخمر

أولاً: كل مسكر خمر:

اختلف في حقيقة الخمر فقيل هي من عصير العنب خاصة، وهو مذهب أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - والكوفيين، مراعاة [illegible] اللغة، أو جاء أي: ما أسكر من عصير العنب [illegible] على السكر [illegible] المعاصر(١).

وقد [illegible] الظاهرية وأكثر العلماء في كونها اسماً لكل مسكر أو لكل المتخذ من العنب والتمر، قال القرطبي وأصحابه: الخمر سميت لكونها خامرة للعقل أي ساترة، وعن بعض الناس اسم لكل مسكر، [illegible] اسم المتخذ من العنب والتمر، لما روي عنه صلى الله عليه وسلم: «الخمر من هاتين الشجرتين: النخلة والعنبة»، [illegible] التي [illegible] اسم الخمر [illegible] فيها(٢).

ويبني على هذا الخلاف [illegible] مسألة فقهية وهي حكم ما أسكر كثيره ولم يسكر قليله: [illegible] ما يسكر يسمى خمراً [illegible] القليل [illegible] ولم يسكر [illegible] اسم الخمر عليه، [illegible] لم يسم خمراً لم يحرم قليله لعدم تحقق العلة التي [illegible]

بينها على الخمر فيه، قال الجصاص: «وقد اختلف فيما يتناوله اسم الخمر من الأشربة، فقال الجمهور الأعظم من الفقهاء: اسم الخمر في الحقيقة يتناول النيء المشتد من ماء العنب، وروي عن أهل المدينة ومالك والشافعي أنه قال: ما أسكر كثيره من الأشربة فهو خمر، [illegible]»(١).

وقد خرج القرطبي من هذا الخلاف [illegible] فقال: «والخمر ماء العنب الذي غلى أو طبخ، وما خامر العقل من غيره فهو في حكمه؛ لأن إجماع الأمة أن القمار كله حرام، وإنما ذكر الميسر من بينه فجعل كله قياساً على الميسر، والميسر إنما كان قماراً في الجزور خاصة، فكذلك كل ما كان كالخمر فهو بمنزلتها»(٢).

[illegible] على تحريم جميع أنواع القمار مع دلالة الميسر على نوع خاص منها فقط، [illegible] على تحريم كل المسكرات، [illegible] واحد وإن خص اسم الخمر على نوع خاص منها فقط، [illegible] الجمهور من الأئمة على أن ما أسكر كثيره من غير عصير العنب فمحرم قليله وكثيره، والحد في ذلك واجب. وقال أبو حنيفة والثوري وابن أبي ليلى وابن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible].
(٢) [illegible].

(١) أحكام القرآن للجصاص [illegible].
(٢) الجامع لأحكام القرآن القرطبي [illegible].

غيرها وجماعة من فقهاء الكوفة: ما أسكر كثيره من غير العنب فهو حلال، وإذا سكر منه أحد دون أن يتعمد الوصول إلى حد السكر فلا حد عليه، وهذا ضعيف يرده النظر والنقل(١).

والخمر الذي ذكره القرطبي جملة الحديث منها ما رواه البخاري من أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن عائشة قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع، فقال: (كل شراب أسكر فهو حرام)(٢).

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة)(٣).

وفي صحيح البخاري أيضا عن أنس قال: "حرمت علينا الخمر حين حرمت وما نجد -يعني بالمدينة- خمر الأعناب إلا قليلا، وعامة خمرنا البسر والتمر"(٤).

وعن ابن عمر قال: سمعت عمر رضي الله عنه على منبر النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (أما بعد أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة: من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل)(٥).

قال ابن حجر: [illegible] أصحاب المسانيد والأبواب في الأحاديث المرفوعة لأنه له حكم الرفع؛ لأنه خبر صحابي شهد التنزيل أخبر عن سبب نزولها، وقد خطب به عمر على المنبر بحضرة كبار الصحابة وغيرهم فلم ينقل عن أحد منهم إنكاره، وأراد عمر بنزول تحريم الخمر آية المائدة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ} إلى آخرها، فأراد عمر التنبيه على أن المراد بالخمر في هذه الآية ليس خاصا بالمتخذ من العنب بل يتناول المتخذ من غيرها، ويوافقه حديث أنس الماضي فإنه يدل على أن الصحابة فهموا من تحريم الخمر تحريم كل مسكر، سواء كان من العنب أو من غيرها، وقد جاء هذا الذي قاله عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم صريحا، فأخرج أصحاب السنن الأربعة(٦)

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب الخمر من العسل، ٢١٠٢/٥، رقم ٥٢٦٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، ١٥٨٧/٣، رقم ٢٠٠٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب الخمر من العنب، ٢١٠٢/٥، رقم ٥٢٥٨.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان}، ١٦٨٨/٤، رقم ٤٣٤٣.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأشربة، باب الخمر مما هي، ٣٢٦/٣، رقم ٣٦٧٦، والنسائي في سننه، كتاب الأشربة، باب ذكر الأشربة التي كانت منها الخمر.

ومسلم أبي حيان من وجهين عن الشعبي أنه سمع ابن بشير يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الخمر من العصير والزبيب والتمر والحنطة والشعير والذرة وإني أنهاكم عن كل مسكر) ولأبي داود من وجه آخر عن الشعبي عن النعمان بلفظ: (إن من العنب خمرًا وإن من التمر خمرًا وإن من العسل خمرًا وإن من البر خمرًا وإن من الشعير خمرًا)[1]. ولأحمد من حديث أنس بسند صحيح عنه قال: (الخمر من العنب والتمر والعسل). ولأحمد من حديث أنس بسند صحيح عنه قال: (الخمر من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والذرة)[2].

والبخاري أيضًا عن أنس قال: (كنت قائمًا على الحي أسقيهم عمومتي وأنا أصغرهم الفضيخ، فقيل: حرمت الخمر، فقالوا: أكفئها، فكفأتها. قلت لأنس: ما شرابهم؟ قال: رطب وبسر، فقال أبو بكر بن أنس: وكانت خمرهم، فلم ينكر أنس. وحدثني بعض أصحابي أنه سمع أنس بن مالك يقول: (كانت خمرهم يومئذ)[3].

ومن وجه آخر عنه قال: (كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم الخمر، فأمر مناديًا فنادى، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت، قال: فخرجت فقلت: هذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، فقال لي: اذهب فأهرقها. قال: فجرت في سكك المدينة. قال: وكانت خمرهم يومئذ الفضيخ. فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم. قال: فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣])[1].

قال القرطبي: هذا الحديث في نزول الآية فيه دليل واضح على أن نبيذ التمر إذا أسكر خمر، وهو نص ولا يجوز الاعتراض عليه؛ لأن الصحابة رحمهم الله هم أهل اللسان، وقد عقلوا أن شرابهم ذلك خمر؛ إذ لم يكن لهم شراب ذلك الوقت بالمدينة غيره.

ومن الدليل الواضح على ذلك ما رواه النسائي: أخبرنا القاسم بن زكريا، أخبرنا عبيد الله عن شيبان عن الأعمش عن محارب بن دثار عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الزبيب والتمر هو الخمر). وثبت بالنقل الصحيح أن عمر بن الخطاب

---

[1] [illegible]

[2] فتح الباري لابن حجر [illegible]

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب نزل تحريم الخمر وهي من البسر والتمر [illegible]

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا [illegible]

رضي الله عنه -وحسبك به عالمًا باللسان والشرع- خطب على منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا أيها الناس، ألا إنه قد نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة: من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل). وهذا أبين ما يكون في معنى الخمر، يخطب به عمر بالمدينة على المنبر بمحضر جماعة الصحابة وهم أهل اللسان ولم يفهموا من الخمر إلا ما ذكرناه. وإذا ثبت هذا بطل مذهب أبي حنيفة والكوفيين القائلين بأن الخمر لا تكون إلا من العنب وما كان من غيره لا يسمى خمرًا ولا يتناوله اسم الخمر، وإنما يسمى نبيذًا)[1].

وقال ابن العربي: (والصحيح ما روى الأئمة أن أنسًا قال: (حرمت الخمر يوم حرمت وما بالمدينة خمر الأعناب إلا قليل، وعامة خمرها البسر والتمر)، خرجه البخاري. واتفق الأئمة على رواية أن الصحابة إذ حرمت الخمر لم يكن عندهم يومئذ خمر عنب وإنما كانوا يشربون خمر النبيذ فكسروا دنانهم وبادروا الامتثال لاعتقادهم أن ذلك كله خمر. ويتبع من عمر رضي الله عنه قال على المنبر: (ألا إن تحريم الخمر نزل وهي من خمسة: العنب والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل)[2].

فلا تعلق لأبي حنيفة بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة ذكرناها في شرح الحديث، ومسائل الخلاف فلا يلتفت إليها)[3].

والأحاديث صريحة في تحريم قليل ما يسكر كثيره: فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أسكر كثيره فقليله حرام)[4].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل مسكر حرام، وما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام)[5]، وفي رواية للترمذي: (الحسوة منه حرام)[6].

---

[1] الجامع لأحكام القرآن القرطبي (٦/ ٢٩٥).

[2] أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٠٦).

[3] المصدر السابق.

[4] أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر (٣/ ٣٢٧)، رقم ٣٦٨١، والترمذي في سننه أبواب الأشربة، باب ما جاء ما أسكر كثيره فقليله حرام (٤/ ٢٩٢)، رقم ١٨٦٥. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٧٠) برقم ٥٥٣٠.

[5] أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر (٣/ ٣٢٩)، رقم ٣٦٨٧.

[6] أخرجه الترمذي في سننه أبواب الأشربة، باب ما جاء ما أسكر كثيره فقليله حرام (٤/ ٢٩٢) رقم ١٨٦٦. قال الترمذي: هذا حديث حسن. وصححه الألباني في إرواء الغليل (٨/ ٤٢) رقم ٢٣٧٦.

ثانيًا: نجاسة الخمر:

تمسك أولًا بسورة المائدة على أن الخمر رجس: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾.

والرجس هو الشيء يلزم اجتنابه إما لنجاسته وإما لقبح ما يفعل به فيجب أن تطهير لأنه يقال: رجس نجس، فوجه بالرجس: النجس ويقع أحيانًا الأمر لقولهم: حسن بين رجسه [illegible] وما جرى مجرى ذلك[1].

والرجس: هو النجس، وقد روي في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بحجرين وروثة، فأخذ الحجرين وألقى الروثة وقال: إنها ركس[2]، أي: نجس. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم الرجس النجس الخبيث المخبث[3].

وأخذ من إطلاق الرجس عليها الحكم بنجاستها أحد جمهور الفقهاء فقال البخاري: الخمر وما يشتق بها نجسة العين، ويشتد على نجاستها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (المائدة: ٩٠).

والرجس في اللغة: النجس والشيء المستقذر، وقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أمر باجتنابها لكونها نجسة العين[1].

والقول بنجاستها هو الذي عليه عامة الفقهاء. إجراء للظاهر الآية لا خلاف في ذلك بين الناس إلا ما يؤثر عن ربيعة أنه قال: إنها محرمة وهي طاهرة كالحرير عند مالك محرم مع أنه طاهر، ويعضد ذلك من طريق المعنى أن تمام تحريمها وكمال الردع عنها الحكم بنجاستها حتى يتقذرها الناس، ولذلك جعلها الشرع رجسًا بالنجاسة والرجس بالتحريم، فالحكم بنجاستها يوجب التحريم[2].

وقد ذهبت طائفة من الفقهاء إلى طهارة عينها مع كونها محرمة مستدلين على ذلك بإراقتها في طرقات المدينة كما نص على ذلك القرطبي: فأما فهم الجمهور من تحريم الخمر، واستخباث الشرع لها، وإطلاق الرجس عليها، والأمر باجتنابها الحكم بنجاستها، وخالفهم في ذلك ربيعة والليث بن سعد والمزني صاحب الشافعي، وبعض المتأخرين من البغداديين والقرويين فرأوا أنها طاهرة، وأن المحرم إنما هو شربها، وقد استدل سعيد بن الحداد القروي على طهارتها بسفكها في طرق المدينة

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٢٨).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب لا يستنجى بروث (١/ ٤٣)، رقم ١٥٦.
(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٦٤).

(١) لباب التأويل (٢/ ١٤٠).
(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٦٥).

قال: ولو كانت نسبة لما فعل ذلك الصحابة رضوان الله عليهم ولنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه كما نهى عن [illegible] في الطريقة[1].

وأجاب القرطبي عن ذلك بأن الطرائف كانت واسعة وأنه كان يمكن العبور [illegible] في الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الطريق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا يقطع [illegible] [illegible] الناس [illegible] على ذلك، والله أعلم[2].

ثالثا: حكمة القرآن الكريم بأعمال الجاهلية:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

فقرنت الآية بين الخمر والميسر وبين الأنصاب والأزلام وجعلت جميعها رجسا من عمل الشيطان.

ولذلك ذكرت الأنصاب والأزلام في مطلع السورة نفسها في قوله سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].

والنصب جمع نصب، وهو الحجر كان ينصب فيعبد، ويقال: هو النصب، وهو حجر ينصب بين يدي الصنم تصب عليه دماء الذبائح للأصنام[1].

وقيل: جمع؛ فواحدة نصاب كحمار وحمر. وقيل: هو اسم مفرد والجمع أنصاب [illegible] [illegible][2].

[illegible] الأنصاب في الأصنام، لأنها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

---

[1] [illegible] ٣/ ٢٨٥.

[2] المصدر السابق.

[1] [illegible]

[2] الجامع لأحكام القرآن القرطبي [illegible]

حجارة النصب للكعبة ويقربون حجارة منهم من يقول: كانت تلطخ منها للأنصاب [illegible] إذا ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل من البيت وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة فقال المسلمون: يا رسول الله كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن أحق أن نعظمه، فكأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكره ذلك، فأنزل الله: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ [الحج: ٣٧](١).

وروى القرطبي أن النهي موجه إلى تعظيمها لا إلى الذبح عليها، لأنه [illegible] وأنها لها تعظيم النصب لا أن الذبح عليها غير حلال(٢).

وروى ابن كثير أن صورة الذبح عليها [illegible] قال: نهى الله المؤمنين عن [illegible] وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، فينبغي أن يحمل هذا على هذا لأنه تقدم تحريم ما أهل به لغير الله(٣).

وليس هذا موضع بسط هذه المسألة ولكن المقصود معرفة أن هذه الأنصاب قد ارتبطت بصنم من أصنام الشرك التي في الجاهلية ثم قرنها القرآن الكريم بالخمر والميسر.

والأزلام، أو الاستقسام بالأزلام المنصوص عليه في قوله سبحانه: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ [illegible] والشر بالأزلام، تلك الأسهم التي كان أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم سفرًا أو غزوًا أو تجارة أو غير ذلك طلب من الأزلام، وهي قداح [illegible] مكتوب على بعضها: أمرني ربي، وعلى بعضها: نهاني ربي، فإذا خرج السهم الآمر مضى لحاجته، وإن خرج السهم الناهي لم يمض، [illegible](١).

والمتأمل للآية التي سطر بعد نزولها الحكم على تحريم الخمر يلاحظ أنها لم تكتف بالأمر باجتنابها فقط، حتى تصرح بها ولكنها جمعت [illegible] أمور من الجاهلية قربها من الشرك، وتصف على أنها من عمل الشيطان، وقررت أن في اجتنابها الفلاح، وذكرت أنها توقع العداوة والبغضاء، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

وجاء في اقترانها بأعمال الجاهلية التي هي من مظاهر الشرك تخويف المؤمنين من الشرك ومن مظاهر الجاهلية، تحريم الخمر والميسر هو المقصود الأساسي في الآية، وذكر الأنصاب والأزلام التي تقدم النص عليها معها لأجل بيان الحرمة [illegible]

---

(١) جامع البيان، للطبري [illegible].

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible].

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير [illegible].

(١) التفسير الوسيط، الواحدي [illegible].

[illegible] الخمر والميسر [illegible] الأربعة [illegible] في القبح والمفسدة [illegible] الخمر والميسر [illegible] الأنصاب والأزلام إلى الخمر والميسر [illegible] الخمر والميسر، [illegible] بالذكر(1).

وفي ذلك [illegible] الأنصاب والأزلام مع الخمر والميسر [illegible] الخمر والميسر(2).

[illegible] أن الآية [illegible] أسباب الضرر في الدين والدنيا [illegible]

[illegible] الخمر والميسر [illegible] الأنصاب [illegible] الأزلام [illegible] الخمر والميسر [illegible]

[illegible]

[illegible] الأزلام [illegible] الأنصاب والأزلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

(1) المصدر السابق.

(2) [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] وبجهالة [illegible][1].

التدرج في تشريع حكم الخمر

مع أن حكم الخمر قد استقر على التحريم إلا أن الحكم لم يشرع في فترة مبكرة، ولا نزل الحكم مرة واحدة؛ قال بعض المفسرين: إن الله تعالى لم يدع شيئاً من الكرامة والبر إلا أعطاه هذه الأمة، ومن كرامته وإحسانه أنه لم يوجب عليهم الشرائع دفعة واحدة، ولكن أوجب عليهم مرة بعد مرة، فكذلك تحريم الخمر.

وهذه الآية -آية البقرة- أول ما نزل في أمر الخمر، ثم بعده: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] ثم قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ ثم قوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

ويؤيد ذلك ما روى البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً[3].

---

(١) المصدر السابق.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣/ ٥٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل

ولما ذكرنا جملة الآيات التي نصت على حكم الخمر أو أشارت إليه في القرآن الكريم بحسب ترتيبها في المصحف:

- قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 219].
- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: 43].
- وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: 90-91](1).
- وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: 67].

هذا ترتيبها في المصحف، أما ترتيبها في النزول، فقد تقدم آية النحل: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ متضمنة لحكم الخمر في أول الأمر، ثم نزلت آية البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، ثم آية النساء: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [النساء: 43]، ثم آية المائدة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾، ثم الآيتان: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾.

هل آية النحل أول آية نزلت في حكم الخمر؟

روى ابن جرير بسنده عن إبراهيم والشعبي وأبي رزين: أنهم قالوا هي منسوخة في هذه الآية ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ [النحل: 67](1)، وهو رأي طائفة من المفسرين منهم ابن العربي(2).

---

(1) القرآن، باب تأليف القرآن، رقم [illegible].

(2) [illegible]

(1) جامع البيان، الطبري [illegible].

(2) أحكام القرآن، ابن العربي [illegible].

وعلى هذا القول فهي آية [illegible] في حكم [illegible].

ويرى طائفة أخرى أن الآية غير منسوخة لأن السكر في الآية غير الخمر؛ ولأنه لا [illegible] الآية [illegible] لا يدخله النسخ.

قال ابن عطية: [illegible] السكر أيضاً في كلام العرب ما يطعم [illegible] الطبري هذا القول، ولا [illegible] ولا نسخ من الآية [illegible]. [illegible] الفرقة التي رأت السكر الخمر: إن هذه الآية منسوخة بتحريم الخمر، وفي هذه المقالة نظر لأن النسخ إنما يكون في حكم [illegible] مشروع[1].

وقال [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] والأخبار لا يدخلها النسخ [illegible] الآية [illegible] الخمر [illegible] [illegible] منسوخة[2].

ورد ذلك ابن العربي [illegible]: إن الخبر إذا كان عن شيء له [illegible] في الشريعة أو من الكتاب [illegible] النسخ. أما الخبر عن الحكم [illegible] [illegible] كيف [illegible]

ويرجع هذا الحكم، وهو خبر، والأخبار لا يدخلها النسخ.

[illegible] هذا كلام من لم [illegible] [illegible] الخبر إذا كان عن [illegible] لا يدخله نسخ، أو كان عن [illegible] لا يدخله نسخ [illegible] من حكم الشرع [illegible] الأحكام [illegible] [illegible] في الخبر أو الشرع الذي [illegible].

[illegible] الذي أمر الله من الكفار ثم يقول تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] ما [illegible] من ذلك [illegible] الكتاب[3].

[illegible] في [illegible] الله [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible] في [illegible].

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] أحكام القرآن لابن العربي [illegible]

ومن ذلك ما رواه أبو داود عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميسرة عن عمر بن الخطاب قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزلت الآية التي في البقرة ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢١٩) قال: فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزلت الآية التي في النساء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ (النساء: ٤٣) فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقيمت الصلاة ينادي: ألا لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزلت هذه الآية ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ قال عمر: انتهينا[1].

وروى أحمد عن أبي هريرة قال: حرمت الخمر ثلاث مرات، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (البقرة: ٢١٩) إلى آخر الآية. فقال الناس: ما حرم علينا، إنما قال: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ وكانوا يشربون الخمر، حتى إذا كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين، أم أصحابه في المغرب، خلط في قراءته، فأنزل الله فيها آية أغلظ منها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء: ٤٣) وكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مفيق، ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠) فقالوا: انتهينا ربنا. فقال الناس: يا رسول الله، ناس قتلوا في سبيل الله، وماتوا على فرشهم، كانوا يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجسا من عمل الشيطان، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ إلى آخر الآية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو حرم عليهم لتركوه كما تركتم»[2].

---

[1] أخرجه أبو داود، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، [illegible]. قال الألباني: صحيح، [illegible].

[2] أخرجه أحمد في مسنده [illegible]. قال المحقق: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف أبي معشر [illegible].

في مدينة الآيتين ترتيب نزول الآيات الثلاث وأن الله تعالى أجابه من أسئلة من الصحابة رضوان الله عليهم وفي روايات أخرى أنها نزلت إثر حوادث:

فمن ذلك ما يروى عن علي بن أبي طالب: أنه وجماعة من الأنصار صنع لهم عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعاهم قبل أن تحرم الخمر، فأمهم علي في المغرب فقرأ {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} فخلط فيها فنزلت {لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء: ٤٣](١).

وفي صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: أتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقك خمرا، وذلك قبل أن تحرم الخمر، قال: فأتيتهم في حش -والحش: البستان- فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر، قال: فأكلت وشربت معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، قال: فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به فجرح بأنفي، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فأنزل الله عز وجل فيَّ -يعني نفسه- شأن الخمر: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} [المائدة: ٩٠](٢).

وقال الواحدي: نزلت تحريم الخمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب قبل تحريمها ومنه قصة علي بن أبي طالب مع حمزة رضي الله عنهما(٣).

ثم مثل ما روى البخاري في صحيحه عن علي قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاني شارفا من الخمس، فلما أردت أن أبتني بفاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه من الصواغين وأستعين به في وليمة عرسي، فبينا أنا أجمع لشارفي من الأقتاب والغرائر والحبال، وشارفاي مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار، حتى جمعت ما جمعت، فإذا أنا بشارفي قد أجبت أسنمتهما، وبقرت خواصرهما، وأخذ من أكبادهما، فلم أملك عيني حين رأيت المنظر، قلت: من فعل هذا؟ قالوا: فعله حمزة بن عبد المطلب، وهو في هذا البيت في شرب من الأنصار، عنده قينة وأصحابه، فقالت في غنائها: ألا يا حمز

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، ٣/٣٢٥، برقم ٣٦٧١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢/٤٢٤ برقم ٣١٢٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص، ٤/١٨٧٧، برقم ١٧٤٨.

(٣) أسباب النزول، الواحدي ص ٢٠٨.

الشرف النواء. فثار إليهما حمزة بالسيف فجب أسنمتهما وبقر خواصرهما، ثم أخذ من أكبادهما. قال علي: فانطلقت حتى أدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم الذي لقيت، فقال: ما لك؟ فقلت: يا رسول الله، ما رأيت كاليوم، عدا حمزة على ناقتي، فأجب أسنمتهما وبقر خواصرهما، وها هو ذا في بيت معه شرب. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بردائه فارتدى، ثم انطلق يمشي، واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة، فاستأذن عليه، فأذن له، فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل، فإذا حمزة ثمل محمرة عيناه، فنظر حمزة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم صعد النظر فنظر إلى ركبته، ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه، ثم قال حمزة: وهل أنتم إلا عبيد لأبي؟ فعرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه ثمل، فنكص رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقبيه القهقرى، فخرج وخرجنا معه(١). وليس في هذه الرواية تصريح بسبب النزول.

وهذا صريح الروايات السابقة على أن آية المائدة نزلت [illegible] القرطبي على أن آية المائدة مهما نزلت قبل الأولى فقال: [illegible] الآية -آية البقرة- أول ما نزل في أمر الخمر، ثم بعده ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، ثم قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، ثم قوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠](١).

غير أنه لم يشكر على هذه رواية [illegible] المائدة [illegible] الأنصار شربوا الخمر [illegible] فلما صحوا [illegible] في وجوه بعض آثار ما [illegible] ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣](٢).

[illegible] أن حرمة الخمر لم تظهر إلا بعد نزول آية المائدة، وأنه حرم بصفة [illegible] والصحيح [illegible] من الصحابة من [illegible] يشرب الخمر لما لم تنسخ إباحتها.

وقد ذكر الجصاص(٣) [illegible] يجري على

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، [illegible] رقم ٤٠٠٣.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible].
(٢) المصدر السابق [illegible].

فاسم فقال: فقال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] هذه الآية قد اقتضت تحريم الخمر ولو لم يرد غيرها في تحريمها لكانت كافية مغنية وذلك لقوله: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ والإثم كله محرم بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فأخبر أن الإثم محرم، ولم يقتصر على إخباره بأن فيها إثمًا حتى وصفه بأنه كبير تأكيدًا لحظرها. وقوله: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ لا دلالة فيه على إباحتها؛ لأن المراد منافع الدنيا، وأن في سائر المحرمات منافع لمرتكبيها في دنياهم، إلا أن تلك المنافع لا تفي بضررها من العقاب المستحق بارتكابها، فذكره لمنافعها غير دال على إباحتها لا سيما وقد أكد حظرها مع ذكر منافعها بقوله في سياق الآية: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ يعني أن ما يستحق بهما من العقاب أعظم من النفع العاجل الذي يبتغي منهما.

ومما نزل في شأن الخمر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] وليس في هذه الآية دلالة على تحريم ما لم يسكر منها وفيها الدلالة على تحريم ما يسكر منها؛ لأنه إذا كانت الصلاة فرضًا نحن مأمورون بفعلها في أوقاتها فكل ما أدى إلى المنع منها فهو محظور، فإذا كانت الصلاة ممنوعًا منها في حال السكر، وكان شربها مؤديًا إلى ترك الصلاة كان محظورًا؛ لأن فعل ما يمنع من الفرض محظور.

ومما نزل في شأن الخمر مما لا مساغ للتأويل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

فتضمنت هذه الآيات ذكر تحريمها من وجوه: أحدها قوله: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ وذلك لا يصح إلا فيما كان محظورًا محرمًا، ثم أكده بقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ وذلك أمر يقتضي لزوم اجتنابه، ثم قال تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ ومعناه فانتهوا[1].

وهذا الذي ذكره إن قصد منه أن الآيات التي نزلت أولًا أشارت إلى أن مآل الخمر التحريم، وأن الأمر سيستقر على تحريمها فصحيح، وإن لم يقصد أن آية البقرة ثم آية النساء نصتا على التحريم فغير صحيح؛ لأن الصحابة شربوا الخمر بعدهما ولم يفهموا ذلك، ولم ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم. قال القرطبي: هذه الأحاديث تدل على

---

[1] أحكام القرآن للجصاص (١/٣٢٢).

أن شرب الخمر كان قبل ذلك مباحًا مسكوتًا عنه، النبي صلى الله عليه وسلم أقر عليه، وهذا ما لا خلاف فيه، يدل عليه آية النساء ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ [النساء: 43] على ما قلنا. وهل كان يباح لهم شرب القدر الذي يسكر؟

حديث حمزة ظاهر فيه حين بقر خواصر ناقتي علي رضي الله عنهما وجب أسنمتهما، فأخبر علي بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء إلى حمزة فصدر عن حمزة للنبي صلى الله عليه وسلم من القول الجافي المخالف لما يجب عليه من احترام النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره وتعزيره ما يدل على أن حمزة كان قد ذهب عقله بما يسكر، ولذلك قال الراوي: فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ثمل، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على حمزة ولا عنفه لا في حال سكره ولا بعد ذلك، بل رجع لما قال حمزة: وهل أنتم إلا عبيد لأبي؟! على عقبيه القهقرى وخرج عنه[1].

مقاصد تحريم الخمر

حرم الله الخمر، ولعن عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وآكل ثمنها، ورتب على من شربها عقوبة شديدة في الحياة الدنيا، وتوعده بعذاب أليم يوم القيامة.

وإنه شائع على ألسنة الناس أن المقصود من تحريم الخمر هو حفظ العقل، وذلك أن الإنسان إذا شرب الخمر ذهب عقله، فحرمت حفظًا للعقل من جهة العدم ودفع ما يفسده ويؤدي إلى إتلافه وتعطيله.

غير أننا نجد قليل من القليل ممن يعلم بأن الخمر قد حرمت مراعاة للمقاصد الشرعية الخمسة: الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

فأما الدين: فقد أشار إلى حفظه بنص واضح قوله تعالى: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: 91] فصد الخمر عن الصلاة أمر متعين.

قال الرازي: «اعلم أن شرب الخمر يمنع من ذكر الله تعالى؛ لأن شرب الخمر يورث الطرب واللذة الجسمانية، والنفس إذا استغرقت في اللذات الجسمانية غفلت عن ذكر الله تعالى، وأما أن الميسر مانع من ذكر الله وعن الصلاة فكذلك؛ لأنه إن كان غالبًا صار استغراقه في لذة الغلبة مانعًا

---

[1] الجامع لأحكام القرآن القرطبي [illegible]

من أن يخطر بباله شيء سواه، ولا شك أن هذه الحالة مما تصد عن ذكر الله وعن الصلاة[1].

ومن شأن الخمر ما يعلم من العربدة والعداوة بين الشاربين بسبب الخمر، والذي نص عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ (المائدة: ٩١).

وأما حفظ النفس: فممنوع أن الخمر سبب لإفساد الجسد، واستهلاك الصحة، والعدوان على الناس، وإزهاق أرواحهم، وإتلاف حوائجهم، ووقوع الناس على الخلاف، وظلمهم بسلبهم حقوقهم، [illegible] والمحارم لا تقع إلا تحت تأثير الخمور والمسكرات، وكل ذلك من الإثم الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (البقرة: ٢١٩).

وقد يكون كذلك [illegible] العداوة والبغضاء الحاصلة من الخمر والميسر، قال الرازي: «أما الخمر فاعلم أن الظاهر فيمن يشرب الخمر أنه يشربها مع جماعة، ويكون غرضه من ذلك الشرب أن يستأنس برفقائه ويفرح بمحادثتهم ومكالمتهم، فكان غرضه من ذلك الاجتماع تأكيد الألفة والمحبة، إلا أن ذلك في الأغلب ينقلب إلى الضد، لأن الخمر يزيل العقل، وإذا زال العقل استولت

الشهوة والغضب من غير مخالطة العقل، وعند استيلائهما تحصل المنازعة بين أولئك الأصحاب، وتلك المنازعة ربما أدت إلى الضرب والقتل والمشافهة بالفحش، وذلك يورث أشد العداوة والبغضاء، فالشيطان يسول أن الاجتماع على الشرب يوجب تأكيد الألفة والمحبة، وبالآخرة انقلب الأمر وحصلت نهاية العداوة والبغضاء.

وأما الميسر ففيه بإزاء التوسعة على المحتاجين الإجحاف بأرباب الأموال، لأن من صار مغلوبًا في القمار مرة دعاه ذلك إلى اللجاج فيه عن رجاء أنه ربما صار غالبًا فيه، وقد يتفق أن لا يحصل له ذلك إلى أن لا يبقى له شيء من المال، وإلى أن يقامر على لحيته وأهله وولده، ولا شك أنه بعد ذلك يبقى فقيرًا مسكينًا، ويصير من أعدى الأعداء لأولئك الذين كانوا غالبين له، فظهر من هذا الوجه أن الخمر والميسر سببان عظيمان في إثارة العداوة والبغضاء بين الناس، ولا شك أن شدة العداوة والبغضاء تفضي إلى أحوال مذمومة من الهرج والمرج والفتن، وكل ذلك مضاد لمصالح العالم»[1].

وأما حفظ العقل: فواضح معلوم.

وأما حفظ النسل: وإن لم يرد بـ[illegible] فإنه يعد القتل [illegible] من المفاسد الاجتماعية من الزنا والطلاق والتفريط في

---

[1] مفاتيح الغيب، الرازي (٦/ ٤٥).

[1] المصدر السابق.

حقوق الأهل والقرابة والأقارب مرده إلى الخمر وأكرامه وقد بين تعالى أنه الإثم الكبير الذي نصت عليه الآية.

وأما حفظ المال: فإن شارب الخمر يفسد ماله في ما يضره ولا ينفعه بل في ما فيه هلاك نفسه وبدنه فضلاً عن ذهاب ماله وعقله، ويرى أن الخمر تجلب لمن يشربها ربحها مالاً ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ لا أن الشرع أهمل هذه المصلحة لأنها بإزائها من المفاسد أعظم منها بكثير: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 219].

ولذلك أُسقطت هذه المصلحة في حكم المعدومة، وذلك أن مصالح الدنيا ومفاسدها ليست مصالح ومفاسد خالصة بل ما من مصلحة إلا اكتنفتها مفسدة، فإذا كانت المصلحة غالبة روعيت وكانت المفسدة في حكم المعدومة كما في القصاص، وإذا كانت المفسدة غالبة روعيت وكانت المصلحة في حكم المعدومة كما في الخمر، وإذا تساوتا فدرء المفاسد أولى من جلب المصالح كما تقرر ذلك عند علماء الأصول والمقاصد.

ويشهد لما سبق ما روى البيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: "اجتنبوا الخمر، فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم يتعبد، فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها فقالت: إنا ندعوك للشهادة، فدخل معها فطفقت كلما دخل بابًا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر، فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع علي، أو تشرب من هذا الخمر كأسًا، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقيني من هذا الخمر كأسًا، فسقته كأسًا، قال: زيدوني، فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر، فإنها لا تجتمع والإيمان أبدًا إلا ليوشك أحدهما أن يخرج صاحبه"[1].

فقد جمعت الخمر جميع المفاسد ولذلك كانت أم الخبائث من عاقرها استسهل كل فاحشة ورتع في كل إثم.

---

[1] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الأشربة والحد فيها، باب ما جاء في تحريم الخمر، 8/ 287، رقم (17339). قال ابن كثير: رواه البيهقي وهذا إسناد صحيح، وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه ذم المسكر عن محمد بن عبد الله بن بزيع عن الفضيل بن سليمان النميري، عن عمر بن سعيد عن الزهري به مرفوعًا، والموقوف أصح والله أعلم. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 2/ 185.

أحكام تتعلق بالخمر

لما بحسب الخمر المفاسد الكثيرة فقد حرم الإسلام شربها ووضع أشياء كثيرة [illegible] وحرم كل وسيلة إليها.

أولًا: بيع الخمر:

النصوص الصريحة الواردة في تحريم بيع الخمر، التي نقل العلماء على تحريم بيعها وشرائها بل ربما [illegible] من عصرها وثمنها وسائلها وحاملها.

قال ابن المنذر: وأجمعوا على تحريم بيع الخمر [illegible] بتحريم ثمنها[1].

ومن النصوص الواردة في ذلك ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح وهو بمكة: (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر، والميتة والخنزير والأصنام، فقيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال: لا، هو حرام، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: قاتل الله اليهود إن الله لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه)[2].

فقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر، والميتة والخنزير والأصنام) صريح في تحريم بيع الخمر وشرائها.

وعند مسلم عن ابن عباس: (أن رجلًا أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية خمر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل علمت أن الله قد حرمها؟ قال: لا، فسارّ إنسانًا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بم ساررته؟ فقال: أمرته ببيعها، فقال: إن الذي حرم شربها حرم بيعها، قال: ففتح المزاد حتى ذهب ما فيها)[3].

والحديث أيضًا نص على تحريم بيعها وشرائها، وتحذير [illegible] بالبيع والشراء ولولا ذلك لبادر النبي صلى الله عليه وسلم، كما دلّ أيضًا على تحريم إهدائها والانتفاع.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقترأهن على الناس، ثم نهى عن التجارة في الخمر).

---

[1] [illegible]
[2] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع، باب بيع الميتة والأصنام [illegible]، ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام [illegible].
[3] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر [illegible].

الخمر(١).

وقد وردت النصوص بتحريم حملها وبيعها وأكل ثمنها وشربها، وذلك مما [illegible] به: أخرج أبو داود عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله الخمر، وشاربها وساقيها، ومبتاعها وبائعها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه»(٢).

ورواه ابن ماجه بلفظ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعنت الخمر على عشرة أوجه: بعينها وعاصرها ومعتصرها، وبائعها ومبتاعها، وحاملها والمحمولة إليه، وآكل ثمنها، وشاربها، وساقيها»(٣).

وقد تضمن الحديث تحريم كل فعل يساهم في نشر الخمر وترويجها ممن يشربها وإن لم يباشر [illegible] حتى أكل ثمنها سداً لكل طريق وحيلة تفضي إلى الاتجار بها.

ثالثاً: شرب الخمر:

رأينا تحريم شرب الخمر قطعي، [illegible] المسلمين، وقد دلت عليه نصوص القرآن منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

ففي قوله سبحانه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ نص على الحرمة كما فهم ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: انتهينا. فإنه اجتمعت أنواع من التأكيد على التحريم في الآية منها التعبير بإنما وقران الخمر والميسر بالأصنام [illegible]، وفي الحديث «مدمن الخمر كعابد وثن»(١)، والإخبار عنها بأنها ﴿رِجْسٌ﴾ وقال تعالى: ﴿مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠].

ونسبته بأنه من عمل الشيطان، والشيطان لا يأتي منه إلا الشر المحض، والأمر بالاجتناب [illegible] الفلاح [illegible] إنما وقع بها من الفساد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر، ٣/١٢٠٦، رقم ١٥٨٠.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأشربة، باب العنب يعصر للخمر، ٣/٣٢٦، رقم ٣٦٧٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٥/٥٠، رقم ٥٠٩١.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأشربة، باب لعنت الخمر على عشرة أوجه، ٢/١١٢١، رقم ٣٣٨٠.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأشربة، باب مدمن الخمر، ٢/١١٢٠، رقم ٣٣٧٥، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ٢/١٠٢٠، رقم ٥٨٢٢.

ولأنها مفتاح الإثم"(١).

وكما قرره صلى الله عليه وسلم: (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه).

ويرد الوعيد الشديد لشارب الخمر:

فمن ذلك ما روى أبو داود عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل مخمر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب مسكرا بخست صلاته أربعين صباحا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال، قيل: وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: صديد أهل النار، ومن سقاه صغيرا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال)(٢).

وفي حديث أسماء بنت يزيد عند الإمام أحمد [illegible] أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة، فإن مات مات كافرا، وإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال. قالت: قلت: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: صديد أهل النار)(٣).

وفي المستدرك عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر، ومن مات مدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة. قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يجري من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريح فروجهن)(٤).

وقد ذكرت هذه النصوص وغيرها صحيحة صريحة، فقد انعقد الإجماع على تحريم شرب الخمر وصار معلوما من الدين بالضرورة، قال في البحر: فرقة أجمع المسلمون على تحريم القليل والكثير من الخمر التي لم تمسها النار [illegible] والأكثر من الأمة على أن ما أسكر كثيره فقليله حرام، والخلاف فيما لا يسكر

---

(١) [illegible] ٢/٢٢٧.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأشربة باب النهي عن المسكر، ٣/٣٢٧، رقم ٣٦٨٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع [illegible].

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤٥/٥٧٧، رقم ٢٧٦٠٣. قال المحقق: حديث صحيح [illegible].

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الأشربة، [illegible]. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه [illegible].

قليله ويسكر كثيره من غير عصير العنب مذكور في كتب الفقه[1].

ثالثاً: حد الخمر:

اتفق الفقهاء على أن من شرب الخمر مختاراً عالماً – سكر أم لم يسكر – وجب عليه الحد.

قال ابن رشد: فأما الموجب لهذا الحد فاتفقوا على أنه شرب الخمر دون إكراه قليلها وكثيرها، واختلفوا في المسكرات من غيرها: فقال أهل الحجاز: حكمها حكم الخمر في تحريمها وإيجاب الحد على من شربها قليلاً كان أو كثيراً أسكر أو لم يسكر، وقال أهل العراق: المحرم منها هو السكر، وهو الذي يوجب الحد[2].

وروى مالك عن السائب بن يزيد: أن عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال: إني وجدت من فلان ريح شراب، فزعم أنه شراب الطلاء[3] وأنا سائل عما شرب، فإن كان يسكر جلدته، فجلده عمر الحد تاماً[4].

قال ابن عبد البر: فيما في هذا الحديث من الفقه وجوب الحد على من شرب مسكراً أسكر أو لم يسكر، خمراً كان من عصير العنب أو نبيذاً؛ لأنه ليس في الحديث ذكر الخمر ولا أنه كان سكران، وإنما فيه من قول عمر: أنه الشراب الذي شرب منه إن كان يسكر جلده الحد، ومما يدل على أنه كان قدراً لا يسكر أن الخمر المحرم قليلها وكثيرها ولو كان ذلك ما سأل عنه.

وقد أجمعوا على أن قليل الخمر من العنب فيه من الحد مثل ما في كثيرها ولا يراعى السكر فيها وإنما اختلفوا فيما سواها من الأشربة المسكرة[1].

ويرجع الحد بحكم بفسق الشارب أيضاً، قال في بداية المجتهد: عرفنا الواجب غير الحد والتفسيق إلا أنه لا كراهة الترك، والتفسيق في شارب الخمر بالقليل وإن لم يبلغ حد السكر، وفيمن بلغ حد السكر فيما سوى الخمر، واختلف الذين رأوا تحريم قليل الأشربة في وجوب الحد بأكثر هؤلاء على وجوبه[2].

ويبنى على المسألة على تعيين الخمر ما هي؟ هل هي ما كان من العنب خاصة ويقاس عليها بعلة الإسكار كل مسكر، فلا يكون القليل غير المسكر حكم الكثير.

---

(1) البحر المحيط لأبي حيان ٢/٢٧٧.

(2) بداية المجتهد لابن رشد ٢/٢٢٧.

(3) الطلاء: [illegible]

(4) [illegible] الموطأ [illegible]

قال ابن عبد البر: هذا الإسناد أصح ما يروى من أخبار الآحاد.

انظر: الاستذكار ٨/٣.

(1) الاستذكار لابن عبد البر ٨/٣.

(2) بداية المجتهد لابن رشد ٢/٢٢٧.

أم هي عقوبة في كل سكر، ليكون حداً تتعلق به أحكام الكثير الملائمة.

وقد ثبت حد الخمر بالسنة وبإجماع الصحابة الراشدين الأربعة بحضور الصحابة وسمعهم الناس فلم ينكر عليهم أحد بل تابعوهما حتى في تطبيقه حين استهتر الناس به، وكان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وصدر من خلافة عمر أربعين جلدة فجعلوها بعد مشاورة الصالحين ثمانين على حد القذف، روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب في الخمر بالجريد والنعال، وجلد أبو بكر أربعين[1].

وعن السائب بن يزيد قال: كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإمرة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا حتى كان آخر إمرة عمر، فجلد أربعين، حتى إذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين[2].

ففي هذين الحديثين أن الحد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر أربعين، واختار عمر والصحابة رضوان الله عليهم ثمانين، والأكثرون عليه بأن يزيد حداً، كما روى مسلم عن أنس بن مالك: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم جلد في الخمر بالجريد والنعال، ثم جلد أبو بكر أربعين، فلما كان عمر ودنا الناس من الريف والقرى، قال: ما ترون في جلد الخمر؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: أرى أن تجعلها كأخف الحدود، قال: فجلد عمر ثمانين[3].

وعلى هذا جلد أربعين علي بحضرة عثمان وأمره الحسن وأن أمر عبد الله بن جعفر رضي الله عنهم، ثم قال: جلد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إلي[4].

والمالكية والجمهور بأن الحد في الخمر ثمانون جلدة. قال ابن رشد: فالجمهور في مقدار الحد الواجب، فقال الجمهور: الحد في ذلك ثمانون، وقال الشافعي، وأبو ثور، وداود: الحد في ذلك أربعون.

فحجة الجمهور تشاور عمر والصحابة لما كثر في زمانه شرب الخمر، وإشارة علي عليه بأن يجعل الحد ثمانين قياساً على حد الفرية، فإنه كما نقل عنه رضي الله عنه: إنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحدود، باب ما جاء في ضرب شارب الخمر، ٦/٢٤٨٨، برقم ٦٣٩١.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحدود، باب الضرب بالجريد والنعال، ٦/٢٤٨٨، رقم ٦٣٩٧.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحدود، باب حد الخمر، ٣/١٣٣٠، رقم ١٧٠٦.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحدود، باب حد الخمر، ٣/١٣٣١، رقم ١٧٠٧.

الفريد.

وجدنا الفريق الثاني أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يحد في ذلك حدًّا، وإنما كان يضرب فيها بين يديه بالنعال ضربًا غير معدود(١).

وأن أبا بكر رضي الله عنه سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كم بلغ ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لشارب الخمر؟ فقدروه بأربعين(٢).

يروى عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب في الخمر بنعلين أربعين، فجعل عمر مكان كل نعل سوطًا(٣).

ويروى من طريق آخر عن أبي سعيد الخدري ما هو أثبت من هذا، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب في الخمر أربعين(٤).

ويروى هذا عن علي عن النبي عليه الصلاة والسلام من طريق أثبت(٥)، [illegible]

---

(١) أخرجه الطحاوي في [illegible] كتاب الحدود [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الحدود [illegible]

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الحدود [illegible]

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحدود، باب حد الخمر [illegible]

الشافعي(١).

ويرى القرطبي أنه لا زيادة على الثمانين لاتفاق الصحابة رضوان الله عليهم عليها، إلا أن يقع الاستهتار بحدود الله فيجوز عند ذلك التشديد والزيادة في العقوبة. قال: ... الله تعالى على حد الحد في الزنى والقذف، ولشدة الوقائع في الخمر على الناس من قبل عمر في جميع الصحابة... فلا يجوز أن يتعدى الحد في ذلك كله. قال ابن العربي(٢): وهذا ما لم يتتابع الناس في الشر، ولا احلولت لهم المعاصي، حتى يتخذوها ضرورة ويعطف الناس عليهم بالهوادة فلا يتناهوا عن منكر فعلوه فحينئذ تتعين الشدة ويزيد الحد لأجل زيادة الذنب.

وقد أتي عمر بسكران في رمضان فضربه مائة: ثمانين حد الخمر، وعشرين لهتك حرمة الشهر؛ فهكذا يجب أن تتركب العقوبات على تغليظ الجنايات، وهتك الحرمات.

وقد لعب رجل بصبي، فضربه الوالي ثلاثمائة سوط، فلم يغير ذلك مالك حين بلغه. فكيف لو رأى زماننا هذا بهتك الحرمات والاستهتار بالمعاصي، والتظاهر بالمناكر، وبيع الحدود، واستيفاء العبيد لها في منصب القضاة لمات كمدًا، ولم يجالس أحدًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قلت: والوقفة الصحيحة -والله أعلم- زيد في حد الخمر حتى الثمانين(٣).

---

(١) بداية المجتهد ابن رشد ٢/ ٣٣٧.

(٢) أحكام القرآن ابن العربي ٢/ ٩٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٦/ ١١٥.

خمر الجنة

نص القرآن الكريم على أن في الجنة أنهارًا جارية من ماء ولبن وخمر وعسل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: ١٥].

(أي: مثل الجنة التي أعدها الله لعباده الذين اتقوا سخطه، واتبعوا رضوانه، أي: نعتها وصفتها الجميلة ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ أي: غير متغير، لا بوخم ولا بريح منتنة، ولا بمرارة، ولا بكدورة، بل هو أعذب المياه وأصفاها، وأطيبها ريحًا، وألذها شربًا. ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ بحموضة ولا غيرها، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ أي: يلتذ به شاربه لذة عظيمة، لا كخمر الدنيا الذي يكره مذاقه ويصدع الرأس، ويغول العقل. ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ من شمعه وسائر أوساخه. ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ من نخيل، وعنب، وتفاح، ورمان، وأترج، وتين، وغير ذلك مما لا نظير له في الدنيا، فهذا المحبوب المطلوب قد حصل لهم. ثم قال: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يزول بها عنهم المرهوب. فأي هؤلاء خير أم من هو خالد في النار التي اشتد حرها، وتضاعف عذابها، ﴿وَسُقُوا﴾ فيها ﴿مَاءً حَمِيمًا﴾ أي: حارًّا جدًّا، ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ فسبحان من فاوت بين الدارين والجزاءين، والعاملين والعملين)[1].

وكون خمر الجنة جارية في أنهار يدل على كثرتها ووفرتها، واستمتاع المسلم بها إلى حد [illegible] كما قال في الصافات: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ۝ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٦-٤٧].

وقد وصفت هذه الخمر مع كثرتها ووفرتها بأنها لذة للشاربين، وتكرر هذا الوصف في أوصاف أخرى في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۝ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٧-١٩].

ومعنى ﴿[illegible]﴾ [illegible] شراب [illegible] [illegible][2]، ومن تمام لذتها أنها تمزج بالكافور وتختم بالمسك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥-٦].

أي: تمزج الخمر بالكافور، وقيل: المعنى أنه كالكافور في طيب رائحته [illegible][3].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص[illegible].

[2] [illegible]

[3] التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي [illegible].

﴿[illegible] بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ۝ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝ [illegible]﴾ (الصافات: [illegible])

والرحيق: الخمر الصافية، والمختوم: [illegible] مسك[1].

وقوله سبحانه ﴿[illegible]﴾: [illegible]

[illegible]

ما يقال في المعاصرة باطلها

[illegible]

[illegible]

---

[1] المصدر السابق ٦/٤٢٢.

[illegible] في القرآن[2].

وفي بعض التفسيرات أنه ﴿سلسبيل﴾ اسم عين تمزج بها الكأس من الخمر [illegible]

[illegible]

[illegible]

---

[2] [illegible]

[3] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي [illegible]

[4] [illegible]

خاصة بملء الخمر حتى كانت الكأس من أسماء الخمر تسمية باسم المحل، قال [illegible]: لا يسمى الكأس إلا إذا كان فيه الخمر وإلا فهو قدح.

والمعنى بها في الآية الخمر؛ لأنه [illegible] الكأس مع أن المطوف عليهم [illegible] وإنما وصفت بأنها من معين[1].

وهي مع الطواف عليهم بها جارية في الأنهار، ظاهرة لرائي العيون[2]، [illegible] فهو الكأس ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ أي: من شراب معين [illegible] أي: ظاهر للعيون، أو خارج من العيون، وهو صفة [illegible] الماء إلا أنه يوصف به خمر الجنة لأنها تجري كالماء [illegible] بسهولة الشراب جامع لما يطلب من أنواع الأشربة لكمال اللذة[3].

وقد [illegible] عليهم في الآية [illegible] في سورة الواقعة في قوله سبحانه: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝ [illegible]﴾ [الواقعة: ١٧-٢١].

والأكواب: [illegible]: هي التي لا [illegible] وهي على [illegible]

الخمر [illegible][4].

وقوله عز وجل: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ۝ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝﴾ [الصافات: ٤٥-٤٧] [illegible] بالبياض، [illegible] في [illegible] القصور[5].

[illegible] لا يطاف عليهم بها [illegible] لا يلحقه صداع ولا [illegible]: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾، [illegible] عليهم [illegible]: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۝﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible].

ويصف الخمر على [illegible] ليس فيها [illegible] خمر الدنيا من الإسكار والصداع ووجع البطن [illegible] من الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول، [illegible] بالعقل جملة، فقال تعالى هاهنا: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ أي: بيضاء من أنهار جارية لا [illegible] ولا [illegible] أي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور [illegible].
(٢) لباب التأويل للخازن [illegible].
(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي [illegible].
(٤) [illegible].
(٥) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي [illegible].

في معظم الأنواع الرديئة من خمرة أو سوء [illegible] أو اضطرار أو كدورة إلى غير ذلك مما ينافر الطبع السليم.

وقوله عز وجل: ﴿بَيْضَاءَ﴾ أي [illegible] على طيب الريح، بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك.

وقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ يعني: لا تؤثر فيهم غولًا من وجع البطن، قاله مجاهد وقتادة وابن زيد، كما تفعله خمر الدنيا من القولنج ونحوه لكثرة مائيتها. وقيل: المراد بالغول هاهنا صداع الرأس، وروي هكذا عن ابن عباس، وقال قتادة: هو صداع الرأس ووجع البطن، وعنه وعن السدي: لا تغتال عقولهم كما قال الشاعر:

[illegible]

وتذهب بالأول الأول

وقال سعيد بن جبير: لا مكروه فيها ولا أذى. والصحيح قول مجاهد: إنه وجع البطن.

وقوله: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ قال مجاهد: لا تذهب عقولهم، وكذا قال ابن عباس، ومحمد بن كعب، والحسن، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني، والسدي، وغيرهم.

وقد قال بعض أهل التفسير إن في قول الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [illegible]

(الواقعة: ١٩)[1]

[illegible] عن الشراب الأول [illegible] الجنة ظاهرة، وليست [illegible] كخمر الدنيا[1]. [illegible] قال تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ (الواقعة: ١٩) الآية.

ويفهم من هذه الآية الكريمة أن الخمر [illegible] في كلام العرب [illegible] الخمر والكأس.

[illegible] مفهوم المخالفة في قوله تعالى في شراب أهل الجنة: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ الآية [illegible] ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [illegible] بخلاف خمر الدنيا [illegible] من صداع الرأس [illegible][2].

---

[1] زاد المسير، ابن الجوزي ٧/ ٣٨٠.

[2] أضواء البيان، الشنقيطي [illegible].

ومجالس ليس فيها لغو من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من صخب أو عبث أو عربدة ولا هم يسكرون بها (١).

صفة مجالسهم في الجنة

يدرك عامة الناس في الحياة الدنيا أنهم يحتاجون لمجالس، يطرق عليهم فيها الشتاء ويتناولون فيها المشارب ويتحدثون إليها الأصحاب والأقران فيه، ويتسامرون بها ويلبسون أحسن الثياب ويتجملون لها في مجالس لهم ويسمر.

وقد نص القرآن الكريم على أن لأهل الجنة فيها مجالس غير من هذه المجالس، في سياق تفتيح الأبواب، قال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ۝ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ (ص: ٥٠-٥٢).

وتفتيح الأبواب كناية عن التمكن من الانتفاع بنعيمها لأن تفتيح الأبواب يستلزم الإذن بالدخول بعدم موانع الحيلولة بين الداخل وبين الانتفاع بما وراء الأبواب (٢).

وتصف الآية حالهم أنهم يجلسون فيها مجلس السلاطين المتكئين الناعمين والذي يدل عليه قوله ﴿مُتَّكِئِينَ﴾، ومع ذلك سيأتيهم من كل ما يشتهون عليهم فيها ثلاثة أشياء ولا يغيبون أو أنهم لا يشتهون كفاكهة في اللباس أو الأزواج أو يرد أو عين أو شراب، قال تعالى:

---

(١) غرائب التفسير، الكرماني (١/ ١١٧٢).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٣/ ٢٨١.

﴿[illegible] جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝ [illegible]﴾ (الإنسان: [illegible]).

وقال سبحانه: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (الواقعة: [illegible]) أي: لا يسمعون باطلاً ولا إثماً[1].

والمعنى: [illegible] والأرائك: السرر، [illegible] ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ أي: لا يرون فيها [illegible] ﴿زَمْهَرِيرًا﴾ أي: [illegible]

والمقصود من الآية الكريمة أنهم لا [illegible] في الجنة [illegible]

وقوله سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] في الجنة.

[illegible]

[illegible] في الإفراج[2].

وهم على سرر [illegible] من الذهب والجوهر، [illegible] مقابلين لا ينظر بعضهم في قفا بعض[3]: ﴿[illegible]﴾ (الواقعة: [illegible]).

والسرر: جمع سرير [illegible] على السرير [illegible] على السرر [illegible]

﴿[illegible]﴾ [illegible] وأنس نظر بعضهم إلى بعض [illegible]

والتقابل: [illegible] جماعات على حسب [illegible] في الجنة كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾.

[illegible] على السرر والأرائك [illegible]

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible].

[2] [illegible]

[3] [illegible]

تلك العالم غير جارية على المتعارف في الدنيا[1].

ثم النضارة وسرورهم. قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ⓫﴾ [الإنسان:11].

قال [illegible]: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾ أي: في وجوههم ﴿وَسُرُورًا﴾ أي: في قلوبهم. قاله الحسن البصري، وقتادة، وأبو العالية، والربيع بن أنس. وهذه كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝﴾ [عبس:38-39]. وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه[2].

وقال سبحانه أيضا: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝﴾ [المطففين:24]. يعني: إذا رأيتهم تعرف أنهم من أهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض، أي: النضرة في الوجه والسرور في القلب[3].

وزينة لباسهم وحليهم بالحرير والحلي: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝﴾ [الإنسان:21]، أي: قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضران، اللذان هما أجل أنواع الحرير، فالسندس: ما غلظ من الديباج، والإستبرق: ما رق منه. ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: حلوا في أيديهم أساور الفضة، ذكورهم وإناثهم[4].

[illegible] في هذه الآية [illegible] والمراتب مع ما يطيف به من الإكرام والخطاب، كما قال عز وجل: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وقال أيضا: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والزرابي: [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible] مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية:16].

وقال: ﴿[illegible]﴾ [يوسف:31].

[illegible]: الذي لا [illegible] ولا [illegible].

﴿[illegible]﴾ عطف على [illegible]. والمعنى: أن طعامهم [illegible] من الأطعمة التي [illegible] بها ولا سيما [illegible] والفواكه والثمار [illegible].

﴿[illegible]﴾ عطف على ﴿[illegible]﴾ أي: يطاف عليهم [illegible] وهذا وصف [illegible] أنه لهم [illegible] من النعيم الجسماني أنه لهم نعيم الكرامة وهو

---

[1] التحرير والتنوير، لابن عاشور 29/371.

[2] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير 8/285.

[3] لباب التأويل، للخازن 4/405.

[4] تيسير الكريم الرحمن، للسعدي ص901.

[illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] الإنسان [illegible]

[illegible] في سورة [illegible]: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

وفي أيديهم الصحاف والأكواب والأباريق [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

الأكواب جمع كوب [illegible]

وقال جل وعلا: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

والصحاف: جمع صحفة [illegible]

وقال جل وعلا: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

---

(١) التحرير والتنوير [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) التحرير والتنوير [illegible]

﴿...﴾ (الإنسان: ١٥-١٦).

ففي أكواب صافية من الفضة يرى ما في صفاء القوارير، وهذا من أعجب الأشياء أن تكون الفضة الكثيفة من صفاء جوهرها وطيب معدنها على صفاء القوارير"[1].

وفي التقدير القولان: أحدهما: قدّروها في الشرب؛ فجاءت على ما قدّروه. قاله الحسن. وقال الزجاج: جعل الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه على تقديرهم. والثاني: قدّروها على مقدار لا يزيد ولا ينقص. قاله مجاهد. وقال غيره: قدّروا الكأس على قدر ريهم، لا يزيد عن ريهم فيثقل الكف، ولا ينقص منه فيطلب الزيادة. وهذا ألذ الشراب. فعلى هذا القول يكون الضمير في "قدّروها" للسقاة والخدم، وعلى الأول للشاربين"[2].

ومن أجمعهم ونعيمهم في غمدة وملك عظيم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝﴾ (الإنسان: ٢٠).

"أي: ذكر الرؤية مطلقة و﴿ثَمَّ﴾ ظرف والمفعول قد رأيت [illegible] وذلك القراءة [illegible] ﴿ثَمَّ﴾ [illegible] [illegible] [illegible] وهو [illegible] [illegible]، والملك الكبير: [illegible] [illegible] الملائكة وتسليمهم عليهم وتعظيمهم لهم فهم في ذلك كالملوك. وقال أكثر المفسرين: الملك الكبير استئذان الملائكة عليهم وتحيتهم. وروي عن عبد الله بن عمر أنه قال: ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام [illegible] [illegible]، وأدنى أهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه في مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه"[3].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٩٠١.

[2] زاد المسير، ابن الجوزي ٨/ ٤٣٩.

[3] المحرر الوجيز، ابن عطية ٨/ ٤٠٤.

الإعجاز التشريعي في تحريم الخمر

شرب الخمر بلاء ابتلي به البشر قديماً وحديثاً، [illegible]

[illegible]

بعد غزوة الأحزاب [illegible]

[illegible]

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible]

الآية الرابعة: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [illegible](١).

ولنذكر هنا حرمة الخمر في الشريعة الخاتمة من دون سائر الشرائع الإلهية، ويرى ابن عاشور أنها حرمت بها أيضًا من سائر الشرائع السماوية السابقة فيقول: "الخمر [illegible] في الزمان [illegible] لم تحرمه شريعة من الشرائع لا الخمر المسكر بله ما دونه، وأما ما يذكره علماء الإسلام إن الإسكار حرام في الشرائع كلها فكلام لا شاهد لهم عليه بل الشواهد على ضده [illegible] ما [illegible] في أصول الفقه من أن الكليات التشريعية وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسب والمال والعرض هي مما اتفقت عليه الشرائع، وهذا القول وإن كنا نساعد عليه فإن مساغه عندي أن الشرائع كلها نظرت إلى حفظ هذه الأمور في تشريعاتها، وأما أن تكون مراعاة باطراد في غير شريعة الإسلام فلا أحسب ذلك يتم، حتى أن مراعاتها درجات ولا حاجة إلى [illegible] في هذا"(٢).

ثم يستدل على رأيه هذا بما يأتي في كتب أهل الكتاب فيقول: فهذه كتب أهل الكتاب ليس فيها تحريم الخمر ولا التنزه من شربها، وفي التوراة التي بيد اليهود أن نوحًا شرب الخمر حتى سكر، وأن لوطًا شرب الخمر حتى سكر [illegible]، إلى آخر [illegible] والأخير من الأكاذيب لأن النبوة تستلزم العصمة، والفرق بيان [illegible] اختلفت في إباحة أشياء [illegible] ما يشتمل على الأشياء مما يؤدي إلى [illegible] الخلاف والذي يجب اعتقاده أن شرب الخمر لا يأتي الأنبياء لأنه لا يليق بهم [illegible] إلا التطرب واللهو والسكر، وكل ذلك مما يتنزه عنه الأنبياء، وأنها يشربونها للقصد الطبي [illegible] القصد من شربها. وفي سفر اللاويين من التوراة: قال الله لهارون: خمرًا ومسكرًا لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكي لا تموتوا فرضًا دهريًا في أجيالكم، وللتمييز بين المقدس والمحلل وبين النجس والطاهر(٣).

ومن حكمة هذا التدرج أنه لم يستأصل الخمر [illegible] لكنه يقوم على [illegible] من يشربها، وذلك [illegible] الناس منها [illegible] بالتدرج [illegible] عليه في قلوب الناس قبل أن يهاجم حياتهم، كما روى البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل

---

(١) روائع البيان للصابوني ١/٢٦٣.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٧/٢٢٥.

(٣) المصدر السابق ٢/٣٤٩.

أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا»[1].

فأم المؤمنين رضي الله عنها تذكر الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها، وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف[2].

ومن عظمة هذا الدين أيضًا أنه فرق بين الفواحش، فسارع إلى استئصال ما لا [illegible] القطع معه بأمر ما لم يكن كذلك إلى حين كما في حديث عبادة الذي رواه البخاري من طريق الزهري، قال: أخبرني أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه» فبايعناه على ذلك[3]، ولفظه عند مسلم: «ألا تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئًا من ذلك فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب شيئًا من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه»[4].

فهذه الفواحش: الزنا، والسرقة، وقتل الأولاد أو قتل النفس التي حرم الله، والبهتان لم تؤخر ولكن رافق النهي عنها مع الشرك في صدر الإسلام، خلافًا للخمر، وذلك أن البيئة الجاهلية على ما فيها كانت تبيح هذه الفواحش، [illegible] التفصيل بحسنها واستقباحها [illegible] في خارج [illegible]

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن (٦/ ١٨٥) رقم ٤٩٩٣.

[2] فتح الباري، ابن حجر (٩/ ٤٠).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب علامة الإيمان حب الأنصار (١/ ١٢) رقم ١٨.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحدود باب الحدود كفارات لأهلها (٣/ ١٣٣٣) رقم ١٧٠٩.

[illegible] ما روى ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (المائدة: ٩١)

أن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

غير الرجل[illegible]

[illegible]

ومن [illegible] في تحريم الخمر [illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

أثر الخمر على الفرد والمجتمع

نص القرآن الكريم على بعض آثار الخمر في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١).

ففي ذكر العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة [illegible] لم يذكر في القرآن الكريم لتعليل الأحكام إلا الإيجاز، إلا ما كان هنا ذكر بالإطناب والتفصيل، والتردد في الأسباب لتحريم الخمر والميسر بالإسهاب، منها: إلقاء العداوة والبغضاء بين المؤمنين، والصد عن ذكر الله، وشغل المؤمنين عن الصلاة، كما وصفت الخمر والميسر بأنها رجس، وأنها من عمل الشيطان [illegible] الخمر إلى الشر [illegible] من جراء اقتراف هاتين الرذيلتين (جريمة القمار وجريمة تعاطي المسكرات) [illegible] في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١)[١].

فللخمر مضار كثيرة شخصية وصحية واجتماعية وزرع العداوة والبغضاء وجميع بالصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ومالية بتبديد الأموال في القمار غير الناتج، وكذا للقمار أضرار نفسية عصبية باختلال توازن في الأعصاب والفكر واضطراب، واجتماعية وخيمة [illegible][٢].

وقد جمعت الآية الموالية في الخمر من أضرار فردية واجتماعية:

فأولها: رجس: يقتضي نجاستها [illegible] إلى شر أنواع [illegible] الأخلاق ونجاستها الحسية المتمثلة في الإسراف الأخلاقي [illegible] كل أنواع المنكرات والفواحش، والخمر إذا أذهب العقل، ماتت كرامة الإنسان على غيره، وفقد القدرة على إدراك الخير والبعد عن الشر، هذا فضلاً عن أضرار الخمر الصحية في كل أعضاء جهاز الهضم والأعصاب بل قد يمتد الضرر إلى الأولاد لينشأ الواحد منهم مجرماً ضعيف الشخصية، وكثيراً ما أدت الخمر إلى الطلاق وتفتيت الأسرة[٣].

وثانيها: إيقاع العداوة والبغضاء، يعني: الجوانب الانهيار الاجتماعي والأسري بما تكسر من روابط الأخوة والجوار [illegible] في المجتمع، [illegible] الحقوق، [illegible]: إنما الشيطان لا يريد لكم من تعاطي الخمر والميسر إلا الإيقاع في

---

[١] روائع البيان للصابوني (١/٢٧٦).

[٢] التفسير المنير للزحيلي (٢٩/٤٧).

[٣] المصدر السابق.

الخمر؛ لأنه يبادي بعضكم بعضاً بسبب الشراب، والبغضاء لأنه يزرع الكراهية والحقد والفرقة بين بعضكم، فيحصل منه من التفريق والتشتت بعد التأليف والإيتلاف والجمع بأخوة الإسلام»(1).

وبكونها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة يجعلها مانعاً من كل مكرمة من المكارم، [illegible] بالسكر المذهب للعقل [illegible] عن ذكر الله الذي تطمئن به القلوب وتسعد به النفوس في الدنيا والآخرة، ومن الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، والتي تزكو بها النفوس وتطهر القلوب»(2).

ولقد انتهى [illegible] إلى ما دون مرتبة البهيمة. [illegible] في الإنسان [illegible] الخمر [illegible] في الرابع.

قال القرطبي: [illegible] يسع وجهه [illegible] وجهه [illegible] من الذين [illegible] من المتطهرين [illegible] بوجهه [illegible].

له أكرم [illegible] الكرمة»(3).

وما في الخمر من أضرار نفسية وبدنية وعقلية وما يترتب عليها من آثار سيئة في الفرد والجماعة أمر يجمع عليه جميع العقلاء والعلماء، سواء علماء الدين، أم الطب، أم الأخلاق، أم الاجتماع، أم الاقتصاد، ولو أنا أخذنا رأيهم في تناول المسكرات لكان جواب جميعهم واحداً، [illegible] لأنها خطر [illegible].

فعلماء الدين يقولون: إنها محرمة، وما حرمه إلا لأضرارها [illegible].

وعلماء الطب يقولون: إنها من أعظم الأخطار التي تهدد نوع البشر»(4)، لا [illegible]

---

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق [illegible].

(4) [illegible]

وراثية مباشرة من الأمراض السابقة فحسب، بل بعواقبها الوراثية أيضاً، إذ أنها تمهد السبيل لظهور لا يقل ضرراً عنها، والشعور [illegible] البدن وضعفه أقل مقاومة وحظاً في كثير من الأمراض [illegible] وهي تؤثر في جميع أجهزة البدن، وخاصة في الكبد، وهي أشهرها الفتاك بالجهاز العصبي.

كذلك لا يستغرب أن تكون من أهم الأسباب الموجبة لكثير من الأمراض العصبية، من أعظم عوامل الجنون المنتشرة بالإجرام، لا تستعملها وحده بل ولي أطفاله من بعده.

فهي إذاً علة الشقاء والعوز والبؤس، وهي جرثومة الإفلاس والمسكنة والذلة، ربما تؤدي بقوم لا أرحم بهم [illegible] [illegible] حسناً وعقلاً.

وعلماء الأخلاق يقررون أنها تتلف الإنسان [illegible] على الرذيلة والخسة والقرف والنفرة والشرور، يلزم حتم تناولها أنها يتصف به [illegible] الصفات الخسيسة(٢).

وبالجملة فقد جمعت الخمر جميع الخبائث الشهيرة، فضلاً عن خباثتها النوعية، ولذلك كانت أم الخبائث، وقد سميت بذلك في الأثر المروي عن عثمان رضي الله عنه قال: (اجتنبوا الخمر، فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس، فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها فقالت: إنا ندعوك للشهادة، فدخل معها فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر، فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع علي، أو تقتل هذا الغلام، أو تشرب هذا الخمر، فسقته كأساً، فقال: زيدوني، فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر، فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبداً إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه)(٣).

[illegible]

[illegible]

---

(١) الإسلام [illegible] في القرآن والسنة، يوسف [illegible]

(٢) انظر [illegible]

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الأشربة والحد فيها، باب ما جاء في تحريم الخمر، [illegible]. قال ابن كثير في تفسيره [illegible]: [illegible] البيهقي [illegible] إسناد صحيح [illegible] ابن أبي الدنيا [illegible] مرفوعاً، والموقوف أصح [illegible]

الخوف

عناصر الموضوع

مفهوم الخوف ١٤٠
الخوف في الاستعمال القرآني ١٤١
الألفاظ ذات الصلة ١٤٣
أنواع الخوف ١٤٦
نفي الخوف عن الله ١٤٩
الخوف طبيعة إنسانية ١٦١
أسباب الخوف المحمود ١٦٨
آثار الخوف المحمود ١٧٣
جزاء الخائفين من الله ١٨٣

مفهوم الخوف

أولاً: المعنى اللغوي:

هي مادة (خوف) تدل على الذعر والفزع(1)، يقال: خافه يخافه خوفاً وخيفة ومخافة، ومنه التخويف والإخافة والتخوف منها خافنا(2).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

لا يخرج عن معناه في اللغة كثيراً، فالأصفهاني يعرف الخوف بأنه: «توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة، ويضاد الخوف الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية»(3).

وعرفه الجرجاني بأنه: «توقع حلول مكروه أو فوات محبوب»(4).

وقال المناوي: «الخوف غم يلحق الإنسان مما يتوقعه من السوء»(5).

ويتضح مما سبق أن الخوف شعور بالاضطراب وعدم الأمن نتيجة حدوث مكروه في الحاضر أو توقع حدوثه في المستقبل.

---

(1) مقاييس اللغة ٢/٢٣٠.

(2) انظر: مختار الصحاح للرازي ص ١٠١، لسان العرب لابن منظور ٩/٩٩، القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٠٣٧.

(3) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٠٣.

(4) التعريفات للجرجاني ص ١٠١.

(5) التوقيف للمناوي ص ١٥١.

الخوف في الاستعمال القرآني

وردت مادة (خوف) في القرآن الكريم (١٢٤) مرة [1].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	١٨	﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن:٤٦)
الفعل المضارع	٦٨	﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ (النحل:٥٠)
فعل الأمر	١	﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٧٥)
المصدر	٣٤	﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش:٤)
اسم الفاعل	٣	﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص:١٨)

وجاء الخوف في القرآن الكريم على [illegible] وجوه [2]:

الأول: الخوف نفسه: ومنه قوله تعالى: ﴿[illegible] خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (الأعراف:٥٦).

الثاني: القتل أو القتال: ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾ (النساء:٨٣) أي: القتل، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ (الأحزاب:١٩) يعني: القتال والحرب.

الثالث: العلم أو الظن: ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ (البقرة:٢٢٩) يعني: علما أو ظنا.

---

[1] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص [illegible]، والمعجم المفهرس الشامل [illegible].

[2] انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص [illegible]، نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، ص [illegible]، بصائر ذوي التمييز [illegible].

الألفاظ ذات الصلة

الخشية

الخشية لغة:

تدل مادة (خشي) على الخوف والذعر [1].

الخشية اصطلاحًا:

عرفها الأصفهاني بأنها «خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خص العلماء بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]» [2].

وعرفها الجرجاني بأنها: «تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل، يكون تارة بكثرة الجناية من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته، وخشية الأنبياء من هذا القبيل» [3].

الصلة بين الخوف والخشية:

الخشية أخص من الخوف وأشد منه.

وقيل: «الخشية تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قويًّا، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمرًا يسيرًا» [4].

الرهب

الرهب لغة:

ذكر ابن فارس أن معنى الرهب يرجع إلى أصلين: الخوف، والدقة والقطع [5].

وقال الراغب: «الرهب: الانقطاع من ادعاء الطرفة» [6].

الرهب اصطلاحًا:

هو الشعور والخوف الشديد من خطر يؤدي إلى فقدان القدرة على الحركة أحيانًا.

الصلة بين الخوف والرهب:

الرهب أخص من الخوف وهو يدل على امتلاء القلب بالخوف وسيطرته عليه من أسباب

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس ٢/١٨٤.
[2] المفردات للراغب الأصفهاني ص٢٨٣.
[3] التعريفات للجرجاني ص٩٨.
[4] الكليات للكفوي ص٤١٨.
[5] مقاييس اللغة لابن فارس ٢/٤٤٧.
[6] المفردات للراغب الأصفهاني ص٣٦٦.

الشفقة

الشفقة لغة:

"أشفقت من الأمر إذا رققت وحاذرت"[1]، وهي صرف الهمة إلى إزالة المكروه عن الناس[2]، تقول: "الشفق والشفقة: الاسم من الإشفاق، والشفق: الخيفة"[3].

الشفقة اصطلاحا:

الشفقة هي ضرب من الرقة وضعف القلب ينال الإنسان [illegible][4].

«الإشفاق رقة الخوف، وهو خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه، فنسبته إلى الخوف نسبة الرأفة إلى الرحمة، فإنها ألطف الرحمة وأرقها»[5].

الصلة بين الخوف والشفقة:

إن الشفقة ضرب من الرقة وضعف القلب ينال الإنسان ومن ثم يقال للأم إنها تشفق على ولدها أي: ترق له، وليست هي من الخشية والخوف في شيء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧]

ولو كانت الخشية هي الشفقة لما حسن أن يقول ذلك، كما لا يحسن أن يقول يحذرون من خشية ربهم[6].

الرهبة

الرهبة لغة:

رهب: خاف (رهبا) بالضم (ورهبا) بفتحتين أي: مرهوب، يقال: رهبوت خير من رحموت، أي: لأن ترهب خير من أن ترحم[7].

الرهبة اصطلاحا:

الرهبة هي الإمعان في الهرب من المكروه وهي [illegible] مع تحرز واضطراب وهي ضد

---

[1] المصباح المنير، للفيومي (٣١٧/٢).
[2] انظر: التعريفات، الجرجاني ص(١٢٧).
[3] انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٧٩/١٠).
[4] انظر: [illegible]
[5] مدارج السالكين، لابن القيم (٥١٤/١).
[6] الفروق اللغوية، للعسكري [illegible]
[7] مختار الصحاح، للرازي (١٣٠/١).

الرغبة التي في ستر القلب في طلب المرغوب فيه(1).

الصلة بين الخوف والرغبة:

قال العسكري: «الرغبة طول الفكر، والخوف باستمراره، ومن ثم قيل للراغب: راهب، لأنه يديم الخوف»(2).

فالرغبة خوف مستمر.

الإشفاق

الإشفاق لغة:

أشفق من الأمر إذا رقّه وحاذره(3)، ويعني الخوف الهمّ إلى إزالة المكروه عن الناس(4)، تقول: أشفق وأشفقت، الاسم من الإشفاق، والشَّفَق: الخيفة(5).

الإشفاق اصطلاحًا:

«الإشفاق رقة الخوف، وهو خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه، نسبته إلى الخوف نسبة الرأفة إلى الرحمة، فإنها ألطف الرحمة وأرقّها»(6).

الصلة بين الخوف والإشفاق:

«الشفقة ضرب من الرقة وضعف القلب ينال الإنسان، ومن ثم يقال للأم إنها تشفق على ولدها أي ترق له»(7).

ومكانة الإشفاق من أعلى درجات الخوف، فهو مرتبة كبيرة، ولذا يصح للمشفق عليه أن يلقاه الفزع والحذر.

الفزع

الفزع لغة:

قال ابن فارس: «الفزع» الفاء والزاء والعين أصلان صحيحان، أحدهما الذُّعر، والآخر الإغاثة»(8).

---

(1) انظر: التعريفات للراغب الأصفهاني، مدارج السالكين لابن القيم.

(2) الفروق اللغوية للعسكري ص 241.

(3) الصحاح للجوهري.

(4) انظر: التعريفات للجرجاني.

(5) انظر: لسان العرب لابن منظور.

(6) مدارج السالكين لابن القيم.

(7) الفروق اللغوية للعسكري ص 241.

(8) مقاييس اللغة.

يقال: فزع منه وفزع فزعًا وفزعًا وفزعًا، والفزع: الفرق والذعر، ورجل فزع(1).

الفزع اصطلاحًا:

انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الجزع، ولا يقال: فزعت من الله كما يقال: خفت منه(2).

الصلة بين الخوف والفزع:

الفزع: مفاجأة الخوف عند هجوم غارة أو صوت هدة وما أشبه ذلك، وهو انزعاج القلب بتوقع مكروه عاجل(3).

وهكذا فالفزع يختص بالمفاجأة ويصاحبه توقع مكروه عاجل، والفزع نوع من الخوف.

الأمن

الأمن لغة:

ضد الخوف، والفعل منه: أمن يأمن أمنًا(4).

الأمن اصطلاحًا:

عدم توقع مكروه في الزمان الآتي(5)، وأصله: طمأنينة النفس وزوال الخوف(6).

الصلة بين الأمن والخوف:

الأمن ضد الخوف.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور (٨/ ٢٥١).
(2) المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٣٧٩.
(3) الفروق اللغوية، العسكري، ص ٢٤٢.
(4) العين، الفراهيدي (٨/ ٣٨٨).
(5) التعريفات، الجرجاني، ص ٣٧.
(6) التوقيف، المناوي، ص ٦٢.

أنواع الخوف

إن المتدبر في كتاب الله عز وجل يجد أن الخوف ينقسم -حسب مشروعيته- إلى قسمين:

أولاً: خوف مشروع:

وهو بدوره ينقسم إلى قسمين:

١. خوف فطري:

وهو حالة انفعالية تحس بالقلق وعدم الراحة بسبب التوقع قرب من مصادر الخطر، أو الشرور، أو الآلام التي يتوقع الإنسان حدوثها أو مصاحبتها، ويؤول إلى تجنبها.

وهذا الخوف موجود عند جميع البشر بمن فيهم الأنبياء، وهو ليس عيبا [illegible] النفس بالتسوية [illegible] المخاوف [illegible] الإنسان لأنه [illegible] في الغالب.

٢. خوف محمود:

وهو الخوف الذي يتعلق بالله ورسوله.

ويشمل كل ما يحجز المرء عن محارم الله، ويوجهه إلى الالتزام [illegible] المعاصي والآثام، ويسوقه إلى التوبة [illegible] الشهوات أو الشبهات [illegible]

والخوف له صور، وله إفراط وله اعتدال، والمحمود هو الاعتدال والوسط.

وأما القاصر منه: فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع، وكذلك عند مشاهدة سبب هائل، فإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفلة، فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع، وهو كالقضيب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألمًا مبرحًا فلا يسوقها إلى المقصد، ولا يصلح لرياضتها.

وأما المفرط: فإنه الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضًا لأنه يمنع من العمل.

وأما خوف الاعتدال: فهو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفًا"(١).

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "القدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثًا للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات والتبسط في فضول المباحات كان ذلك فضلًا محمودًا، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضًا أو موتًا أو [illegible]

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي [illegible]

ثم منّ الله بحيث ينقطع عن السعي في أسباب الشقائق المطلق (السعيدة) لله عز وجل فيكون محموداً[1].

وهذا الخوف المحمود يشمل ثلاثة أمور:

1. الخوف من مقام الله.

ورد الخوف من مقام الله تعالى في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

منها قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: 46].

قال القرطبي: «أي لمن خاف مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية. فـ(مقام) مصدر بمعنى القيام، وقيل: خاف قيام ربه عليه، أي: إشرافه واطلاعه عليه، بيانه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: 33]».

وقال مجاهد وإبراهيم النخعي: هو الرجل يهمّ بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه[2].

والخوف من مقام الله يشمل الخوف من عظمته وجلاله وكبريائه، ومن رقابته لعبده واطلاعه عليه وإحصائه الأعمال، والخوف من غضبه وسخطه وعقابه؛ كل ذلك يدفع المؤمن إلى التقوى فلا يقبل على الذنوب ويجتنب نواهيه، ويزجر نفسه كلما دعته إلى اتباع الهوى بمقارفة الشهوات، ومكافحة جموع الظروف الخاصة بالمؤمن، وكل سائر القوى، فلا يتصرف عنه وسط أي مسيرة. يقول الأستاذ سيد قطب: «والذي يخاف مقام ربه لا يقدم على معصية، فإذا أقدم عليها بحكم ضعفه البشري قاده خوف هذا المقام الجليل إلى الندم والاستغفار والتوبة، فظل في دائرة الطاعة.

ونهي النفس عن الهوى هو نقطة الارتكاز في دائرة الطاعة. فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان، ولكل تجاوز، ولكل معصية. وهو أساس البلوى، وينبوع الشر، وقل أن يؤتى الإنسان إلا من قبل الهوى. فالجهل سهل علاجه، ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأمد لعلاجها.

والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة، وقل أن يثبت غير هذا الحاجز أمام دفعات الهوى. ومن ثم يجمع بينهما السياق القرآني في آية واحدة. فالذي يتحدث هنا هو خالق هذه النفس العليم بدائها الخبير بدوائها، وهو وحده الذي يعلم دروبها ومنحنياتها، ويعلم أين تكمن أهواؤها وأدواؤها، وكيف تطارد في مكامنها ومخابئها. ولم يكلف الله الإنسان ألا يشتهي، ولا أن يتعرض في قلب الهوى، فهو سبحانه يعلم أن هذا خارج عن طاقته، ولكنه كلفه

---

[1] التخويف من النار لابن رجب ص ١٤.

[2] الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٧ / ١٧٦.

أن ربنا [illegible] وأن [illegible] في هذا [illegible] من كلام [illegible] العظيم [illegible](١).

٢. الخوف من عقاب الله.

تتعدد النصوص القرآنية التي تحذر العباد من عقاب الله تعالى سواء الدنيوي أو الأخروي.

قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (الإسراء:٥٧).

قال ابن كثير: «أي ينبغي أن يحذر منه ويخاف من وقوعه وحصوله، عياذًا بالله منه»(٢).

إن غفلة الناس عن عقاب الله تعالى تدفعهم إلى الاستخفاف بحرماته وتضييع أوامره وربما استغل الشيطان هذه الفرصة فيفتح لهم أبواب الرجاء الكاذب والأمل الخادع ليجعلهم يطمئنون من الطمع في رحمة الله، [illegible] على المعاصي في جرأة [illegible] من [illegible] برحمة الله [illegible] ويقع في محارمه.

ولقد [illegible] القرآن الكريم صورًا كثيرة من عقاب الله الدنيوي للأمم السابقة التي تمادت في الكفر والعصيان [illegible] كما قال تعالى:

﴿فَأَمَّا عَادٌ [illegible] فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (فصلت:١٥-١٦)

قال ابن كثير: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [illegible] ريح صرصر باردة شديدة البرد [illegible] حسومًا [illegible] الأرض [illegible].

﴿فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [illegible].

﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [illegible].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible].

بوجه الأرض.

﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible]

في [illegible] (1).

﴿[illegible]﴾ أي [illegible] ﴿[illegible]﴾ أي: إنما [illegible] ([illegible]).

[illegible]: ﴿[illegible]﴾ [هود: ١٠٢].

إنما سنة الله تعالى في إهلاك المجرمين [illegible] بالعذاب.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(2).

[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم من المرور بمنازل أهل العذاب إلا مع البكاء، والخشية. فقد ذكر ابن عمر رضي الله عنه قال: لما مر النبي بالحجر - منازل ثمود قوم صالح - قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين» ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي(2).

أما من العذاب الأخروي فقد وصفه الله تعالى بأنه أشد وأبقى كما قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٧].

[illegible] ﴿وَأَبْقَى﴾ أي: أدوم [illegible] لأنه لا ينقطع ولا ينقضي(3).

كما وصف العذاب بأنه أخزى كما قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ [فصلت: ١٦].

[illegible]

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible].

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قوله تعالى: [illegible]

(1) [illegible]، ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، [illegible].

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب نزول النبي الحجر [illegible].

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible].

الذين [illegible] مسلمين [illegible](1).

كما وصف بصفات أخرى منها [illegible] الشاب كما في قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ووصف أيضًا [illegible] كما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ووصف بأنه [illegible] كما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

قال القرطبي: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible](2).

إن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القرآن الكريم [illegible] في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

الطاقة والحس بالتقصير في جنب الله على [illegible] العبادة والخوف من [illegible] القلب [illegible] الشاب في أية لحظة، والتطلع إلى الله [illegible].

وفي قوله [illegible]: ﴿[illegible]﴾ إيحاء بالحساسية [illegible] التي لا [illegible] [illegible] الشاب في [illegible] [illegible] من الناس إلا [illegible] وهذه الحساسية [illegible] [illegible](3).

[illegible] ذكر القرآن الكريم [illegible] من الأنبياء عليهم السلام على أقوامهم وتحذيرهم من الكفر [illegible] [illegible] فمن ذلك [illegible] نوح عليه السلام على قومه في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ومن ذلك [illegible] هود عليه السلام على قومه في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

---

(1) [illegible] القرطبي [illegible]

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [illegible]

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]

يصح إسناده موقوفا(١).

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: ٦١)(٢).

وهكذا يظهر الخوف والوجل في قلوب المؤمنين من ثواب الآخرة أو الحجب أو الرياء أو غير ذلك من آفات القلوب، فيمنع هذه القلوب الرهبة حسابا وتزكوا لكل شدائد الأعمال.

ثانيا: خوف غير مشروع:

وهو الذي لم يكن من الله ولا من صفات العظمة الإلهية والجلالة ولا من مساوئ العبد وخطاياه بل يكون لغير ذلك من الأمور.

وقد ذكر القرآن الكريم صورا من الخوف غير المشروع منها:

١- الخوف من الشيطان

منذ النشأة الأولى لرفض إبليس اللعين السجود لآدم، وإعلانه تمرده واستعلائه الطرد من رحمة الله، ناصب إبليس آدم وذريته العداء، وسعى بشتى الطرق لإضلالهم وإغوائهم.

لذا صدحت النصوص القرآنية في مسائل من منابرة هذا الشيطان، ومحث عباد الله إلى عدم الخوف من كيده ومكره، كما دعاهم إلى عدم الاستجابة لوساوسه التي يلقيها في أوليائه من الكافرين والمنافقين لترهيب المؤمنين وتخويفهم من القتال، فصور القرآن الكريم حال المؤمنين بعد غزوة أحد وهم في طريقهم إلى حمراء الأسد حيث أثخنتهم الجراح وأنهكهم القتال.

فاستغل الشيطان هذه الفرصة ليلقي بالرعب في قلوبهم ويخوفهم من عدوهم ويوهمهم بأنهم عدد كثير وأنهم قوة لا تقهر، فأنزل الله في مصلحة المؤمنين آيات تكشف من المخوف ويحميهم من مخاوفهم تلك، في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۝ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٣-١٧٥).

---

(١) السير الحثيث، أبو نعيم ١/ ٢٧٩.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب التفسير، باب من سورة المؤمنين رقم ٣١٧٥، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

عملي بتخويف أوليائه ثلاثة:
أحدهما: أنه يخوف المؤمنين من أوليائه المشركين، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد وقتادة.

والثاني: أنه يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين، وهذا قول الحسن والسدي(1).

والقول الأول أولى بالصواب فالشيطان يسعى لتثبيط المؤمنين عن قتال عدوهم بما يلقيه في قلوبهم من الخوف من كثرة العدو وقوة أسلحتهم.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: فلا تخافوا المشركين أولياء الشيطان فإن نواصيهم بيد الله لا يتصرفون إلا بقدره، بل خافوا الله الذي ينصر أولياءه الخائفين منه المستجيبين لدعوته، وفي هذه الآية: وجوب الخوف من الله وحده وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله(2).

ومن المخاوف التي يلقيها الشيطان في قلوب العباد الخوف من الفقر، كما قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 268].

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ أي: يخوفكم منه ويأمركم به إذا أنفقتم في سبيل الله، والأصل في الرجل أن يكون بالغنى، والإيحاء بالفقر، ووعد الشيطان هنا أمر يوسوس له بالشح والإمساك مخافة الفقر ووعده بالفقر، إنما هو في صورة التخويف، إذ يطمع بوهمه عاقبة أمره فهو وعد التخويف الآمر الحريص على تعلقه عن ينفعه. مثلاً وعد الشيطان الناس الفقر ليمنعهم وعد الشح والبخل(3).

وفي مقابل وعد الشيطان بالفقر، هناك وعد الله بالمغفرة والفضل وسعة العطاء ورزقه لمن أنفق ماله وأنفق في سبيل الله. فمن استجاب لوعد الشيطان قاده إلى الهلاك والخسارات، ومن استجاب لدعوة الرحمن نال الرحمة والرضوان. وقد تضمنت الآية السابقة المنهج القرآني لعلاج وساوس الشيطان في تخويف العباد بالفقر، وذلك بالتذكير بأن الله تعالى بيده خزائن السماوات والأرض، يرزق عباده من حيث يحتسبون ومن حيث لا يحتسبون، ويوسع عليهم من واسع فضله الذي لا ينفد، كما أنه سبحانه يخلف إنفاقهم [illegible] [illegible] ويضاعفه لهم [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible].

فهل يغني مع وعد الله عز وجل [illegible]

---

(1) النكت والعيون للماوردي 1/437.
(2) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي ص157.
(3) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب 1/340.

أي يوسوس أو يخوف من الفقر؟!

وهكذا يستغل الشيطان خوف كثير من الناس من الفقر ليمنعهم من الإنفاق في سبيل الله ومرضاته، ويغريهم بالبخل، ويعدهم بالهم والقلق الدائمين، ليقضي عليهم [illegible] ويحرمهم من السكينة والطمأنينة.

فأي جريمة يرتكبها المرء في حق نفسه حينما يستجيب لوعود الشيطان بالفقر [illegible] عظيم الفضل والإنعام؟

إن القلب المؤمن لا يعرف خوف الشيطان؛ لأنه يستند إلى مصدر القوة [illegible] الله عز وجل، فإذا اقترب منه الشيطان [illegible] والأوهام ووسوس له بما يقلقه [illegible] إلى حصن مولاه [illegible] قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201].

فما أسعد المؤمن بقوة صلته بمولاه، وحسن توكله عليه [illegible] في معركته مع الشيطان.

٢- الخوف من الأعداء.

[illegible]

أعداء الإسلام في سبيل ذلك كافة الوسائل والتدابير التي من شأنها بث الخوف في قلوب المؤمنين وتخويفهم، وإضعاف روحهم المعنوية، لذا كان الخوف من الأعداء من الخوف المذموم الذي ينهى الله عز وجل عنه في أكثر من آية، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: 44].

وقوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 13].

وكيف يخاف المؤمن من أعدائه وهو يوقن أن الله عز وجل وليه وناصره وصاحب القدرة [illegible] والأرزاق بيد وحده الأمر كله من قبل ومن بعد كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: 107].

[illegible]

﴿[illegible]﴾ [illegible]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي: لا [illegible] من طاعة الله [illegible] والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا [illegible] من الله [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible][1].

ثم يظهرون الشدة والغلظة والترفع على الكافرين، [illegible] في سبيل الأمر [illegible] الذين [illegible] وحب الشهادة من الأعداء [illegible] حسنا [illegible] الذل والعلة[2].

وقد قص القرآن علينا موقف بني إسرائيل لما أمرهم [illegible] الخوف من خصومهم [illegible] دخول الأرض المقدسة [illegible] والهوان.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [المائدة: ٢١-٢٢].

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٦).

[2] فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٤).

ومكانة تصوير هذه الآيات مدى الخوف الذي [illegible] بني إسرائيل حتى أصابهم بضعف الهمة وخور العزيمة والجبن من ملاقاة عدوهم وعدو الله [illegible] بالفتيا والقصص.

ولعل الجبن والخوف، والوهن هو أساس الداء عند [illegible] أولئك اليهود، حيث [illegible] طريق القتال والجهاد والاستشهاد، [illegible] طريق الذل والضعف والاستسلام، [illegible] بأوهام وخيالات، [illegible] الانتصار على الأعداء عن طريق التفاوض السلمي أو المفاوضات المباشرة وغير المباشرة، أو انتظار خروج أعدائهم من البلاد واستسلامهم من الميدان [illegible] [illegible] والشعار [illegible] والاستسلام[1].

وبهذا نجح أعداء الإسلام في استخدام سلاح بث الشائعات ونشر الأكاذيب والأراجيف عبر وسائل الإعلام التي تصور قوة العدو بأنها لا تقهر، وأنهم يمتلكون من الأسلحة الحديثة الفتاكة ووسائل القتال المتطورة، والتي لا يمكن مواجهتها بذلك من أجل بث الخوف والرعب في قلوب المسلمين، وهو ما يعرف بالحرب النفسية.

---

[1] مع قصص السابقين في القرآن، صلاح الخالدي ص ١٥٩.

ولا يقبل أمام المسلمين حيال ذلك إلا الاعتصام بالله، والقرآن حتى، وإعداد القوة والأخذ بالأسباب، ولكن لهم عبرة في الأقوام الأبرار عندما مدحهم الله عز وجل في كتابه بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

فلم يزدهم إرجاف المرجفين وتثبيط المثبطين إلا إيمانًا وتسليمًا.

٢- الخوف من الموت الدنيوي (الناكص من الجهاد والفرار من التكاليف.

إن الخوف من الموت خوف طبيعي أو فطري لا يلام عليه العبد إلا إذا كان سببًا لترك واجب أو فعل محرم. فالخوف من الموت محرك قوي لأصحاب القلوب الحية يدفعها للتسارع إلى الشهادة والبعد عن المعاصي والسيئات، كما يدفعها إلى التوبة [illegible] عن الصراط المستقيم.

أما إذا أدى الخوف من الموت إلى الجبن والخور، وترك التكاليف والجهاد فهو خوف مذموم.

وقد نعى علينا القرآن الكريم قصة قوم خرجوا من ديارهم [illegible] خوفًا من الموت.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

يقص الله تعالى علينا قصة القوم خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت، إما بسبب الخوف من العدو، أو بسبب وباء عام كالطاعون ونحوه، فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم ليروا [illegible] أن الإماتة إنما هي بيد الله تعالى لا بيد غيره، فلا يغني [illegible] حذر، ولا الفرار [illegible].

[illegible]

إن الفرار من الموت لا يجدي، [illegible] أجلًا، ولا يرد قضاء، [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ [illegible]).

يكون إلا في حالة [illegible]، سواء كان هذا الخروج خوفاً من [illegible] أو من [illegible] حتى إذا [illegible] الموت [illegible] (1).

4. الخوف المعتدل (اليأس والقنوط).

ذكرنا أن الخوف المحمود ما حجز عن محارم الله، فإذا زاد عن حده أورث اليأس والقنوط، فيقع المرء في استمراء المعاصي والتمادي [illegible].

لذا فالواجب على المؤمن ألا يدفع الخوف بنفسه إلى حد يوقعه في القنوط واليأس من رحمة الله، فإن هذا الخوف مذموم، وهذا الخوف [illegible] في الآيتين: إنما أتت على رحمة الله تعالى التي سبقت غضبه [illegible] (2).

لذا [illegible] القرآنية التي تدعو المؤمن إلى الجمع بين الخوف والرجاء مثل قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: 16].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9].

كما جمع تعالى بين مغفرته وعقابه في قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: 49-50].

فالقلب ينبغي أن يكون [illegible] بين الخوف والرجاء والرغبة والرهبة، فإذا نظر إلى رحمة ربه ومغفرته وجوده وإحسانه أحدث له ذلك الرجاء والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه أحدث له الخوف والرهبة والإقلاع عنها (3).

كما حذر تعالى عباده من اليأس من روحه والقنوط من رحمته.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

وقال سبحانه: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: 56].

إنه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون [illegible] بالإيمان المتصل بالرحمن، فلا ييأس ولا يقنط مهما أحاطت به الشدائد ومهما ادلهمت حوله الخطوب ومهما غام الجو وتلبد وغاب وجه الأمل في ظلام الحاضر وثقل هذا الواقع الظاهر، فإن رحمة الله

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب ([illegible]).

(2) مدارج السالكين، ابن القيم ([illegible]).

(3) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص [illegible].

[illegible]

[illegible]

أو في على الله عنه(١).

وقد خوَّف المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم من آلهتهم كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦].

وهذا من ضلال المشركين إذ يحسبون أن آلهتهم الزائفة قد تملك ضرًا أو نفعًا، وتستطيع أن تتحكم بالأشياء والبشر بمن يعبدونه، فالله عز وجل هو الذي يتولى رعاية من يخافه كما يتولى رعاية عباده الصالحين، فمن ذا الذي يجرؤ أن يمس أولياء الله بسوء، ومن ذا الذي يخيف أهل طاعته؟

ومن ذا الذي يجب الخوف أو الخوف من آلهة المشركين على اختلاف صورها وأشكالها وهو عز وجل من بيده ملكوت السماوات والأرض؟

وقد أعلن إبراهيم عليه السلام هذه الحقيقة في وجه المشركين في يقين جازم وحسم قاطع في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١].

نفي الخوف عن الله

من لوازم الإيمان بالله: الإيمان بأسمائه وصفاته، والإيمان بهذه الصفات يشمل الاعتقاد أن صفات الكمال والجلال والجمال لله عز وجل، وتنزيهه عن كل صفات النقص ومن مشابهة شيء من مخلوقاته. وقد وصف الله تعالى نفسه بأن له المثل الأعلى، فقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

يقول الشنقيطي: «المثل الأعلى هو الوصف الأعلى الذي هو الكمال والجلال والتنزيه التام عن كل ما لا يليق، والتوحيد والإخلاص والتقديس لله جل وعلا سبحانه»(١).

وأضاف الشيخ السعدي رحمه الله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو كل صفة كمال، والكمال من تلك الصفة، والمحبة والإنابة التامة الكاملة في قلوب عباده المخلصين، والذكر الجليل والعبادة منهم، فالمثل الأعلى هو وصفه الأعلى وما ترتب عليه(٢).

---

(١) فتح القدير، الشوكاني ٤/ ٥١٤.

(١) المصدر السابق ٣/ ٢٦٠-٢٦١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٣٦.

ومن الصفات المنفية عن الله عز وجل: صفة الخوف، «فالخوف يتضمن انتفاء العلم والقدرة والإرادة، فإن العالم بأن الشيء لا يكون لا يخافه، والعالم بأنه يكون ولا بد [illegible] الرامي، وأما القادر [illegible] الشيء [illegible] نفسه [illegible]»[1].

وأما نفي الإرادة فلأن الخائف يحصل له الخوف بدون مشيئته واختياره، [illegible] سبحانه [illegible] الكبر [illegible].

قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝﴾ (الشمس: ١٤-١٥).

قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد [illegible] تبعة. وكذا قال مجاهد، والحسن، وبكر بن عبد الله المزني، وغيرهم. وقال الضحاك والسدي: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ أي: لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع، والقول الأول أولى؛ لدلالة السياق عليه، والله أعلم»[1].

وقال أبو السعود: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ أي: عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك [illegible] الإبقاء، وذلك أنه تعالى لا يفعل فعلاً إلا بحق، [illegible] عاقبة فعله [illegible] الخوف»[2].

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ومعناه: «أن الله لا يخاف من عاقبة هؤلاء الذين طغوا، ولا يخاف من إهلاكهم؛ لأنه المالك، وبيده كل شيء بخلاف غيره من الملوك [illegible] أما الله عز وجل فإنه لا يخاف عاقبة؛ أي: لا يخاف عاقبة من أهلكهم؛ لأنه سبحانه وتعالى له الملك التام [illegible]»[3].

والخلاصة: أن الخوف صفة نقص [illegible] المخلوقات [illegible] أما الخالق جل وعلا فإنه

---

[1] [illegible] لابن القيم (٤/ ١٤٥٠).

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/ ٤١٥).

[2] إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٩/ ٣٦٦).

[3] تفسير جزء عم، ابن عثيمين ص(٢٢٩).

حالة من الخوف، فهو صاحب الإرادة النافذة والمشيئة النافذة والقدرة الكاملة والهيمنة التامة والقوة القاهرة، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه... فهل يستطيع أحد من البشر الضعاف الجاهلين أن يحول بينه سبحانه وبين تصرفه المطلق في [illegible] بالحساب والمجازاة؟! سبحانه وتعالى [illegible] [illegible] إعمارها في هذه الحياة [illegible] لا إله إلا هو [illegible] (الشورى: ١١)، فهو [illegible] (الشورى: ٨)[1].

ألا فلنراجع ولنرجو [illegible] التي استهدت [illegible] والطيبات [illegible] الله عز وجل لها ولنسعد بها.

وتأمل في حال الهالكين على مر العصور الماضية كانوا أشد منهم قوة فأهلكهم الله [illegible] بعد حين، كما قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (غافر: ٢١).

الخوف طبيعة إنسانية

الخوف شعور فطري أوجده الله تعالى في النفس البشرية ليعين الإنسان على اتقاء الأخطار التي تهدده [illegible] على الحياة والبقاء، وهو يختلف حسب الحالة التي يكون فيها الإنسان والمؤثر الذي يتعرض له، فلا يخلو شخص من هذا الشعور مهما علت منزلته.

وهذا ما يؤكده علماء النفس: «الخوف حالة انفعالية داخلية طبيعية يشعر بها الإنسان في بعض المواقف ويسلك فيها سلوكاً يبعده عادة عن مصادر الضرر، وهذا لا يتأتى من استعداد فطري أوجده الخالق في الإنسان والحيوان، ويسمى الغريزة، ولابد أن يكون الخالق قد أوجد هذا الاستعداد الغريزي لحكمة تتعلق بمصالح الكائن الحي، فالخوف من الشيء يدعونا لحماية أنفسنا والمحافظة عليها، [illegible] لا تخاف النار [illegible] لا تخاف الحشرات والحيوانات الضارية [illegible] لا تخاف الجرائم [illegible] وإن [illegible] الإنسان على [illegible] ومن الطبيعي أن تقترن الحالة الشعورية الانفعالية [illegible]

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٧٩٢.

يوهم الخلاص من الخطر[1].

ويقول د. محمد بني يونس: (الخوف ظاهرة طبيعية أو سوية، و لا يدل على أي اضطراب نفسي أو انحراف في الشخصية و طالما أن هناك أسباباً منطقية له، و أن مستوى الخوف الذي يعيشه الشخص الخائف يتناسب مع حجم الخطر المخيف، و بالخوف في حد ذاته ليس شيئاً سيئاً يجب القضاء عليه، أو يجب الاستخفاف حتى في مجالات التربية والمجالات الاجتماعية العامة)[2].

أما إذا تجاوز الخوف الحد المطلوب فإنه يصبح حالة مرضية تنعكس على المرء سلباً، وتكبل طاقاته وتعيقه بالشلل الحركي، وتضعفه إلى الاستسلام والجمود.

ولقد وصف القرآن الكريم أشكال الخوف عند بعض الأنبياء عليهم السلام نتيجة تعرضهم لمواقف مختلفة[3]، تناولها بإيجاز:

1. الخوف نتيجة شدة المواقف وعامل المباغتة.

ويتجلى ذلك بصورة واضحة في قصص موسى وهارون ولوط عليهم السلام:

1. خوف موسى عليه السلام

ويتجلى ذلك في موقفين:

الموقف الأول: عندما تحولت العصا في يده إلى ثعبان يتحرك بسرعة كأنه جان، قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل:10).

وقال عز وجل: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (القصص:31).

لقد فوجئ موسى عليه السلام بعدما أن ألقى العصا أنها صارت حية كبيرة عظيمة مخيفة تهتز وتضطرب، تمشي وتسير، وتتحرك حركة سريعة خفيفة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي: انطلق مسرعاً فأعطاها ظهره، وانطلق هارباً من شدة الخوف الذي وقع عليه من تلك العصا التي انقلبت حية جانة في يده دون مقدمات[1].

لقد كان الأمر بالغ الصعوبة خاصة أن موسى عليه السلام لم يكن يتوقع هذا الموقف، كان يصحبه القلق والاضطراب، ويغمره

---

[1] أسس الصحة النفسية، عبد العزيز القوصي ص ٢٢٩.

[2] سيكولوجية الدافعية والانفعالات، محمد بني يونس، ص ٢٥٥-٢٥٦.

[3] أثر القرآن في علم النفس في الإسلام ص ٢٢٦.

[1] التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ١٠/٢١٢.

[illegible]

[illegible]

٢. [illegible] عليه السلام [illegible]

قال الله عز وجل: [illegible]

[illegible]

٣. [illegible] عليه السلام [illegible]

قال الله عز وجل: [illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

[illegible] الحقيقة الإلهية [illegible] عليه السلام: ﴿[illegible]﴾ [illegible] مع ما أصابه من [illegible].

٢. الخوف نتيجة [illegible] والشعور بالألم.

ويتجلى ذلك في خوف موسى عليه السلام من بطش فرعون وطغيانه في النص:

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (طه: [illegible])

لما كلف الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام بالذهاب إلى فرعون ودعوته إلى الحق، [illegible] موسى عليه السلام [illegible] فرعون [illegible] كما أن موسى قد قتل القبطي [illegible] كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (القصص: [illegible])

فجاء توجيه موسى وهارون عليهما السلام إلى الله عز وجل: ﴿[illegible]﴾ فقد خاف موسى عليه السلام من أن يعجل فرعون بعقابه قبل أن يسمع منه ما أرسل به إليه، [illegible] الطاغية [illegible] الأمر بالقتل.

وهنا تأتي [illegible] بالحفظ والرعاية [illegible] ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: لا تخافا منه فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى علي من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي[1].

وفي هذا رسالة يستشعرها القلب المؤمن [illegible] في معية من بيده ملكوت كل شيء، [illegible] المؤمن [illegible] في أشد المواقف [illegible] الطغاة [illegible] المجرمين.

٣. الخوف من المجهول أو غير المعلوم.

ويتجلى ذلك في هذه المواقف القرآنية:

١. خوف إبراهيم عليه السلام من ضيوفه. قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible].

الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٨].

يصور هذا المشهد القرآني وصول مجموعة من الملائكة على صورة رجال إلى منزل إبراهيم عليه السلام، ولأن إبراهيم لا يعرفهم، دخلوا عليه مسلمين، فقام من فوره وقدم لهم طعامًا، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه خاف إبراهيم منهم لكونهم لا يأكلون.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في ذكر الشيء والأكثر: عند عرفت أنه ذكر ذلك حيث وجدهم على غير ما عهده من الضيف، فأ الضيف لا يمتنع من طعام المضيف إلا لريبة، أو قصد سيء، وأحس في نفسه خيفة منهم، وقال أن أمرك ذلك، والمشهور إلا أنهم ليسوا بشرًا، أو أنهم ربما كانوا من ملائكة العذاب، والرجس يظهر على ما يجري الناس من الشعور والخواطر عند النزع[1].

وقد عبر الله عز وجل عن هذا الموقف أيضًا في سورة هود بقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠].

أي: أحس في نفسه خيفة منهم، وأنهم ملائكة الرحمن جاءوا لإهلاك قوم لوط، كما بشروه بغلام عليم يكون له من زوجه العجوز العقيم.

والجميل في النص أنه يصور ما شاهد إبراهيم الخوف، فظهرت علامته على وجهه، وهو أمر دفع الملائكة إلى طمأنته، وهذا الشعور بالخوف من قواعد بالكشف عن حقيقتهم الملائكية الكريمة، ويحزنوا ولقاء يشرى الولد، بيانًا رسالتهم على إبراهيم، فالرسول أشد عليه بما كان ليرى في ولا أحد، ولكن المرء كان لا يعرف إبراهيم أن يشاء، أي: تمسوا خيفة، فقالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾ من الرجس، وهو إشعار الشعور بالخوف في النفس، ووضح تلك شاهدت الملائكة إلى حد ذلك الخاطر من قلبه، وتسكين وحشته من روح الأمن والسلام[1].

٢- خوف يعقوب عليه السلام على يوسف من الذئب

ففي المحطة الأولى التي تمثل فيها يوسف رؤياه على أبيه يعقوب عليهما السلام، أدرك يعقوب أن ما سيكون ليوسف مستقبل مشرق زاهر، فطلب من يوسف ألا يقص رؤياه على إخوته خوفًا من كيدهم ومكرهم

---

[1] تفسير المنار، الشيخ محمد رشيد رضا (٢٦٨/١٢).

[1] مجالس القرآن، الشيخ الشعراوي (١٠٧/٦).

[illegible] إخوة يوسف من أبيهم أن يرسل معهم يوسف [illegible] كما حكى القرآن في قوله سبحانه: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۝ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ۝﴾ (يوسف: ١١-١٣).

[illegible]

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ۝﴾ (يوسف: ١٤). [illegible]

[illegible]

٣. خوف موسى عليه السلام من فرعون [illegible]

قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾

---

(١) القصص القرآني [illegible]

(٢) [illegible]

لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ (القصص: ١٨-٢١).

تصور هذه الآيات لحظات الحيرة والاضطراب التي انتابت موسى بعد قتله القبطي بطريق الخطأ وانتشار الخبر في قصر فرعون، وخوف موسى من اكتشاف أمره خاصة بعدما نصحه أحد الناصحين من آل فرعون بالخروج من مصر قبل أن تصل إليه أيدي زبانية فرعون.

فهنا صور القرآن حالة موسى عندما خرج من المدينة.

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢١].

خرج من المدينة خائفًا، وكان قد أصبح في المدينة خائفًا، وخرج من المدينة يترقب، وكان قد أصبح في المدينة يترقب. كان في المرة الأولى خائفًا أن يعرف أمره لأنه قتل القبطي بالأمس، وكان يترقب ويتلفت وينظر يمنة ويسرة.

أما الآن فهو خائف من جنود فرعون، الآن سيصدر أمرًا بالقبض عليه وقتله.

وخوف موسى طبيعي؛ لأنه (ﷺ) بشر ولا عيب عليه، وليس جبنًا ولا ضعفًا، إذ لا بد من رجل مطارد يريدون القبض عليه وقتله أن يخاف من نقمتهم.

ولكن خوف موسى الطبيعي من الخطر الفرعوني المحدق به لم يؤثر على إيمانه بالله وتوكله عليه وثقته به، ولا ينسى فضل الله عليه وحفظه له في كل ما مرّ به من المحنة(٢٥).

---

(٢٥) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي (٢/ ١٦٩).

أسباب الخوف المحمود

أولاً: معرفة الله بصفات جلاله وعظمته وكبريائه.

إن التفكر في عظمة الله تعالى من أكبر [illegible] في أسمائه وصفاته، يملأ القلب البشري مهابة [illegible] على أوصاف العظمة والكبرياء لله عز وجل، بما ينسكب في القلب الخوف منه والحرص على طاعته [illegible] حين يتأمل في صفات مولاه [illegible] القوي العزيز، الكبير المتعال، الواحد القهار، الحميد الصمد، القادر المقتدر والجبار المتكبر، ذو البطش الشديد، الفعال لما يريد، ذو الجبروت والملكوت، عندها تنتابه الخشية [illegible] إلى سلوك سبيل الهدى.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

إنها الارتعاشة الوجدانية التي تدب في القلب المؤمن حين يذكر بالله في أمر أو نهي، فيغشاه جلاله، وتنتفض فيه مخافته، ويتمثل عظمة الله ومهابته إلى جانب تقصيره هو وذنبه، فينبعث إلى العمل والطاعة. وهي الحال التي [illegible] القلب المؤمن حين يذكر بالله في صدد أمر أو نهي [illegible] الله [illegible][1].

وقد نعى الله عز وجل على أولئك الذين لا يقدرونه في عظمة ربهم في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

وقد ذكر المفسرون في هذه الآية معاني [illegible] منها:

الأول: ما لكم لا تعرفون لله عظمة [illegible]

الثاني: لا تخشون لله عقاباً ولا ترجون منه ثواباً، قاله ابن عباس في رواية ابن جبير.

الثالث: لا تعرفون لله حقاً ولا تشكرون له نعمة، قاله الحسن.

الرابع: لا تؤدون لله طاعة، قاله ابن زيد[1].

فما أعجب من يرى آيات الله تترى في الكون والأنفس [illegible] من عظمته وجلاله، ثم [illegible] أن يخشى [illegible] الإنسان [illegible]

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب (٣/١٤٧٧).

[1] النكت والعيون للماوردي (٦/١٠١).

(٤) الشعور بالتفريط في جنب الله، ومعرفة شؤم عواقب الذنوب والمعاصي:

إن القلب اليقظ الحي [illegible] من مولاه [illegible] في [illegible] يعلم ما للمعاصي والذنوب من آثار سيئة وعواقب وخيمة في الدنيا والآخرة، [illegible] يحرمه [illegible] حلاوة الإيمان [illegible] الهوى.

[illegible] الخوف من الله تعالى [illegible] من [illegible] القلب [illegible] الله [illegible] والاشتغال [illegible] بالطاعة [illegible] المعصية [illegible]

فالخوف من الله يجعل العبد في [illegible] لا يعلم [illegible] كما قال تعالى:

﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] تعالى [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

قال ابن القيم: [illegible] من الاستقامة [illegible]

[illegible] بالتوحيد [illegible]

[illegible] على المعاصي [illegible]

[illegible] إلا [illegible] القلب.

[illegible] الخوف [illegible] على القلب [illegible] من قلوب أهل الإيمان، [illegible]

---

(١) [illegible]

القلب [illegible] أنه لا يلج له باب القرب إلا [illegible] [illegible] القلب [illegible] وأحوالها، وذكر [illegible] [illegible] مع أنه لا يتركه حتى يصير [illegible] (١).

(١) مراقبة الله تعالى في السر والعلن:

إن علم المؤمن بسعة علم الله تعالى وإحاطته [illegible] عليه خافية ولا يعزب عنه شيء وأنه معه أينما كان وأنه لا تأخذه سنة ولا نوم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور [illegible] القلب [illegible] الخوف [illegible] في الجوارح [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] الله عز وجل في هذه الآية أنه

[illegible] عباده المؤمنين [illegible] من أخذ بالأيدي والرماح [illegible] [illegible] في هذا [illegible] إلا [illegible].

رابعًا: تذكر الموت وشدته والقبر وظلمته:

من أهم أسباب الخوف الفكر في الموت [illegible] والأجل المكتوب، والخاتمة المنتظرة، لا مهرب منه ولا مفر، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨].

[illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأنعام: ٥١].

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص ٤١٨.

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله عن [illegible] العصيبة:

«فاعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرًا بأن يتنغص عليه عيشه، ويتكدر عليه سروره، ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقًا بأن يطول فيه فكره، ويعظم له استعداده، لا سيما وهو في كل نفس بصدده، كما قال بعض الحكماء: كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك. والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه، وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل»(١).

وقد عرض القرآن الكريم صورة لحظة الموت وخروج الروح بما يبث الخشية في القلب ويغرس المراقبة في النفوس، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ۝ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٦-٣٠]. ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ أي: اجتمعت الشدائد والتفت، وعظم الأمر وصعب الكرب، وأريد أن تخرج الروح من البدن وأن تزل منه فالله يلقى الله تعالى، حتى يجازيها بأعمالها ويقررها بفعالها، فهذا الزجر الذي ذكره الله يسوق القلوب إلى ما فيه نجاتها، ويزجرها عما فيه هلاكها(١).

ويلحق بالتعرف إلى الموت التعرف إلى القبر وفتنته وظلمته ووحشته... عن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»(٢).

خامسًا: التفكر في القيامة وأهوالها:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ①﴾ [الحج: ١].

أي: اتقوه في أوامره أن تتركوها، ونواهيه أن تقترفوها، [illegible] الاحتراس من المكروه والمحذور: احترسوا بطاعته من عقوبته. ثم قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

(١) إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي ٤/ ٤٧٣-٤٧٤.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: السعدي ٨٩٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، رقم ١٣٧٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم ٢٨٦٦.

الحاقة وأصل الحقة من [illegible] من الفريقين أي: [illegible] وسميت [illegible] في تحقيق الأمر. وقيل: هي [illegible] التي هي إحدى شرائط الساعة التي تكون في الدنيا قبل يوم القيامة هذا قول الجمهور)[1].

إنه يوم عصيب شديد الأهوال [illegible] [illegible]

[illegible]

ولقد تعددت النصوص القرآنية التي تصف أهوال ذلك اليوم العصيب، نتناول منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [المزمل: ١٧-١٨] وقوله سبحانه: ﴿[illegible]﴾

﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقوله سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [الزمر: ٦٨].

روى الترمذي وأحمد من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] و﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١])[1].

إن تنوع النصوص القرآنية التي تصف أهوال ذلك اليوم وذكرها يهدف إلى بث الخوف في القلوب [illegible] حتى يستقيم سيرهم على الصراط المستقيم في رحلتهم في الحياة الدنيا، ويحيل عليهم تقوى الله في السر والعلن، فتصبح التقوى هي الميزان الذي يزنون به جميع أقوالهم وأفعالهم، ويحتكمون إليه في علاقاتهم واتصالاتهم، ولا ينقطع بهذه الأبعاد إلا

---

[1] تفسير القرطبي [illegible]

[2] التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب [illegible]

[1] أخرجه الترمذي، كتاب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة إذا الشمس كورت [illegible]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم [illegible].

أصحاب القلوب الحية الذين لا تلهيهم الدنيا وزخارفها وزينتها عن ذكر ربهم [illegible] يوم تضطرب فيه القلوب [illegible] والأبصار [illegible] بقوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

سادساً: التذكير بالنار وشدة عذابها:

إن المتدبر للنصوص القرآنية يجد القرآن قد عرض صوراً متكررة لعذاب النار من أجل بث الخوف في نفوس العباد وحمل القلوب على الاستقامة على طاعة الله والفرار من معصيته.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الليل: ١٤-١٦].

وقال: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ أي لإحدى الدواهي، و﴿الْكُبَرِ﴾: جمع الكبرى [illegible] من العظائم [illegible] وقال الحسن: والله ما أنذر الخلائق بشيء أدهى منها⁽¹⁾. كما وصف الله تعالى النار بأنها تلتهب وتتوقد وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤].

كما أخبر سبحانه [illegible] من العذاب [illegible] وذلك في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الزمر: ٢٣].

لقد تنوعت الآيات التي تصف عذاب أهل النار، فقد ذكر تعالى [illegible] كما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

ويكفي في وصف عذاب النار أن غمسة واحدة فيها تنسي المرء كل ألوان النعيم والمتاع في الدنيا [illegible].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب»⁽¹⁾.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/ ٨٣).

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار، [illegible] رقم (٢٨٠٧).

يا أيها من أهوال يشاهدها يوم الحشر أن يلقي في سبيل الخلاص منها بأقل ما يملك، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

ولكن هيهات هيهات!

ولما نعم عباد الرحمن عن عذاب أهل النار وما يقاسونه من الآلام والحسرات دعوا الله عز وجل في ضراعة وخشوع أن يصرف عنهم عذابها ويحميهم من أهوالها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝﴾ (الفرقان:٦٥-٦٦).

وهكذا يظل الخوف في نفوس الصالحين [illegible] يقظة دائمة [illegible] بكثرة [illegible] كثيرا في عذاب النار، حتى أصبح [illegible] الشاغل.

سابعًا: مجالسة الصالحين والاستماع لنصائحهم:

فالجليس لا يخلو أمره من أن يكون على أحد شخصين: [illegible] تورثه الخوف من الله، ومجالسة الغافلين تورثه الغفلة عن الله.

ألم يوص الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بصحبة أولياء الله تعالى [illegible] لرحمته والسائلين لقضائه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الكهف:٢٨).

فهي دعوة النبي عليه الصلاة والسلام -وأمته من بعده- بالمداومة على مجالسة [illegible] الذين يذكرون الله ويسبحونه ويحمدونه ويكبرونه [illegible] في كل وقت يطلبون وجهه [illegible] ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم؛ فإن صحبتهم ترقق القلب وتزكي النفس، وتحثه على العمل للآخرة، وتعين المرء على الطاعة والعبادة. [illegible]

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك(١)، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة»(٢).

---

(١) أي يعطيك.

(٢) [illegible] البخاري [illegible] صحيح مسلم [illegible].

[illegible] وإنما [illegible](1).

قال الراغب: [illegible] على أن حق الإنسان أن يتحرى [illegible] الأخيار ومجالستهم [illegible] الشرير على الخير [illegible] [illegible] (2).

وهكذا فمجالسة الصالحين سبب لصلاح القلوب [illegible]

ثامناً: تدبر القرآن:

وتدبر القرآن يجمع كل ما سبق من أسباب الطمأنينة، [illegible] والعظمة والألوهية لله تعالى [illegible] المراقبة له سبحانه، وفيه آيات الوعد والوعيد [illegible] الأحوال [illegible] مخافة التفريط في جنب الله [illegible] القرآن [illegible] الأمم السابقة [illegible] الكتاب والعقاب.

قال الإمام ابن القيم: "فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع الفكر على معاني آياته [illegible] إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتحثه على التضمر والتخفف للقاء اليوم الثقيل"(1).

قال الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [ق: 37].

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] (2).

وهكذا فإن كلمات القرآن [illegible] القلوب [illegible] (3).

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه [illegible] ومسلم في صحيحه [illegible] الصالحين، رقم [illegible].

(2) فيض القدير، المناوي [illegible] بتصرف.

(1) مدارج السالكين، ابن القيم [illegible]

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]

(3) [illegible]

[illegible] حال تجري الدمعة من [illegible] الكبرياء [illegible] من هذا الحديث [illegible] الله [illegible] من كلام الله الذي يقول سبحانه وتعالى [illegible] [الأنفال: ٢].

فإذا نزل هذا القرآن على القلوب الحية [illegible] ⁽¹⁾.

فيا أيتها القلوب الحية [illegible] في وجل [illegible] عز وجل في حالة عصيانه أو التقصير في طاعته [illegible] إلى الصراط المستقيم [illegible] والسلام والأمان.

آثار الخوف المحمود

الخوف المحمود أثره إيجابي دائماً

أولاً: الاستقامة على طاعة الله واجتناب الكبائر والموبقات.

إن الخوف من الله يجعل القلب يقظاً [illegible] الطريق، [illegible] على طاعة ربه واجتناب كل ما حرم من الكبائر والصغائر، كما [illegible] الطريق أو [illegible].

وقد أثنى الله عليه في كتابه الكريم [illegible] الأمر [illegible] لا [illegible] قال تعالى: [illegible] [illegible].

والسر في هذا الموقف أن الخوف من الله إذا استقر في القلب أثمرت مراقبة الله عز وجل، والتي بدورها تمنعه من ارتكاب المحرمات وفعل المعاصي والمنكرات.

ثانياً: الخوف من [illegible] الأفراد والجماعات [illegible] من الاعتداء والظلم والطغيان.

---

(1) تفسير القرآن [illegible]

فالنفوس عندما يواجه طرقات الشهوات والشبهات أو يزين له الشيطان الوقوع في المحرمات يقع فيها شعار ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ فيتوب على الطاعة ويلزم الاستقامة.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: «اعلم أن الشهوات لا تنقطع بشيء إنما تنقطع بنار الخوف، فالخوف هو النار المحرقة للشهوات، فإذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات، ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف، وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب إلى الله زلفى»(1).

وقد ذكر ابن القيم بعض الآثار التي تؤكد على أهمية الخوف في تحقيق الاستقامة منها: قال أبو سليمان: ما فارق الخوف قلبًا إلا خرب، وقال إبراهيم بن شيبان: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها وطرد الدنيا عنها، وقال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق»(2).

ثالثًا: المسارعة إلى الخيرات والتنافس في الأعمال الصالحات:

وردت النصوص القرآنية التي تبين أن الخوف من الله باعث على المسارعة إلى الخيرات والتنافس في القربات، فقد أثنى الله تعالى على أوليائه لما كانوا عليه من الخوف من عقابه والطمع في رحمته.

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: 90).

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي: في عمل القربات وفعل الطاعات، ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ قال الثوري: ﴿رَغَبًا﴾ فيما عندنا ﴿وَرَهَبًا﴾ مما عندنا ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أي: مصدقين بما أنزل الله. وقال مجاهد: مؤمنين حقًا. وقال أبو العالية: خائفين. وقال أبو سنان: الخشوع هو الخوف اللازم للقلب لا يفارقه أبدًا(1).

كما مدح الله عز وجل عباده الصالحين الذين ملؤهم الخوف منه سبحانه إلى حين مفارقتهم لدنياهم ويدعونه خائفين من عقابه طامعين في رحمته، كما في

---

(1) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي 4/ 160.

(2) مدارج السالكين، ابن القيم 1/ 512.

(1) تفسير القرآن العظيم ابن كثير 5/ 370.

قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (السجدة: ١٦).

إنها صورة وضيئة للأرواح المؤمنة اللطيفة الشفيفة الحساسة المرتجفة من خشية الله وتقواه، المتجهة إليه بالطاعة، المتطلعة إليه بالرجاء، في غير ما استعلاء ولا استكبار. هذه الأرواح هي التي تؤمن بآيات الله وتتلقاها بالحس المتوفز والقلب المستيقظ والضمير المستنير(١).

والآيات التي تدل على أثر الخوف في المسارعة إلى الخيرات كثيرة منها قوله تعالى في وصف عباد الله الذين جعلوا خاصة الله وصفوته: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ... أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (المؤمنون: ٥٧-٦١).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ... أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (الأنفال: ٢-٤).

فالخوف من أهوال يوم القيامة دفعهم إلى المسارعة إلى الطاعات والإخلاص في الجهاد.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ ﴾ (الإنسان: ٧-١٠).

إنه القلب المؤمن يستشعر يد الله عليه ويحس آلاءه في كل نفس وكل نبضة، ومن ثم يستشعر كل جانحة ويتسائل كل ... إلى جانب آلاء الله ... مرتعش كل ذرة فيه ... ورائب بكل مشاعره يد الله في كل شيء من حوله ... بالوجل ... فلا يأمن ... (٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»(٣).

الجرأة والشجاعة في طلب الحق والانتصار له: إذ لا يمكن لقلب عرف الله حق معرفته أن يخاف أحدًا سواه، فالمؤمن

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/٢٨١٢).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/[illegible]).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله باب [illegible] (٢٤٥٠)، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الألباني كما في صحيح الترغيب رقم (٣٣٧٧).

يوقن أن الله سبحانه بيده النصر والفتح وأن ما سواه تحت سيطرته لا يتجاوزون إلا أن يشاء الله، لذا فهو يصدع بالحق، ويدافع عنه ويجاهد في سبيل نصرته باللسان والسنان، لا يخاف أحداً من المخلوقين ولو حصل خوف يذهب أو أثر في نفسه أو أقل أثر ذلك.

وقد قص الله علينا في كتابه صورة ساطعة لأثر الخوف من الله في تحصيل الجرأة والشجاعة في ميدان الجهاد.

فعندما رفض الجبناء من بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة متعللين بوجود الجبابرة بعرض بطولهم، خرج عليهم منها رجلان، وقيل: رجلان منهما أنعم الله عليهما بالشجاعة والجرأة، والثبات، لخوفهما منه وحده يصححان ويذكرانهم، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞﴾ [المائدة: ٢٣].

وقوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ أي: ممن كان في بني إسرائيل من مخافة الله، وخشية عقابه، وقيل: لله موسى عليه السلام، أنعم الله عليهما نعمة عظيمة، وهما ممن يخاف أمر الله ويخشى عقابه[1].

ومكانة المؤمن لا يبعدون في مواطن اللقاء ولا يخاف من مواجهة الأعداء، ولا يهاب الباطل خوفاً من بطشه، ولا يقصر في تبليغ الحق مهما واجه من صعوبات؛ لأنه يعلم أن الله عز وجل وعد المستضعفين بالنصر والتمكين، وأن ما عند من الباطل مجرد حواجز لا يقدرون على إيصال الأذى إليه إلا أن يشاء الله.

وقد قص الله عز وجل علينا موقف سحرة فرعون عندما خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، واستقرت الخشية من الله وحده في قلوبهم، فلم يبالوا بتهديدات فرعون ووعيده، وأبوا لخوفهم لقوة فرعون الطاغية، فالقلب المتصل بالله يستخف بكل طاغية في سبيل إعلاء راية الحق، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۞﴾ [طه: ٧٢-٧٣].

فالله فوق الأرض كلها لا تخيف -أو لا ينبغي أن تخيف- ألبتة، فأي قوة مستبدة لا تملك من قلوبها ولا تملك لنفسها شيئاً، ولا تملك القلوب التي لا ينبغي أن تخاف إلا من القوة التي بيدها كل شيء، في السلسلة حاول الباطنة حظ، وإن تخوفها من الخوف الواجب، وعليهما في السبيل، الخوف

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٣٧).

ينبغي أن يكون من الله، وبما يعرف به الله[1].

ثالثا: الانتفاع بالذكرى والإنذار، والتأثر بآيات القرآن:

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقال عز وجل: ﴿[illegible] أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: 37).

فهذه الآيات كلها تبين أن أهل التعرف والخشية من الله هم الذين ينتفعون بالإنذار ويستجيبون لمواعظ القرآن ومقالاته [illegible] [illegible] [illegible] والآخرات، [illegible] [illegible] الأمين، وقال سبحانه بعد ذكر [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

﴿[illegible]﴾ [illegible] في [illegible] سبحانه لأهل القرى، أو في القصص [illegible] على رسوله [illegible] خائف عذاب الآخرة الأليم [illegible]

ويتأثرون بالمواعظ[2].

وقال عز وجل بعد إهلاك أصحاب [illegible] ﴿[illegible]﴾ (الذاريات: 37).

إن المؤمن الوجل قلبه يعتبر بكل الآيات التي تصير عاقبة الله للمعتبرين في الدنيا أو الأخرى فهو يخشع لها كثيرا من مظاهر الجبروت الرباني الغاضب وآثار من آثار القوة الإلهية، واسعة من أسمائه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القرى [illegible] في سجن [illegible] [illegible] [illegible] والمواعظ بل يستشعرونها بالقصص والأحداث في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (القصص: [illegible]).

ثانيا: الخوف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا موضع للاستهزاء ولا يكون [illegible] [illegible] من الوعيد الشديد، والتحذير من [illegible][3].

---

[1] منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص: [illegible].

[2] [illegible] [illegible]

[3] [illegible] [illegible]

رابعًا: البكاء من خشية الله:

إن القلب إذا مازجه الخشية والخوف من الله، كان رقيقًا رقراقًا، [illegible]

[illegible]

كما وصف سبحانه صالحي أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

هكذا يخر عباد الرحمن [illegible] الذكرى بقلوبهم؛ يخرون كما تخر الجبال الرواسي إذا زلزلت الأرض من تحتها [illegible] إلا البكاء، البكاء [illegible]

[illegible]

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٣١٤.

(٢) مجالس القرآن، فريد الأنصاري (١/ ٢٢٧).

جزاء الخائفين من الله

أولاً: جزاء الخائفين من الله في الدنيا.

١. النصر على الأعداء والتمكين في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٣-١٤].

فقوله: ذلك إشارة إلى أن ما قضى الله تعالى به من إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم إلى ذلك الأمر حق لمن خاف مقامي وخاف وعيد.

الأول: المراد موقفي وهو موقف الحساب؛ لأن ذلك الموقف موقف الله تعالى الذي يقف فيه عباده يوم القيامة، ونظيره قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

الثاني: أن المقام مصدر كالقيام، يقال: قام قياماً ومقاماً، ذلك لمن خاف قيامي عليه ومراقبتي له، لقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

الثالث: ذلك لمن خاف مقامي، أي: إقامتي على العدل والصواب، فإنه تعالى لا يقضي إلا بالحق ولا يحكم إلا بالعدل، ومع أنه تعالى يحكم على العدل لا يميل عنه ولا يجور في حكمه.

الرابع: ذلك لمن خاف مقامي، أي: خاف قيامي، وهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول.

ثم قال تعالى: ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ قال الواحدي: الوعيد اسم من أوعد إيعاداً، وهو التهديد. قال ابن عباس: خاف ما أوعدت من العذاب[1].

﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ أي: إنما ذلك الجزاء الحسن وهذا النصر العظيم لمن خاف مقام ربه، وخشي بأسه، فراقبه، واتقى حرماته، وعظم شعائره، والرسل من هذا في المقام الأول، ثم من اتبعهم بإحسان[2].

وهكذا الخوف من الله يدفع المؤمنين إلى فعل الطاعات، وترك المنكرات، والابتعاد عن الفساد والإفساد والظلم والاستكبار، فهم يريدون التمكين في الأرض من أجل نشر العدل والإصلاح، ولذا وعدهم الله تعالى بوراثة الأرض والنصر على أعدائهم والتمكين لهم.

---

[1] مفاتيح الغيب للرازي ١٩/ ١٠١-١٠٢.

[2] القصص القرآني لعبد الكريم الخطيب ٢/ ١٠١.

٢. قبول الدعاء:

قال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

أي: خوفاً منه ومن وبيل عقابه [illegible] ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: إن رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره(١).

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: إن رحمته تعالى قريبة من المحسنين [illegible] لأن الجزاء من جنس العمل كما قال: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

فمن أحسن في [illegible] ومن أحسن في الدعاء [illegible](٢).

ففي هذه الآية ارتباط وثيق بين الخوف من الله وقبول الدعاء، وكيف لا والخوف يحمل صاحبه على التشمير في الطاعات والاجتهاد في العبادات [illegible]

٣. التوفيق للهداية:

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ٢].

[illegible](٣).

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible](٤).

[illegible]

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible].

(٢) تفسير المراغي [illegible].

(٣) مفاتيح الغيب للرازي [illegible].

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور [illegible].

ويغرس في قلبه شجرة التقوى لتثمر ثمارًا [illegible] بمراقبة الأمور والاستعداد لها ليوم [illegible] ذلك اليوم الذي لا يعرف إلا التقوى فيه [illegible] حاجز، [illegible] حجاب، [illegible] بالتقوى [illegible] [illegible] الآخرة والأولى، [illegible](١).

ثانيًا: جزاء الخاشين من الله في الآخرة

١. المغفرة والأجر الكبير:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

يقول تعالى مخبرًا عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبًا عن الناس فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله بأنه له مغفرة وأجر كبير أي يكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل.

والذين يخشون ربهم بالغيب هم الذين [illegible] يوم القيامة [illegible] في هذا اليوم الغائب عنهم، ثم إنهم هم الذين يخافون ربهم في سرهم كما يخافونه في علانيتهم، حيث يشعرون سلطان الله قائمًا عليهم في كل حال من أحوالهم، [illegible] لا [illegible] الله ولا [illegible] [illegible] من الله تعالى [illegible] من كل ذنب [illegible] من حسنات(١).

[illegible] المؤمنين الخاشعين بما أعد الله عز وجل لهم من النعيم الطيب والملك الكبير، [illegible] والقصور العاليات، والحور الحسان، والنعم [illegible].

٢. الفوز بالجنة وحصول الأمن في الآخرة

قال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق: ٣٢].

قال تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٣-٣٤].

أي: [illegible] على ربه [illegible] في قلبه فهو خشية من مولاه [illegible] عن طاعة الله، [illegible] الرسل [illegible] الهوى [illegible] ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ [illegible] على كل [illegible] ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [illegible](٢).

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿[illegible]

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب [illegible].

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص[illegible].

﴿[illegible]﴾ ﴿[illegible]﴾ [illegible]

﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] على ربه [illegible] المعرفة بربه [illegible] [illegible] الله في حال [illegible] [illegible]

[illegible] في حال [illegible] الناس [illegible] [illegible] [illegible] والشهادة. ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] من [illegible](١).

كما [illegible] تعالى في موضع آخر من حال [illegible] الخوف منه سبحانه [illegible] الله بالأمن والأمان [illegible] في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

﴿[illegible]﴾ [illegible]

وهكذا فالخوف من [illegible] الخوف من الله في الدنيا هو سبيل الأمن في الآخرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه [illegible] قال: (وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين، إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة)(١).

٢. نيل رضا الله عز وجل.

فالله تعالى [illegible] ما أعده من النعيم والتكريم لعباده الصالحين: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] حاصل لمن [illegible] الله [illegible](٢).

فيا [illegible] المؤمنين [illegible]

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم [illegible]، والبيهقي في شعب الإيمان رقم [illegible]، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم [illegible].

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible].

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص [illegible].

العظيمة والكرامة السابغة برضا مولاهم عنهم -فهذا الرضا من الله وهو أعلى وأندى من كل نعيم- وهذا الرضا في نفوسهم عن ربهم؛ الرضا عن قدره فيهم والرضا عن إنعامه عليهم والرضا بهذه الصلة بينه وبينهم، الرضا الذي يغمر النفس بالهدوء والطمأنينة والفرح الخالص العميق. إنه تعبير يلقي ظلاله بذاته.

﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ حيث يعجز أي تعبير آخر عن أن يلقي هذه الظلال.

﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ وذلك هو التوكيد الأخير. التوكيد على أن هذا كله معلق على صلة القلب بالله، ونوع هذه الصلة، والشعور بخشيته خشية تدفع إلى كل صلاح، وتنهى عن كل انحراف، الخشية التي تزيح الحواجز، وترفع الأستار، وتقف القلب عاريًا أمام الواحد القهار، والتي تخلص العبادة وتخلص العمل من شوائب الرياء والشرك في كل صورة من صوره»[1].

[illegible]

الأمن، الطهر، الجهاد، المثل، التخلية، القتل، القتال

---

[1] في ظلال القرآن سيد قطب ٦/ ٣٩٤٧.

الخيانة

عناصر الموضوع

مفهوم الخيانة ١٩٠
الخيانة في الاستعمال القرآني ١٩١
الألفاظ ذات الصلة ١٩٢
أنواع الخيانة في القرآن ١٩٥
طريقة التعامل مع الخائنين ٢٠٣
عاقبة الخائنين ٢١١

مفهوم الخيانة

المعنى اللغوي:

تدل مادة (خون) على النقص، يقال: خانه يخونه خونًا، وذلك نقصان الوفاء[1].

ويقال: خانه الدهر والنعيم خونًا إذا تغير حاله إلى شر منها، وعقلة الأزهري: «والخون: من مسارقة النظر إلى ما لا يحل له»[2].

وقد يكون التخون بمعنى التنقص، ويقال: تخونه الشيء وتخوفه، أي: تنقصه. فالمفردات سمات أجمعها النقص والأمر الجديد، ومن بينه ... يقال: رجل خائن وخائنة ... بالخيانة[3].

المعنى الاصطلاحي:

قال الراغب الأصفهاني: الخيانة تعني التفريط في الأمانة[4].

وعرفها الفيروزآبادي بأنها: أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح[5].

فالخيانة نقص في الأمانة والوفاء.

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٢٣١.

[2] تهذيب اللغة للأزهري ٣/ ٢٤.

[3] انظر: تهذيب اللغة ٣/ ٢٢٧، مختار الصحاح للرازي ص٨١، لسان العرب ٧/ ١٤٥.

[4] المفردات ص٣٠٥.

[5] بصائر ذوي التمييز ٢/ ٥٨٦.

الخيانة في الاستعمال القرآني

وردت مادة (خون) الدالة على الخيانة في القرآن الكريم (١٦) مرة[1].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	الشاهد
الفعل الماضي	٢	﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنفال: ٧١]
الفعل المضارع	٥	﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧]
اسم فاعل	٥	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]
مصدر	٢	﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]
صيغة المبالغة	٢	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]

وجاءت الخيانة في الاستعمال القرآني بمعناها اللغوي، وهو النقض، أو التفريط فيما يؤتمن عليه الإنسان[2].

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١].

يعني: فإن أرادوا خيانتك ما رضوا أن يؤمنوا عليه من العهد فقد خانوا الله من قبل بكفرهم وإظهارهم الكفر في أوله[3].

---

[1] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص(٢٩١-٢٩٢).

[2] انظر: زاد المسير لابن الجوزي ص(٥٦١)، بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٢/ ٥٦١.

[3] التسهيل لابن جزي ١/ ٢٣٣.

الألفاظ ذات الصلة

١ المكر:

المكر لغةً:

الاحتيال في خفية والخداع(١).

المكر اصطلاحًا:

عرفه الراغب الأصفهاني بأنه: «صرف الغير عما يقصده بحيلة»(٢).

وعرّفه الجرجاني بأنه: «إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر»(٣).

الصلة بين المكر والخيانة:

أن النوع المقارب للخيانة يعد نوعًا من المكر المذموم، وقد ورد الحديث عنه في القرآن الكريم في صورة واضحة جلية.

٢ الكيد:

الكيد لغةً:

هو المكر والخبث والحيلة والحرب(٤).

الكيد اصطلاحًا:

إرادة مضرة الغير خفية، وهو من الخلق: الحيلة السيئة، ومن الله سبحانه وتعالى: التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق(٥).

الصلة بين الكيد والخيانة:

كلاهما يشتركان في الإرادة بسوء، إلا أن الخيانة عامة في نقض الأمانة، وهو مذموم مطلقًا، بخلاف الكيد فإنه ربما استعمل في الخير.

---

(١) انظر: العين، الفراهيدي ٥/٣٧٠، مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/٣٤٥، ٣٤٦، لسان العرب، ابن منظور ٥/١٨٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) التعريفات ص ٢٢٨.

(٤) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص ٣١٦.

(٥) التعريفات، الجرجاني، ص ١٨٨.

النفاق

النفاق لغة:

النفاق: [illegible] على الخفاء والإضمار، والانقطاع والذهاب، يقول صاحب البصائر: النفاق يدل على انقطاع الشيء وذهابه، وأصله: على إخفاء الشيء وإغماضه، وعلى معنى [illegible] في [illegible] ومنه [illegible][1].

النفاق اصطلاحًا:

هو: إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب[2].

والصلة بين [illegible] والنفاق:

الصلة بينة في إظهار المرء خلاف ما يبطن، وإيهام الغير بغير الواقع. قال الراغب الأصفهاني: [illegible] والنفاق [illegible] لكن [illegible] [illegible] [illegible] والأذى والنفاق [illegible] [illegible][3].

---

[1] بصائر ذوي التمييز ٥/ ١١٤-١١٥.

[2] التعريفات للجرجاني ص٣١٨.

[3] الذريعة ص[illegible]، التوقيف على مهمات التعاريف ص٧٧٩.

أنواع الخيانة في القرآن

الراصد لآيات القرآن الكريم يجد أنه من [illegible] الخيانة [illegible] [illegible] الآيات [illegible] [illegible] الأنواع على النحو الآتي:

أولاً: خيانة الله ورسوله:

من أشد أنواع الخيانة: خيانة الله والرسول؛ ذلك أنها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقد تعددت أقوال المفسرين في بيان المقصود من خيانة الله والرسول، فمنهم من يرى أن المقصود بخيانة الله تعالى والرسول [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي السرح الكاتب حين ارتد ولحق بالمشركين[1]، ومخالفتهم الرسول في الحرب والمكر والخداع له وإظهارهم له بالقول خلاف ما في أنفسهم[2].

أو خيانة الرسول أي: [illegible] [illegible][3].

يقول صاحب الظلال: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في إيجاد الخطاب بهم[4].

ومنهم من يرى أن المقصود من خيانة الرسول: [illegible] [illegible] [illegible] الإسلام والركون [illegible] [illegible][5].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المسلمين [illegible] [illegible]، كما

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢٨).

[2] جامع البيان للطبري (١١/ [illegible]).

[3] [illegible] (١/ [illegible]).

[4] في ظلال القرآن (٣/ [illegible]).

[5] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٢١٩).

المكلفين، فهو في علم الله سرًا(١).

وفي ذلك خيانة لكل من واحد عليه أمانة بأن الله تعالى [illegible] بأنه لا يهدي كيد الخائنين، ولا [illegible] من [illegible] في [illegible] تلك الخيانة.

كما يرى بعض المفسرين أن الخيانة المقصودة هي في شركهم بالله تعالى؛ لأن عهد الله الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم فيما حكاه بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، [illegible] في الفطرة وما من نفس إلا وهي تشعر به [illegible] خلالات [illegible] بأنواع الكفر من أهل القرى(٢).

ومنهم من يرى أن المقصود بخيانة الرسول: ترك سنته وارتكاب معصيته(٣).

ومن المفسرين من عبّر عن تلك الخيانة بالمعصية كما سبق، ومنهم من عبّر عنها بالغدر والمكر والخداع [illegible] في جامع البيان إذ يقول: [illegible] هؤلاء الأسارى الذين في أيديكم [illegible] أي: الغدر بك والمكر والخداع [illegible] عن الله بالشرك [illegible](٤).

ومنهم من رأى أن الخيانة على الرسول [illegible] وقولهم له: [illegible] رسول الله(١).

ومنهم من رآها في الإخلال [illegible] في الحروب(٢).

وكل تلك الصور التي ذكرها المفسرون ألوان من الخيانة لله والرسول، وغيرها لا ينفي بعضها بعضًا، ولا يخرجها عن كونها خيانة لله والرسول.

ثانيًا: خيانة الدين:

وخيانة الدين من أشنع الخيانات وأقبح الخيانات؛ لهذا كانت أشد خيانة [illegible] التي يحويها لا يكون الإنسان إنسانًا ولا يحيا إلا [illegible] السابقة؛ لا شرع ضابط ولا [illegible] بأن المرء على هدى أو [illegible] من ربه؛ وقد رصد القرآن الكريم صورة من أشد صور الخيانة للدين؛ لأنها كانت في بيئة [illegible] أن الكون [illegible] والمعين [illegible] [illegible] من [illegible].

وتلك الصورة [illegible] في الشخص [illegible] في الله [illegible] إذ قال القرآن [illegible]: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ [illegible]﴾

---

(١) التحرير والتنوير [illegible].
(٢) [illegible].
(٣) تفسير ابن أبي حاتم [illegible].
(٤) جامع البيان [illegible].

(١) [illegible].
(٢) تفسير ابن أبي حاتم [illegible].

تحت ﴿[illegible]﴾ (التحريم: ١٠).

والخيانة المذكورة هنا هي خيانة الدين وليست خيانة العرض لما أجمع المفسرون على أنه ما [illegible] نبي قط.

فالخيانة هنا خيانة في الدين، وما بغت امرأة نبي قط(١).

وقد نص الإمام الطبري في التفسير والنووي على أن خيانتهما كانت في الدين، [illegible] كانتا تمشيان في نفس الاتجاه [illegible] في خيانتهما أربعة أوجه:

أحدها: أنهما كانتا كافرتين، فصارتا مخالفتين بالكفر، قاله السدي.

الثاني: منافقتين تظهران الإسلام وتستران الكفر، [illegible] قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتهما في الدين.

الثالث: أن خيانتهما النميمة إذا أوحى الله تعالى إليهما أفشتاه إلى المشركين، قاله الضحاك.

الرابع: أن خيانة امرأة نوح أنها كانت تخبر الناس أنه مجنون، وأن خيانة امرأة لوط أنها كانت تدل على الضيف [illegible](٢).

وفي هذه الآية الكريمة وقرائنها ما يبيّن فخيانة الخيانة في الدين، مهما كانت درجة القرب والصحبة والمعايشة والمعاشرة كما تبين خيانة الله تعالى [illegible] الصالحين، [illegible] بين أن الجزاء من جنس العمل، [illegible] في تلك الخيانة [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] لأن ذلك أنسب ليكون أشد تأثيراً [illegible] ﴿[illegible]﴾ أي: كل واحدة منهما تحت عبد(٣).

ثالثاً: خيانة العرض:

جاء الإسلام [illegible] بالبشرية إلى مدارج السمو الأخلاقي والمعاني، [illegible] بها إلى مصاف الإنسانية [illegible] تعيشها الجاهلية [illegible] فوضع منهاجاً [illegible] الإنسان [illegible] من خيانة العرض [illegible] ليس له بحق، بداية من الدعوة إلى غض

---

(١) الكشاف والبيان ٤/ ٣٦١.

(٢) [illegible] ١/ ٨١.

(٣) نظم الدرر ٨/ ٤٧.

[illegible] عن الاقتراب من الفاحشة ووصولاً إلى بيان بشاعة الوقوع فيها ووصفها بأنها فاحشة ومقت وساء سبيلاً [illegible] القرآن الكريم [illegible] [illegible]

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]

أي: [illegible] أني لم أخنه بالكذب عليه [illegible] وأن الله لا يوفق أهل الخيانة ولا يرشدهم في خيانتهم[1].

وقال الإمام القرطبي: [illegible] ليعلم أني لم أخنه بالغيب أي بالكذب عليه [illegible] بل صدقت وحدت عن الخيانة[2].

وقد اختلف المفسرون فيمن قال هذا القرآن: [illegible] من قول امرأة العزيز، [illegible] من قول يوسف عليه السلام، [illegible] من كلام امرأة العزيز [illegible] ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ [illegible] إلا من رحم ربي [illegible]

[illegible] منهجية القرآن الكريم في [illegible] المجتمع من أمراض الجاهلية وتطهيره من أرجاسها [illegible] النفس البشرية [illegible] حفظ العرض والحفاظ على [illegible] الإنسان وطهارته.

---

[1] [illegible]

[2] الجامع لأحكام القرآن [illegible]

[3] تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص [illegible]

رابعًا: خيانة النفس والجوارح:

وردت آيات القرآن الكريم من صور وألوان من الخيانات، ويمكن توضيح [illegible] منها لخيانة النفس في آيتين كريمتين [illegible]:

الأولى: في معاملة الزوج مع زوجه في ليلة الصيام.

قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٧).

والثانية: في نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الدفاع عن الذين يختانون أنفسهم بالسرقة [illegible] ظلمًا وعدوانًا كما في [illegible].

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (النساء: ١٠٧).

لكن كيف يخون الإنسان نفسه أو يختانها؟

قال المفسرون: إن خيانة المرء نفسه تكون بتعريضها للعقاب وانتقاص حظها من الثواب[1].

ويظن ابن عرفة على هذا التركيب اللغوي بأنه من باب القلب لأن النفس هي الخائنة[2].

أو أن المعنى: تظلمون أنفسكم بالخيانة والسرقة ويرمي بها اليهودي[3].

وقد يكون معنى الاختيان [illegible] إلى الخيانة[4].

وقد يكون معنى الاختيان للنفس بما يعود عليها من الإثم والعقوبة في الدنيا والآخرة[5].

ذلك أن من أقدم على المعصية فقد حرم نفسه الثواب، وأوصلها إلى العقاب، فكان ذلك منه خيانة لنفسه، ولهذا المعنى، قيل لمن ظلم غيره: إنه ظلم نفسه[6].

ويلاحظ في تعبير القرآن خاصة في صيغة [illegible] ما يدل على [illegible] لأن خيانة المرء نفسه ليست سهلة، إذ تحتاج إلى جهد [illegible] الأصل [illegible] يسعى إلى صلاحها وفلاحها [illegible] لهذا الفعل.

---

[1] [illegible]
[2] [illegible]
[3] [illegible]
[4] [illegible]
[5] [illegible]
[6] [illegible]

قال ابن كثير بمقالة من المفسرين: [illegible] الإنسان [illegible] أي: [illegible] بالسرقة كما قال ابن [illegible] امرأته ليلة الصيام [illegible] بعض الصحابة، [illegible] كل شيء [illegible] الإنسان فقد ظلم [illegible] سرًّا أو علانية"[1].

إن القرآن الكريم حفظ للعبد حتى من النفس [illegible] حتى من [illegible] لأنها [illegible] عند الله للإنسان من [illegible] الله في [illegible] والظالم [illegible] من [illegible] أو [illegible] الكتاب والسنة، أو [illegible] من الظالم [illegible] بين [illegible] الظالم [illegible] [illegible] بطريقة [illegible].

خامسًا: خيانة الأمانة:

اختلف المفسرون في بيان المقصود من خيانة الأمانة على اختلافهم في بيان وتحديد مفهوم الأمانة الوارد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27].

فمنهم من يرى أن الأمانة هي ما يخفى من أمور الناس من فرائض الله[2].

ومنهم من يرى أنها الأعمال، ومنهم من يرى أنها الدين[3].

وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾: الأمانة: الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد، يعني: الفريضة، يقول: لا تخونوا، يعني: لا تنقضوها[4].

ومنهم من رآها في الشهادة، ومنهم من جعلها في كل ما يؤتمن عليه الإنسان، [illegible] الإمام الماوردي: ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فيما أخذتموه من الغنيمة أن تحضروه إلى المغنم.

الثاني: فيما ائتمن الله العباد عليه من الفرائض والأحكام أن تؤدوها بحقها ولا تخونوها بتركها.

والثالث: أنه على العموم في كل أمانة أن تؤدى ولا تخان[5].

ويرى الإمام السمعاني أنها هي جميع الأمانات التي بين العباد من [illegible] في الأمانات، [illegible] في الأمانات [illegible] أمانات [illegible] العباد على [illegible] [6].

ومنهم من جعل الأمانة هي النفس والأموال، [illegible] لا تتشكل عليه [illegible]

---

[1] مجموع الفتاوى لابن تيمية (28/ 386).
[2] انظر: جامع البيان (11/ 124).
[3] انظر: الجامع السابق (1/ 168).
[4] تفسير ابن أبي حاتم (5/ 1687).
[5] النكت والعيون (2/ 311).
[6] تفسير القرآن للسمعاني (2/ 259).

تلك الحكم، وأحوالكم لله. [illegible] أمانة [illegible] في غير ما أذن لكم [illegible] الله والرسول [illegible] أماناتكم التي [illegible] الله [illegible] الأمانة؛ لقوله: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: [illegible]].

وقال بعضهم: قوله: ﴿[illegible]﴾ أي: ولا تخونوا أماناتكم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أماناتهم؛ كقوله: ﴿[illegible]﴾ وقوله: ﴿[illegible]﴾ وقوله: ﴿[illegible]﴾ الآية، وقوله عز وجل: ﴿[illegible]﴾ [illegible] أمانة [illegible] فيه[1].

ومنهم من [illegible] في بيان الأمانة إلى [illegible] من الأعمال والأحوال [illegible] الأعمال [illegible] [illegible].

[illegible] في الأموال [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible].

التي [illegible] من الدين [illegible] من آداب الشرع [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم.

والخيانة في الأمانات [illegible] الغلول [illegible] على [illegible] المسلمين [illegible] من الصغائر بالفعل[2].

[illegible] أهل التفسير [illegible] [illegible] الأمانة من [illegible] [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible] [illegible] [illegible] الأمانة في [illegible] الله تعالى [illegible] المسلمين [illegible] [illegible] الأمانة [illegible] [illegible] وقوله: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: [illegible]] [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وقال: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

---

[1] التكت والعيون للماوردي (٢/ ٣١١).

[2] [illegible] (١/ ٧٨).

وقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ [illegible]﴾ [الأحزاب: ٧٢].

[illegible]

[illegible]

الإسلام [illegible]

[illegible]

سادسًا: خيانة العهد:

[illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) في ظلال القرآن [illegible]

ويتقدم إلى أن حانة العهد عهد مع الله، وأن الله كفيل عليهم. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ (النحل: ٩١).

ووصف المؤمنين المخلصين بأنهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨).

وفي خيانة العهد تحدث القرآن الكريم مبيّناً خطره وخطره وبشاعة التعامل معه كمنارة في ... ويرد هذا في قوله تعالى مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ (الأنفال: ٥٨).

وقد نص المفسرون على أن الخيانة هنا خيانة العهد بقول الإمام الطبري في تفسيره: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ يعني غدراً في نقض العهد.

﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ أي: ناجزهم الحرب حتى لا ينسبوك إلى الغدر بهم ... من الإقامة[1].

لقد ربط القرآن الكريم بين الكفر ونقض العهد والخيانة فيه العظيمة له، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (الأنفال: ٥٥-٥٨).

ويبين النبي أنه لا غدر حتى بالغض أن يوادع قوماً منهم على سواء ... لا يحب الخائنين، حتى ولو كان ذلك الفعل مع الكفار.

وفي (السِّيَر) ... الرابع من مواضع معنى كلمة سواء ... [2].

لقد حذّر القرآن الكريم من خيانة العهد، وذكر المشركين، وبيّن له أنه لا ... ﴿...﴾ (التوبة: ...).

﴿...﴾ أي: على معصية ... المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ...

وبيّن أن هذه الخيانة على اليهود لا ... ﴿...﴾ يعني: ...[3].

---

[1] تفسير الطبري (...).

[2] ... في ... (...).

[3] انظر: ... (...).

وقال سماعاً وغيره [illegible] بذلك [illegible] على [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم (١).

وذلك من [illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على ذلك.

طريقة التعامل مع الخائنين

المنهج الذي تحدده آيات القرآن الكريم في قضية الخيانة يعد كما رسمت في التعامل مع الخائنين منهاجاً واضح المعالم، بيّن القسمات، لو طبقته الأمة المسلمة في التعامل معهم لنجوا من تكرار الخيانة في [illegible] والغدر ولاجتمعوا من الوقوع فيها [illegible] [illegible] [illegible] ذلك المنهاج البيّن، والطريق المحدد يتلخص في النقاط الآتية:

أولاً: عدم المدافعة عنهم:

وأول طريقة من طرق التعامل مع الخائنين هي عدم المدافعة عنهم أو التستر عليهم حتى لا يتيه هذا الداء العضال في أوساط المسلمين، أو يمكّن في بيوتهم [illegible] [illegible] الصفات [illegible] [illegible] [illegible] البشري، ويبدو من ملامح الآية الكريمة التي تناولت تلك المنهجية، ومن خلال أسباب نزولها، أنها وقعت في أفراد من بين أفراد المجتمع المسلم، قام به واحد، وشاركه آخرون، وسعى في الدفاع عنه [illegible] الآية الكريمة [illegible] [illegible] في التعامل معهم.

ولنا أن نقف أمام الآية الكريمة التي تناولت تلك المنهجية حتى يتسنى لنا أن نبيّن

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible].

سالم وملامح جوهرية التعامل مع المخالفين، وتستعيد الآية الكريمة لتخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم قائلة: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٥-١٠٩].

وأول ما نقف أمامه من هذه الآية الكريمة هو سبب نزولها، حتى يتبين لنا أن الأمر الذي نزلت فيه [illegible] [illegible] نزلت الآية في [illegible] [illegible] يجمع الكافة من الناس: مؤمنين ومسلمين ومشركين ويهود ومنافقين، حتى يكون هذا نموذجًا للمجتمع الجامع الذي يتعايش فيه الناس مختلفين على [illegible] مشترك مهما تباينت رؤاهم واختلفت مذاهبهم، ونزلت الآيات لتبين الحكم الفصل الذي [illegible] الجميع بما أن [illegible] هذا المجتمع في أيدي المسلمين القيمين على البشرية بما أوتوا من مؤهلات [illegible] في العدالة، [illegible] على إقامة القسط والحكم بالعدل ولو على أنفسهم والأقربين، كما سيتضح ذلك جليًا في التفاصيل، معالجة القرآن لهذه القضايا في قضية الخيانة.

والناظر كتب التفسير وعلوم القرآن يجدها على نزول هذه الآيات في طعمة بن أبيرق، كما قال الإمام القرطبي: (أجمع المفسرون على أن هذه الآيات نزلت في طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر بن الحارث، [illegible] [illegible] [illegible] المنافقين)[1].

وأخرج ابن العربي سبب النزول: جاء بنو أبيرق سرقوا طعام رفاعة بن زيد، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتادة بن النعمان [illegible] [illegible] [illegible] رفاعة: الله المستعان، فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ أي: بني أبيرق [illegible] [illegible] [illegible] نظر[2].

كما يذكر أيضًا من حكاية سبب النزول أن الآية نزلت نصرة ليهودي على مسلم؛ لأن الحق كان في جانب اليهودي، وفي ذلك من ملامح [illegible] [illegible] التي رسولها صلى الله عليه وسلم على إقامة الحق ما

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، ج٥ ص٣٧٦.
[2] أحكام القرآن لابن العربي ج١ ص٤٩٤.

[illegible] السياق الآية [illegible] السياق والسياق واللاحق [illegible] الآية [illegible] للرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] الكتاب ليحكم بين الناس بالحق، [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] بين المسلمين فقط [illegible] من الله للمسلمين [illegible] في كل الناس، ولا يخص المؤمنين [illegible] أيضًا ما بين المؤمنين والكافرين، وما بين الكافرين بعضهم مع بعض إذا [illegible] حكم رسول الله، [illegible] الحق رسوله أن يحكم بين الناس [illegible] الحكم [illegible] المؤمن على الكافر، [illegible] المسلمين [illegible] الناس [illegible] الأمة الإسلامية [illegible] المسلمين [illegible] جميعًا[1].

وكما قال المفسرون [illegible] هذه الآية [illegible] للرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] الأمر إليه بقوله: ﴿[illegible]﴾.

إن الإسلام – والقرآن [illegible] – [illegible]

[illegible] إلى [illegible] بين [illegible] أو جنس وجنس، أو فصيل وفصيل، إذ إنهم جميعًا من أسرة ﴿[illegible]﴾ [illegible] الإسلام [illegible] الله الخالدة إلى أهل الأرض [illegible] الناس [illegible]

[illegible] في [illegible][2]

[illegible]

والناس [illegible] الأمة.

[illegible] القرآن الكريم [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] في صورة [illegible] حتى في [illegible] الخطاب [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] والخطاب [illegible] في [illegible] ﴿[illegible]﴾ [النساء: ١٠٥].

[illegible] الخطاب في: ﴿[illegible]﴾ في [illegible] أما [illegible] الخطاب بصورة [illegible]

[illegible] الخطاب [illegible] بهذه الصورة [illegible] من باب أولى، [illegible] في [illegible] الخطاب [illegible] الآيات [illegible] في [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

ونزل الكتاب إليه بالحق ليحكم بين الناس بما أراه الله، وإزاء هذا الشأن بالنهي عن أن يكون خصيمًا للخائنين، يدافع عنهم ويجادل، والرجوع للاستغفار لله سبحانه من هذه المجادلة.

ثم تكرار هذا النهي، بوصف هؤلاء الخائنين الذين جادل عنهم صلى الله عليه وسلم بأنهم يختانون أنفسهم، وتعليل ذلك بأن الله لا يحب من كان خوانًا أثيمًا.

ومع غالبًا قومهم في الظاهر، ولكنهم في الحقيقة خانوا أنفسهم، فقد خانوا الجماعة ونهجها، وربما التي تميزها وتفردها، ومخالفة الأمانة المكلفة على الجماعة كلها، ومع ميثاق.

ثم هم يختانون أنفسهم في صورة أخرى حين أرادوا تعريض أنفسهم للإثم الذي يعاقبهم الله عليه شر الجزاء، حيث يكرههم الله ويعاقبهم بما اقترفوا في حياة النفس من شر ذلك.

وصورة هذا اختيانهم لأنفسهم هي الروح هذه الأنفس وكثرتها والتآمر والكذب والبهتان[1].

لكن هل كان هؤلاء الذين دافعوا عن أبيرق يشعرون بخيانة؟

إن المفسرين يقررون بأنهم كانوا أيضًا على يقين من أن الخائن وسارقه ولكنه لم يكن لهم الحكم حالاً على اليهودي بالسرقة لأجل وجوه الشرع في ظاهره[1].

ومما يدل على أنه غير جائز لأحد أن يخاصم عن غيره في إثبات حق أو نفيه وهو غير عالم بحقيقة أمره؛ لأن الله تعالى قد عاتب نبيه على مثله وأمره بالاستغفار منه، ومثل الآية ومما يعتمد في النهي عن المجادلة عن الخونة إلى آخر ما ذكر أن الله لا يحب من هم من لا يصلحون خطأً[2].

لكن أكان النبي صلى الله عليه وسلم من المخاطب أصلاً بهذا الخطاب أم كان المقصود من الخطاب أحدًا، وهي الخطاب بهذه الصورة الشخص التي صلى الله عليه وسلم مقصودًا به تعليم الأمر والنهي على حقيقته؟

يرى بعض المفسرين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل شيئًا من ذلك، ولا علم أن بالإغراق أولاً ألهمه تعالى، وعليه فالأمر في انحساسه ولا حرج عليه، وأن الآية خرجت مخرج التعريض بحقيقة الأمر في النازلة[3].

ويرى بعضهم أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ عرفي

---

[1] في ظلال القرآن سيد قطب ٢/ ٧٤٩.

[1] أحكام القرآن الجصاص ٣/ ٢٧١.
[2] المصدر السابق ٣/ ٢٧٥.
[3] التفسير المنير ٥/ ٤٦١.

لا يمكن [illegible] الله ﷻ قبل: لله أمر بالاستغفار [illegible] ولا يجب أن يستغفر كما أمر [illegible] بالاستغفار من غير تائب مطلقاً[1].

وعلى كل حال فلا ينافي أنه يكون الرسول [illegible] ﷺ بتلك الصلاة [illegible] فهو صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] أن [illegible] بهذا فيه من باب أولى.

كما يدعو من الآية أن من مناهج التعامل مع المنافقين عدم جواز الصلاة عليهم وعدم جواز [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] على [illegible] فلا يجوز [illegible] [illegible] من [illegible] والباطل [illegible] منها لا يجوز[2].

ثالثاً: [illegible]:

أما [illegible] من ملامح منهج التعامل مع المنافقين [illegible] في [illegible] [illegible] وهذا ما يؤيده قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الأنفال: ٨٨).

وهذا واضح فيه أنه في جانب القول

والأمر [illegible] [illegible] على هذا [illegible] [illegible] والحرب [illegible] يوم من [illegible] في جانب الأمر والقول.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] لا [illegible] على [illegible] في [illegible][3].

[illegible] في حق ﴿[illegible]﴾ ﴿[illegible]﴾ [illegible] على [illegible] [illegible] على [illegible] على [illegible] على [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] إلى [illegible] على الوسط[4].

وربما [illegible] بالجانب [illegible] في [illegible] على [illegible] [illegible] لا [illegible][5].

[illegible] القرآني [illegible] في [illegible] حتى

---

(١) الكشاف [illegible].

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية [illegible].

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible].

(٤) [illegible].

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible].

كانوا يتناولون مختلف البشرية كلها، وقدرا حقيقيا لكل مسلم على أثر الدعوتين والحسنى. فعن سليم بن عامر قال: كان معاوية يسير بأرض الروم وكان بينهم وبينه أمد، فأراد أن يدنو منهم فإذا انقضى الأمد غزاهم، فإذا شيخ على دابة يقول: الله أكبر الله أكبر، وفاء لا غدر، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى يمضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء» فبلغ ذلك معاوية فرجع، وإذا الشيخ عمرو بن عبسة(١).

والمراد من [illegible] الخلافة [illegible] أثر الإحسان [illegible] وليس [illegible] الانتظار حتى يتمكن [illegible] والسياح [illegible] ما حدث من بني قريظة في مظاهرتهم أبا سفيان ومن معه من المشركين(٢) وكذلك في غزوة الأحزاب.

ومظاهر [illegible] السماحة في حضارة الإسلام: مع العدو والصديق، والقريب والبعيد، [illegible] الشهود الحضارية التي اختصت به أمة الإسلام.

ودلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المخالفة منهم لم يصح أن ينبذ إليهم عهدهم لأنه لم يخالف منهم [illegible] [illegible] [illegible] فإذا [illegible] منهم [illegible] لم يجز [illegible] إليهم [illegible] بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته(٣).

[illegible] الإسلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولم [illegible] [illegible] منهم [illegible].

[illegible] الإسلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حتى [illegible] الخلافة من بلغهم.

[illegible] العهد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلا [illegible] الإسلام [illegible].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده [illegible]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة [illegible].

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١١/ ٢٣٦)، تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ٢٧٤).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٣٢٥.

[illegible] الشر في سبيل [illegible] ولا يسمح للغاية الشريفة أن تستخدم الوسيلة الخسيسة.

إن الإسلام يكره [illegible] [illegible] لا يجب [illegible] في سبيل غاية [illegible] الإنسانية [illegible] [illegible] [illegible] الإسلامي [illegible] الإسلامية [illegible] بين الوسائل والغايات.

إذا [illegible] لا يجري [illegible] [illegible] الله [illegible] الله.

[illegible] الأحكام [illegible]

ومن منهجه التعامل مع الخائنين التي رسمها القرآن الكريم [illegible] [illegible] [illegible] في الأرض [illegible] [illegible] الآية السابقة عليها في نفس سياقها [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

والمعنى: [illegible]

ذلك أن من الناس من لا يرعوي حتى يرى [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وفي [illegible] الآية الكريمة [illegible] الله [illegible] الرسول [illegible]

---

(١) في ظلال القرآن سيد قطب [illegible].

(١) تفسير القرآن [illegible].

(٢) [illegible].

هؤلاء الظالمين محرومين من حب الله لهم، يعني أنهم محرومون من الأمن والطمأنينة، ومحرومون من النصر والغلبة، ومحرومون من التمكين، فمن حرم حب الله تعالى حرم كل خير، وتسلط عليه كل سخط.

كما نلمح من هذا التعليل والتذييل البديع إشارة من القرآن الكريم للرسول بمحاربة كل الظالمين، وعدم تركهم، [illegible] على التذييل المتعلق بالأمر بالقتال، إما باعتبار [illegible] من [illegible] القتال [illegible] فيكون [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] إما باعتبار [illegible] القتال، فيكون [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الظالمين [illegible][1].

وفي ذلك بيان صريح لمنهجية التعامل مع الظالمين في المستقبل، [illegible] الله تعالى بما يجمع في المستقبل مع من يخالف منه [illegible] سالف الدهر[2].

بل يحثنا صاحب الظلال [illegible] من [illegible] العربية العسكرية والسياسية التي [illegible] عليها سورة الأنفال، فقال في: [illegible] الاقتصادية والاجتماعية، فهو حرب شاملة [illegible] التي [illegible] وكذلك فهو حرب لمنعهم من الحركة والإقدام على [illegible] تعاليم الإسلام الجامعة بين الحزم والعدل والشدة والفضل، [illegible] المدنية الإفرنجية من [illegible][3].

إذاً أمام نظرية قرآنية جامعة ومنهجية متكاملة في التعامل مع الظالمين، سواء أكانوا أفراداً أم [illegible] المنهجية في تعاملهم مع هؤلاء الظالمين، [illegible] مع السلامة والعفو، [illegible][4].

[illegible]

---

[1] [illegible] ١٠/ ٣١٤.
[2] [illegible] ٢/ ٢٤٠.
[3] تفسير المنار، محمد رشيد رضا (١٠/ ٧٣).
[4] [illegible] في الفكر العربي، [illegible] ص ٢٧.

عاقبة الخائنين

لله عز وجل في الخائنين سنن ثابتة لا تتحرك ولا تتبدل نصت عليها آيات القرآن الكريم، ويمكننا أن نعدد تلك العاقبة في النقاط الآتية:

أولًا: حرمان الهداية إلى الحق:

ومن عقوبات الله تعالى للخائنين أنه تعالى يحرمهم الهداية إلى الحق، وإلى الصراط المستقيم، والهداية نوعان:

- ● هداية دلالة وإرشاد.
- ● وهداية معونة وتوفيق.

فالله تعالى يهدي عباده إلى طريقه المستقيم، ويدلهم على تلك الهداية، أما الكافرون من طريق الحق، والمقصود بهداية العمل فالله تعالى يكلهم إلى أنفسهم ويخذلهم في [illegible] وفي ذلك يقول تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأنفال: ٥٨].

ويقول لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿[illegible]﴾ [القصص: ٥٦].

والأدلة الكثيرة في تلك العقيدة.

وقد نصت آيات بعينها على حرمان الخائنين من هداية الله، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

والمعنى: "لا يطلقه ولا يسدده أو لا يهدي الخائنين لكيدهم، وأوقع الفشل على الكيد بالكلية"[1].

أي لا يصلحه[2]، أو أن مراد الله لا يوفق أهل الخيانة، ولا يرشدهم في خيانتهم[3]، أو أن الله تعالى لا يهدي الخائنين بكيدهم[4].

قال السعدي: [illegible][5].

ومن يتتبع القرآن الكريم ويتأملها في البيان من تلك [illegible] أنه أوردها بصورة [illegible] على [illegible] ﴿[illegible]﴾ [يوسف: ٥٢].

فهي واردة في حالة [illegible] تلك ووردت في صورة عامة [illegible].

ومن لطائف الكتاب العزيز [illegible] من [illegible] ذلك أن [illegible] في حق الزوج [illegible] في التعبير بهذه الصيغة [illegible] في هذا المقام [illegible] في موطن آخر، [illegible] على [illegible] أكثر من طرف: الزوج، والولي، وأكثر من

---

[1] [illegible]
[2] [illegible]
[3] [illegible]
[4] [illegible]
[5] [illegible]

بهم الرعاة في التحذير [illegible]

كما مَرَّ من تيسير الرسول ﷺ [illegible] [illegible] [illegible] في بيان [illegible] [illegible] [illegible] الظالمين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في هذه [illegible] [illegible] [illegible] الهداية في [illegible] إلى الطريق [illegible] على [illegible] الرسول [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]. كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] أيها [illegible] أن سبحانه وتعالى لا يهدي القوم الظالمين، ولا يرشدهم إلى طريقه[3].

وفي هذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible] [illegible] [illegible] الظالمين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الظلمات إلى النور[3].

ألا [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] في

مظلومه[1].

والنص على [illegible] الظالمين [illegible] على أن [illegible] الظالمين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الظالمين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible].

ومن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الظالمين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الهداية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] الله [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible].

أي: [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible].

---

[1] [illegible] [illegible] [illegible].

[2] [illegible] [illegible] [illegible].

[3] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible]

---

(١) [illegible]

الشرع معصية فهو [illegible] كانت القرابة متصلة [illegible] القريب لا الأجانب في [illegible] ولذا كانت القريب الذي [illegible] الكفار [illegible][1].

وهذه لمسة من لمسات العدالة المطلقة في شريعة الإسلام فلا قرب ولا بعد إلا بالعمل، ولا نسب ولا شرف إلا برضا الله تعالى، كما أنها لمسة من لمسات التشكيل للشعور الحضاري، [illegible] البشرية على منهاج [illegible] الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة إلا ما كان منها متصلاً بالله وحده [illegible] وسيلة القرابة والمصاهرة أو التلاقح مع عدم الإيمان [illegible] الرحمة التي كانت بين [illegible] ﴿[illegible]﴾[2].

وكذلك [illegible] الله ليس توفيق في الظلم بالنار [illegible][3].

ثالثاً: من حال سخط الله عز وجل:

ومن أقسى عقوبات الله تعالى للظالمين أنه يحرمهم محبته ويبغضهم [illegible] الله المحبة التي هي سبب كل خير، ويضعها سبب كل بلاء وشر.

ومحبة الله [illegible] لهم[1] أي: إنه لا يحب [illegible][2].

وقال صاحب [illegible] يحب [illegible] إلا [illegible] ولا [illegible] السيئة [illegible] الناس في [illegible] وأشكالهم[3].

وقد نصت آيات القرآن الكريم على تلك الحقيقة [illegible] صلى الله عليه وسلم في [illegible] أن [illegible] على [illegible] الظالمين، فقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وقال في بيان سبب من أسباب [illegible] من المؤمنين: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وقال في سبب نهيه عن المجادلة عن الذين يخافون أنفسهم: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

أي: لا يرضى [illegible] الظالم [illegible]

---

[1] لباب التأويل، للخازن ٢/ ١٣٢.
[2] إعلام الموقعين، لابن القيم ٢/ [illegible].
[3] أيسر التفاسير، للجزائري [illegible].

[1] [illegible] الراغب الأصفهاني ص [illegible].
[2] [illegible] ص [illegible].
[3] [illegible].

عليه بالمثل[1].

فالله لا يحبهم لأنهم متصفون بالخيانة فلا تستمر على عهدهم فتكون خائنًا لمن لا يحبهم الله وإلا فالله لا يحب أن تكون أنت من الخائنين[2].

ومن دلائل التفصيل هذا من الآية وجوب طلب هذا الأمر بمنابذتهم والمبادلة إليهم على سواء مقدم بحيث عمم حب الله المتقين، ويحتمل أن تكون تلك الجملة الكريمة تعليلاً لمشروع الأمر بنبذ العهد على حاله وهو إعلامهم بأن تكون مسألة سهلة ثم من اتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقض عهدهم[3].

ومن روائع المنهاج القرآني أنه أورد صيغة عدم الحب عامة من تخصيصها حتى تكون عامة للخيانة سواء كانت تلك الخيانة في حق المؤمنين أو في حق الكافرين، أي: حتى ولو في حق الكافرين، لا يحبها الله[4].

وفي ذلك من مقاصد السنة من الأطراف والعموم والشمول ما فيه.

كما أن في ذلك من دلالات لهذه الآية الكريمة المعجزة ما لا يخفى، فالإسلام -والقرآن دستوره- ينهى عن الخيانة ولا يحب المستقيم ولو كانت في حق الكافرين، ويؤمر أنه ينبذ إليهم على سواء، ولا يباغتهم قبل أن يعرفوا نقض عهدهم، وعلى هذا درج الصحابة الكرام من بعده أي: على الوضوح والجلاء، أو بعهد يصل الخبر إليهم ويتداوله في صراحة.

والحاصل الكلام في هذه الآية أنه تعالى أمر نبيه بنبذ العهد على أتم الوجوه، وأمره أن يأخذ على أقصى الوجوه من إلى ما يتم نقض العهد والنقض[5].

وحال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك كلهم عملاً تطبيقياً واقعياً لنقض آثار النعم تلك المعاني في رواية هذا الدين، وملة العقيدة التي لا تقوم أخلاقها على نسبية تختلف من شخص إلى آخر ولا من جنس إلى جنس ولا من دين إلى دين بل الكل أمام أخلاقها سواء.

فقد روي أن معاوية كان بينه وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس أو برذون وهو يقول: الله أكبر الله أكبر، وفاء لا غدر، فنظروا فإذا هو عمرو بن عبسة فأرسل إليه معاوية فسأله فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى

---

(1) البحر المديد لابن عجيبة ٢/ ٣٨٩.
(2) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠/ ٥٢.
(3) الدر المصون للسمين الحلبي ٦/ ٦٢٢.
(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٨٩.

(1) مفاتيح الغيب للرازي ٧/ ٤٢١.

يقتضي أحدنا أن يرى [illegible] على سواه[1] [illegible].

ويؤكد هذا المفهوم أن القرآن الكريم قال في موطن آخر: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] أن الإيمان [illegible] المؤمنين [illegible] ﴿[illegible]﴾ حتى لا [illegible] [illegible] المؤمن [illegible] الله [illegible] [illegible] في كل الأمور [illegible] الله [illegible] الله [illegible] الإسلام[2].

كما تشيع [illegible] القرآن [illegible] سمة الله [illegible] الله [illegible] الله [illegible].

كانت المحبة لا تؤدي إلا [illegible] حتى [illegible][3].

كما تشيع [illegible] الآية [illegible] الله من المؤمنين [illegible] من [illegible] الله [illegible] صاحب [illegible] [illegible] الكافرين [illegible] من المؤمنين [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible].

ويشيع [illegible] في [illegible] ﴿[illegible]﴾ في [illegible] الآية [illegible] الله [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] الله [illegible] المؤمنين [illegible] على الكافرين[4].

[illegible] المؤمنين الذين [illegible] الله [illegible] الظالمين [illegible] الله [illegible].

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده [illegible]

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

[4] [illegible]

[5] [illegible]

[6] [illegible]

وبذلك المنهج القويم يربي الإسلام عليها أتباعه ويلقي إليها البشرية، ويرشح معنى الحضارة الحقة التي تستند بمقوم الشعائر لا بالظلم أو القهر لأصحاب حق، ولا يهادنه صعيد الإرشاد القويم لأنه صاحب المنهاج ومربي البشرية بسبيل العالمين الإله الحق الذي خلقك اللهم حتى سواك فعدلك عليهم اللهم سواء.

إن الإسلام يريد للبشرية أن ترتقي برؤية البشرية أن تمتد لئلا تبيح القتل في سبيل الغلبة وهو يكافح لأسمى الغايات وأشرف المقاصد ولا يسمح للغاية الشريفة أن تستخدم الوسيلة الخسيسة.

إن الإسلام يكره الخوائن ويحظر الظالمين الذين يقصدون الهوى ومن ثم لا يحب المسلمين أن يجاوزوا أخذ العهد في سبيل غاية مهما تكن شريفة. إن النفس الإنسانية وحدة لا تتجزأ، ومتى استحلت لنفسها وسيلة خسيسة فلا يمكن أن تظل محافظة على غاية شريفة... وليس مسلماً من يبرر الوسيلة بالغاية فهذا المبدأ غريب على الحس الإسلامي والحساسية الإسلامية لأنه لا انفصال في تكوين النفس البشرية وعالمها بين الوسائل والغايات.

إن اللفظ الصريح لا يغري المسلم بعرض بريء من الرسل [illegible] لأنه أن [illegible] الأقدام المنزلة في الهاوية.

من أجل هذا لله يكره الله الخائنين ويكره الله الخوائن، وفي مقابل هذه الصفة رجالات الطائفة بعد الله المسلمين النصر، وعهود عليهم أمر الكفار والكفرة(١).

والمبالغة في اللفظ ﴿خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ليست على بابها فليس المراد في الصيغة من القرآن فقط الثناء بل المراد أن المشركين خوانون كفورون [illegible] وقرأت نسبته لا يكونان حقيرين، بل هما أمران عظيمان أن الكفرة ما خلوا [illegible] من الأخلاق [illegible] أو المبالغة في نفي الصيغة على اعتبار النفي أولاً ثم ورد معنى المبالغة(٢).

ولقد كانت صيغة المبالغة تناسب القصد ما لا مبالغة فيه أو مراعاة الحال من الآية في ذلك.

ونسبه في نصرة الله تعالى لمن رفضت في سلك الخوائن، ويحرص على الظالمين، الإذن بالقتال بعد في الصحة من أن [illegible] ولكن سنة الله في الخوائن لا [illegible] ولا الغيرة [illegible] بالشباب أن الله [illegible] فلابد للنساء أن [illegible] في هذه الحرب [illegible] ثم الأخذ بأسباب الذكاء [illegible] القوة، تلك مزيد الشعائر عليكم [illegible]

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٤٢١.
(٢) روح المعاني، الألوسي ١٧/ ٢٨.

[illegible] (١).

وفي هذه الآية إشارة [illegible] من المؤمنين [illegible] المؤمنين [illegible]

إذ [illegible] من [illegible] الأرض [illegible]

ثالثًا: إبطال كيدهم:

ومن عظيمات القرآن الكريم [illegible] أن الله تعالى [illegible] ولا [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ومعنى عدم [illegible] كيدهم [illegible]

القرآن الكريم في إبطال كيدهم [illegible] (٢).

وأكد الآية الكريمة [illegible] (٣).

[illegible] (٤).

أي المعنى: [illegible] (٥).

أي المعنى: [illegible] (٦) [illegible]

---

(١) تفسير الشعراوي [illegible].

(٢) [illegible]

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور [illegible].

(٤) التفسير الميسر [illegible].

(٥) [illegible]

(٦) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل [illegible].

أو الحسن: فالله لا يقربه(١)، فكيف يصل من لا يقربه؟

أو الحسن: لا يرشد من عاد لشاعة(٢)، وما دام قد أراد الله له فكيف يصل إلى مبتغاه أو ينال منه؟

وقد دلت الآية الكريمة على عدد من الدلالات لما يخص إبطال الكيد منها: أنهم يتحسرون في الدنيا قبل الآخرة، وأن الله يخذلهم كالعواقب ويتركهم [illegible] فلا يهديهم ولا يرشدهم ولا يعانهم ولا يسدد فعلهم.

وبالتالي في كيد وسوء الخائنين إلى مبتغاهم أن تستهويهم أهواؤهم بسبب الصيغة البلاغية في الآية الكريمة بهذه الصورة مؤكدة الفعل على الكيد لا على الفاعل، كما هو على أثر الكريم: ﴿لا يهديهم﴾ أو ﴿لا يهدي الخائنين﴾ بل قال: ﴿لا يهدي كيد الخائنين﴾ فالله الكيد نفسه لن يهتدي بل من قبل أصحابه فإنه خالفه لن يصل إلى غايته فهو مبطل من البداية.

كما قال علماء التفسير: «أوقع الفعل على الكيد مبالغة»(٣)، فسبحان من هذا كلامه.

ثالثًا: الإمهال:

ومن عقوبات الله تعالى الخائنين أنه يمهلهم بالعقوبة، ويمكّن منهم من غفلوا منهم [illegible] ووردت الآيات الكريمة بهذه الدلالة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١].

فقد وعد الله رسوله ﷺ أنه تعالى يمكّنه من الخائنين، ويظهره عليهم، وينصره عليهم وهي سنة ماضية في الناس إلى يوم القيامة، لأن من سنته تعالى في الخائنين «كما سبق» أنه لا يهديهم ولا يهديهم ويخذلهم والعاقبة بسبب أمكن منهم أي: فأمكنك أيها الرسول منهم بالقتل والأسر يوم بدر(١).

والتطيل في الآية الكريمة أنه ﴿عليم حكيم﴾ [illegible] يختم كلمة القرآن في التعقيب حيث يرد هنا صفتان من صفات الله تعالى، هما العليم، الحكيم، ومعنا «كما لا يخفى» [illegible] لتمام التناسب مع الوعد بالإمكان من الخائنين؛ فهو عليم بهم، حكيم في إمكانه منهم، حتى لا يظلم الخائن على الحق، وحتى تمضي سنة الله تعالى في ردع الخائنين، والإمكان منهم.

وقد قال تعالى بالمشركين في بدر فأمكنك -يا رسول الله- منهم بأنهم [illegible]

---

(١) أيسر التفاسير، الجزائري (٢/ ٣٢١).

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٤).

(٢) الزجر [illegible]

(٣) أنوار التنزيل (البيضاوي) (٣/ ١٦٠).

[illegible]

إن هلاك الظالمين ليس في الدنيا فقط [illegible]

[illegible]

[illegible] التفسير القرآني [illegible]

[illegible]

إلى أن حتم بهلاك المخالف في الدارين، وكان الكفار [illegible] بالمسلمين وكانوا يظنون أنها ربما [illegible] والمسلمين [illegible] بالكفار وكانوا ربما توهموا أنها [illegible] تلك سببها لما يقابل من [illegible] [illegible] عليه صلى الله عليه وسلم من النساء [illegible] الله [illegible] في عدم [illegible] [illegible] من الرجال والعلاقات [illegible] عليهم في الدارين [illegible] بما [illegible] من غير [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] (١).

وتلك [illegible] الله تعالى للمتقين [illegible] من [illegible] من [illegible] الله تعالى [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] وتلك سنن الله [illegible] [illegible] [illegible] التي لا [illegible] من [illegible] [illegible] أو [illegible] [illegible] [illegible] قبل حلول الأجل، [illegible] الله لا [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ما [illegible] [illegible] والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

[illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible]

الخير

عناصر الموضوع

مفهوم الخير ٢٢٤
الخير في الاستعمال القرآني ٢٢٥
الألفاظ ذات الصلة ٢٢٦
الخير الأكبر ٢٢٨
ميادين الخير في القرآن ٢٣٣
الخيرية بين المخلوقات ٢٤٨
الحث على فعل الخير في القرآن ٢٦٢

مفهوم الخير

أولًا: المعنى اللغوي:

تدل مادة (خير) على العطف والميل، ثمّ يُحمل إلى الخير ويعطف على صاحبه[1].

والخير ضد الشر، وجمعه خيور، ويقال: رجلٌ خَيْرٌ وخَيِّرٌ -مشدد ومخفف- أي: فاضل، والجمع أخيار وخيار، والمرأة خيرة، وهي الفاضلة من كل شيء[2].

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

لا يختلف عن معناه اللغوي، فهو يطلق على ما يرغب فيه كل الناس، كالعقل والعدل والفضل والشيء النافع[3].

كما يدخل الخير أيضًا على كل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من فعل الطاعات والبعد عن المعاصي والسيئات، لذا قيل في تعريفه: هو إيثار ما يوجب القرب الجزيل، ويجنب العقاب الأليم[4].

---

[1] مقاييس اللغة ٢/ ٢٣٢.

[2] مختار الصحاح للرازي ص٩٩.

[3] المفردات للراغب الأصفهاني ص٣٠٠.

[4] انظر: غرائب القرآن للنيسابوري ١/ ٤٩٢.

الخير في الاستعمال القرآني

وردت مادة (خير) في القرآن الكريم (١٩٦) مرة يخص موضوع البحث منها (١٨٨) مرة[1].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد الورود	المثال
المصدر	١٧٦	﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)
الأسماء	١٢	﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ (الرحمن: ٧٠)

وأطلق الخير في القرآن الكريم على أربعة أوجه[2]:

الأول: كل ما هو طيب ومستحسن ومرغوب فيه ويشمل الطاعة والسنة والنفع والأجر وغير ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ ([illegible]) أي: [illegible] في الدنيا والأجر في الآخرة [illegible].

الثاني: الإسلام أو القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة: ١٠٥).

الثالث: المال، ومنه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (البقرة: ١٨٠) أي: إن ترك مالاً.

الرابع: الأفضل، ومنه قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ ([illegible]) أي: [illegible].

---

[1] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص[illegible].

[2] انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص[illegible]، [illegible]، نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، ص[illegible].

الألفاظ ذات الصلة

١ البر:

البر لغة:

الاتساع في الإحسان والزيادة فيه إلى الناس، ويقال: أبر على صاحبه في كذا أي: زاد عليه(1)، وأصل معنى البر السعة ومنه أخذ البر خلاف البحر، ثم شاع في الطاعة والإحسان والصلة(2).

البر اصطلاحا:

قال الطبري: «كل طاعة لله تعالى تسمى برا»(3)، وقال الزمخشري: «البر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير، ومنه قولهم: صدقت وبررت»(4). وقيل: هو اسم جامع لكل خير(5).

الصلة بين البر والخير:

يشترك لفظ البر مع لفظ الخير في سياق الخير [illegible] من جهة أن الشيء يقابله الشر، والبر يقابله العقوق، ومنها: أن البر من الخير الواصل إلى الغير مع القصد إلى ذلك، أما الخير فمطلق [illegible] المدح(6).

٢ الصلة:

الصلة لغة:

قال ابن فارس: «الصلة: [illegible]»(7)، [illegible]. قال تعالى: [illegible](8).

---

(1) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٥/٢٣٨.
(2) انظر: [illegible] ١/٤١.
(3) جامع البيان للطبري ٣/٦.
(4) الكشاف للزمخشري ١/٢٢.
(5) انظر: [illegible] ص١٩.
(6) الفروق اللغوية للعسكري ص٢٢.
(7) مجمل اللغة لابن فارس ١/٩٣.
(8) تهذيب اللغة للأزهري ٧/٨.

الحسنة اصطلاحاً:

الخلة الحسنة(٢): «هي في أصل وضعها الحالة التي يستلذها الإنسان»(٣).

الفرق بين الحسنة والخير:

أنها سبيل إليه [illegible] في وجوه الخير، والحسنة [illegible] القيام بواجباته [illegible] لله تعالى من صلاة وصيام وحج وزكاة، وقد ذكر أبو هلال العسكري الفرق بين لفظ الخير ولفظ الحسنة فقال: «الفرق بينهما أن الحسنة [illegible] الإنسان يجوز أن يفعل [illegible] ولا يجوز أن يعم [illegible]»(٣).

---

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٢٣٥.

(٢) الكليات، الكفوي ص ٤١٢.

(٣) الفروق اللغوية، العسكري ص ٢٣٧.

الخير الإلهي

من الحقائق الثابتة التي لا مراء فيها أن الله تعالى خالق كل شيء، ومن [illegible] الخير [illegible] من يشاء من خلقه، ولا [illegible] الخير إلا الله، والناظر في القرآن الكريم يجد أن لفظ الخير ورد في بعض الآيات مقرونًا ببعض أسماء الله تعالى وصفاته كـ ﴿[illegible]﴾ و﴿[illegible]﴾ [illegible] كما أن هناك معاني كثيرة للخير: كالإيمان والمرضات، والأخلاق، [illegible] القرآن الكريم [illegible] حول هذا الموضوع يشتمل على ما يأتي:

أولًا: مصدر الخير:

مصدر الخير هو الله سبحانه وتعالى فهو الذي خلقه [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible: ٢١]

فالخير بيد الله تعالى [illegible] قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

قال صاحب الكشاف: [illegible] ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [illegible] الخير دون الشر [illegible] على [illegible] من الصفات، ولأن كل أفعال الله تعالى [illegible] صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله [illegible][1].

وقال القشيري: [illegible] الألف واللام في الخير [illegible] [illegible][2].

[illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في افتتاح الصلاة بعد التكبير: «اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك [illegible]»[3].

ثانيًا: الخير في أسماء الله وصفاته:

اقترن الخير في مواضع من القرآن الكريم بأسماء الله تعالى وصفاته، كـ ﴿[illegible]﴾ [illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] أخرجه مسلم في [illegible]

التفضيل منه أبين على وجه مثل من قبيل قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

ويأتي الله تعالى بأنه:

١. خير الناصرين:

ومعناه في حق الله تعالى أنه سبحانه ينصر من يستنصره ويعاونه على انتصاره[1].

وورد هذا الوصف في القرآن مرة واحدة وذلك في قوله: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٠).

قال القشيري: فولاؤه لله تعالى خير الناصرين؛ لأن [illegible] من الناس على نصر لك في أمر ما [illegible]، والعالم الذي لا يخفى عليه [illegible]، والكريم الذي لا يبخل في نصرته، [illegible] لمن [illegible] ذلك في كل [illegible] قوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [illegible] أن يكون من جنس سائر الناصرين [illegible] من [illegible] ذلك من الكلام على حسب تعارفهم[2].

وقال الألوسي: أي هو خير الناصرين لأنه القوي الذي لا يغلب والناصر في الحقيقة [illegible] أن يحتاج بالمعاونة والاستعانة[3].

فالله سبحانه هو الغالب الذي لا يغلب جنده، وصاحب القدرة المطلقة فلا نصر إلا منه تعالى، ومهما بلغت قوة العدو وعدده وعتاده فلا قيمة لكل ذلك أمام قدرة الله تعالى، كنصر رسوله صلى الله عليه وسلم في [illegible] يوم الأحزاب وحده.

قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ (الأنفال: ١٠).

وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[1].

٢. خير الرازقين:

وهذا الوصف معناه في حق الله تعالى: أنه سبحانه [illegible] بأن يرزقك ما لا يقدر عليه غيره، وأنه تعالى هو الأصل في الرزق[2].

وقد ورد هذا الوصف في خمسة مواضع من القرآن، منها قوله تعالى: ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (المائدة: ١١٤).

أي: أعطنا من عطائك [illegible]، وأنت خير من يعطي، وأجود من تفضل[3].

ومنها قوله تعالى: ﴿[illegible] وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [illegible].

---

[1] لطائف الإشارات للقشيري (١/ ٢٨٥).
[2] مفاتيح الغيب للرازي (٩/ ٣٨٤).
[3] روح المعاني للألوسي (٤/ ٨٠).

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب [illegible] رقم (٢٧٢٤).
[2] مفاتيح الغيب للرازي (٢٣/ ٢٤٣).
[3] جامع البيان للطبري (١١/ ٢٢١).

٢١١.

قال ابن الجوزي في تفسيره: «والله خير الرازقين؛ لأنه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]»(١).

وقال ابن عاشور: «وتذييل الكلام بقوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ لأن الله يرزق الرزق الذي يرضى به سليمًا من الأكدار والآلام، ولأنه يرزق خير الدنيا وخير الآخرة، وليس غير الله [illegible] [illegible] في هذا الكلام [illegible] [illegible] إلا الله رب العالمين [illegible]»(٢).

٣. خير الفاصلين.

ومعنى من الفصل في الخصومات، ومعناه في حق الله تعالى أنه سبحانه خير من يفصل ويحكم بين الخلق كلهم.

قال الراغب: «الفصل: إبانة أحد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فرجة، ومنه: يوم الفصل؛ لأنه يبين الحق من الباطل، ويفصل بين الناس بالحكم، وفصل الخطاب ما فيه قطع الحكم»(٣).

وورد هذا الوصف مرة واحدة في القرآن في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

ومعنى الآية: أنه هو خير من يفصل ويحكم بين المحق والمبطل، وأحكامه لا يقع في حكمه وقضائه حيف إلى أحد لوسيلة له إليه، ولا لقرابة ولا مناسبة، ولا في قضائه جور؛ لأنه لا يأخذ الرشوة في الأحكام فيجور، فهو أعدل الحكام وخير الفاصلين»(١).

قال صاحب الكشاف: «وهو خير الفاصلين: أي: [illegible] [illegible] وهو خير الفاصلين [illegible]»(٢).

٤. خير الحاكمين.

ومعناه في حق الله تعالى أنه سبحانه أفضل من يحكم بين الناس. وورد هذا الوصف في ثلاثة مواضع من القرآن، منها قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

قال الطبري: «والله خير من يفصل وأعدل من يقضي؛ لأنه لا يقع في حكمه ميل إلى أحد ولا محاباة لأحد»(٣).

٥. خير الفاتحين.

قال الراغب: «الفتح: إزالة الإغلاق

---

(١) زاد المسير، [illegible].
(٢) التحرير والتنوير ٢٨/ ٢٣٠.
(٣) المفردات ص [illegible].

(١) جامع البيان للطبري (١١/ [illegible]).
(٢) الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٠).
(٣) جامع البيان (١٢/ [illegible]).

والإنكشاف فتح القضية فتاحة: أي فصل الأمر فيها، وأزال الإغلاق عنها، والفاتح والفتاح القاضي بلغة حمير(1).

ومعناه في حق الله تعالى خير الحاكمين، ويرد هذا الوصف في موضع واحد من القرآن هو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (الأعراف: 89).

قال ابن عاشور: "الفاتحين: الفتح هنا بالقضاء والحكم"(2).

وبذلك يعلم أنه تعالى خير الفاصلين، أي: خير الحاكمين؛ لأن حكمه هو العدل والقسط ونقيضه هو الظلم في الحاكمين، بخلاف حكم الآخرين فهم بين حاكم عادل أو جائر بحسب أو مطلق.

٦. خير الغافرين.

قال صاحب اللسان: "الغفور الغفار جل ثناؤه، وهما من أبنية المبالغة، ومعناهما الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم"(3).

قال [illegible]: خير الغافرين، [illegible] أي: من [illegible] إنما [illegible] من الذنب؛ إذ [illegible] الله [illegible] أو [illegible] أو [illegible] الحسنة من الذنب والعقوبة فلذلك الشرك يكون لطلب [illegible] أو [illegible] إلى [illegible] أنه [illegible] لا [illegible] [illegible] في [illegible] لحسن الفعل [illegible] أنه خير الغافرين(4).

ويرد هذا الوصف في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (الأعراف: 155).

ويعني الآية كما قال الطبري: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾ أي: فاستر علينا ذنوبنا بتركك عقابنا عليها ﴿وَارْحَمْنَا﴾ لتعطف علينا برحمتك ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ أي: أنت خير من صفح عن جرم وستر على ذنب(5).

٧. خير الماكرين.

قال الراغب: "المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان: مكر محمود وهو أن يتحرى بذلك فعل جميل، ومذموم وهو أن يتحرى به فعل قبيح"(6).

ويرد هذا الوصف في موضعين من القرآن:

الأول: في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 54).

والثاني: في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾

---

(1) المفردات ص 72.

(2) التحرير والتنوير 9/ 21.

(3) لسان العرب لابن منظور 5/ 25.

(4) مفاتيح الغيب 15/ 379.

(5) جامع البيان 13/ 153.

(6) المفردات ص 772.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام: ٥٣).

[illegible]

قال ابن عاشور: قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [illegible] ﴿بِالشَّاكِرِينَ﴾ [illegible]

[illegible]

٨- خيرُ الحافظين.

[illegible]

[illegible]

وورد هذا الوصف في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٦٤).

[illegible]

ومعنى الآية كما قال ابن عاشور: [illegible]

٩- خير الوارثين.

قال في اللسان: الوارث: صفة من صفات الله عز وجل وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم والله عز وجل يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين أي: يبقى بعد فناء الكل ويفنى من سواه فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له[٣].

وورد هذا الوصف في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٩).

قال الطبري: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾

---

(١) التحرير والتنوير [illegible]

(١) [illegible]

(٢) التحرير والتنوير [illegible]

(٣) لسان العرب لابن منظور [illegible]

إلا على الله تبارك وتعالى بعد ذلك الخلق، وأنه أفضل من في حكمه[1].

١٠. خير المنزلين:

قال الشعر: «الإنزال في الأمكنة قد يقع من غير الله كما يقع من الله تعالى، وإن كان هو سبحانه خير من أنزل؛ لأنه يحفظ من أنزله في سائر أحواله، ويدفع عنه المكاره بحسب ما يقتضيه الحكمة والمصلحة»[2].

وورد هذا على أنه صفة لله تعالى مرة واحدة في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

قال الطبري في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره لنبيه نوح عليه السلام: وقل إذا سلمك الله، وأخرجك من الفلك فنزلت عنها: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ من الأرض ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ أنت خير من أنزل عباده المنازل»[3].

وفي هذه الآية توجيه من الله تعالى إلى نوح عليه السلام أن يطلب من الله تعالى أن يتفضل عليه بإنزاله منزلاً مباركاً، بأن يكون ثابتاً له وللمؤمنين، أو غير ذلك مما يفيد الخير.

وورد قوله تعالى: ﴿خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ مرة واحدة أيضا في شأن يوسف عليه السلام حينما قال لإخوته - فيما حكى القرآن -: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٩] أي: خير المضيفين، فإنه قد أحسن ضيافتهم، وأكرم ضيافتهم في أيام إقامتهم[4].

١١. خير الراحمين:

قال صاحب اللسان: «الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله... والرحمة في بني آدم عند العرب: رقة القلب وعطفه، ورحمة الله: عطفه وإحسانه ورزقه»[5].

وورد هذا الوصف في القرآن مرتين:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

والثانية: في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

أي: أنت يا رب خير من رحم ذا ذنب فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه[6].

ثالثًا: حقيقة الخير لا يملكها إلا الله:

إن الخير بيد الله تعالى، فهو سبحانه خالقه وموجده، ولا يملك حقيقته إلا هو، فقد يقع للإنسان شيء من الأشياء المؤلمة والمصائب المزعجة التي تكرهها نفسه،

---

[1] معالم التنزيل ٥/ ٢٨٧.
[2] مفاتيح الغيب ٢٣/ ٢٧٩.
[3] جامع البيان ١٩/ ٢٦.
[4] التحرير والتنوير لابن عاشور ١٣/ ١٢.
[5] لسان العرب لابن منظور ١٢/ ٢٣٠.
[6] جامع البيان للطبري ١٩/ ٧٨.

فربما جرح أو أصابه المرض، ولعل أن ذلك الطريق غير القرية الظالمة والقاضية المهلكة لأمثاله، وعليه فإنه بذلك الشخص منحة من الله في ثوب محنة، وعطية منه تعالى في ثوب بلية، وكم أتى نفع الإنسان من حيث لا يحتسب، والعكس صحيح، فكم من إنسان سعى إلى شيء فكان البلاء والهلاك في سبيل الحصول عليه، [illegible] الغالي والنفيس من أجل الوصول إليه، والأمر يأتي على خلاف ما يريد.

ومظاهر ما بيّن به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢١٦).

والآية وإن كانت واردة في شأن القتال والجهاد إلا أنها عامة بعموم اللفظ.

ومعنى الآية: عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في أنكم تظفرون وتغنمون وتؤجرون، ومن مات مات شهيداً ﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا﴾ الدعة وترك القتال ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ في أنكم تغلبون وتذلون ويذهب أمركم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما يصلحكم وما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء ١٩).

والآية واردة في كراهية الرجل لزوجته، والمعنى: فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله في ذلك الشيء الذي تكرهونه خيراً كثيراً، والمراد بالخير الكثير -كما قال ابن عباس- أن يعطف عليها فيرزق الرجل ولدها ويجعل الله في ولدها خيراً كثيراً[2].

وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة تدل على ذلك، منها قصة الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام بأمر من الله تعالى، فلما سأله موسى قال له: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (الكهف ٨٠-٨١).

قال الطبري: «وأما الغلام، فإنه كان كافراً، وكان أبواه مؤمنين، فعلمنا أنه يرهقهما، يقول: يغشيهما طغياناً، وهو الاستكبار على الله، وكفراً به، [illegible] أنه ذكر أن ذلك الغلام الذي قتله الخضر، فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب، وقوله: ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ يقول: خيراً من الغلام الذي قتله»

---

[1] الكشاف للزمخشري (١/ ٢٥٥).

[2] جامع البيان للطبري (٨/ ١٢٢-١٢٣).

ملائكة ومرسلا(١).

ومنها كذلك قصة أم موسى عندما ألقته في اليم بأمر من الله تعالى، فظاهره غرق وإلقاء غير أنها نجت موسى عليه السلام من بطش فرعون.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

والوحي هنا وحي إلهام لا وحي نبوة. قال قتادة: قذفنا في قلبها ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ يعني: من الهم ﴿إِلَّا مِن ذِكْرِ مُوسَىٰ﴾، أي: اليسر، ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ عليه من الغرق أو من القتل، ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا﴾ على قلبها ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

مضامين الخير في القرآن

للخير مضامين كثيرة دل عليها القرآن الكريم، وأرشد المسلمين إليها والترغيب فيها؛ لتحصيل لهم بسببها الفوز والفلاح، والسعادة في الدنيا والآخرة، وتتعرض إلى الإيمان والتقوى، والطاعة والعبادة، والأخلاق الفاضلة وحسن المعاملة، إلى غير ذلك من المضامين الكثيرة التي أرشد إليها القرآن الكريم، والحديث حول هذا الموضوع يقتضي ما يأتي:

أولاً: الإيمان:

الإيمان من أعظم مضامين الخير التي أرشد إليها القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقد اتفق أهل العلم من الأولين والمعاصرين على أن الإيمان معناه التصديق(١).

أما معناه الشرعي فهو كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم عندما سأله جبريل: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر».

---

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٧٥-٧٨).

(٢) معالم التنزيل، البغوي (٦/ ١٩٠).

(١) لسان العرب، ابن منظور (١/ ١٩٠).

بالإيمان بالله عز وجل وطاعته[1].

وقد أمر الله به الناس جميعًا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 170].

ومعنى الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ﴾ يعني: محمدًا صلى الله عليه وسلم ﴿بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يقول: بالإسلام الذي ارتضاه الله لعباده دينًا، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: من عند ربكم ﴿فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ يقول: فصدقوه وصدقوا بما جاءكم به من عند ربكم من الدين، فإن الإيمان بذلك خير لكم من الكفر به ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾ يقول: وإن تجحدوا رسالته وما أتاكم به من عند ربكم ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ﴾ بمعصيتكم الله وكفركم لن يضر غيركم[2].

فالإيمان خير في الدنيا لأنه تصديق بالله وبرسوله، وخير في الآخرة لأنه أمان وأعظم سبب من أسباب دخول الجنة.

ولا بد أن يكون الإيمان مقرونًا بالعمل؛ ليكون صاحبه عند الله.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

﴿... وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: 28].

والإيمان بالله ركن عظيم من دعوة الأنبياء جميعًا، وهو يوسف عليه السلام حينما قال لصاحبيه في السجن: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: 37].

ومن أعظم ملابس التقوى لباس الإيمان بالله والتقوى، والإيمان خير من كل شيء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 103].

قال ابن كثير: ولو أنهم -أي اليهود- آمنوا بالله ورسله، واتقوا المحارم، لكان مثوبة الله على ذلك خيرًا لهم مما استخاروا لأنفسهم ورضوا به[3].

وقال عز وجل: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26].

والمراد بلباس التقوى: قيل: هو الإيمان، وقيل: هو العمل الصالح، وقيل: هو خشية الله، وقيل: السمت الحسن، وقيل: هو الورع، والكل متداخل.

[illegible] وإنه على سبيل الاستعارة [illegible]

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، (1/ 36) رقم (8).

[2] جامع البيان للطبري (9/ 427).

[3] تفسير القرآن العظيم (1/ 314).

[illegible]

وقال ابن عباس: [illegible]

[illegible]

قال [illegible]

[illegible]

الأول: [illegible]

والثاني: [illegible]

والثالث: [illegible]

الآخرة [illegible]

وخامسها: [illegible]

وقال تعالى: [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [illegible]

[illegible]

قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ﴾ [illegible]

[illegible]

﴿[illegible] يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤].

[illegible]

[illegible]

كما حث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة»(١).

ثانيًا: الصلاة

من ميادين الخير التي أرشدنا إليها القرآن [illegible] إليها:

● إقام الصلاة [illegible]

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

ومعنى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي حافظوا عليها [illegible] الخير بسبب [illegible] عليها.

وفي بيان ما يحصل للعبد من خيرات بسبب الصلاة، يقول [illegible]:

الأول: أن الصلاة تحفظ من المعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فمن حفظ الصلاة حفظته الصلاة من المعاصي والمنكر.

والثاني: أن الصلاة تحفظ من البلايا والمحن، قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [illegible] الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿[illegible] إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ٢٢].

[illegible]

والثالث: أن الصلاة تحفظ صاحبها [illegible]

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

أي: وما تقدموا أيها المؤمنون لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله، أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حج، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله، تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم هو خيرًا لكم مما قدمتم في الدنيا وأعظم منه ثوابًا، أي: ثوابه أعظم من ذلك الذي قدمتموه لو لم تكونوا قدمتموه(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) جامع البيان [illegible]

﴿[illegible] ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة ٩).

وهنا يرشد الله عباده إلى أن يهرعوا إلى الصلاة عندما يسمعوا النداء ويتركوا البيع [illegible] لهم [illegible] التي هي خير وأبقى.

● الصوم.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة ١٨٥).

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله [illegible] ما كتب عليكم من [illegible] (١).

● الحج والعمرة.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة ١٩٧).

والمعنى: [illegible]

يطرح ما يطرح (٢).

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة ١١٠).

قال الطبري: يقول: [illegible] المؤمنون ما أمركم [illegible] (٣).

والناظر المتدبر في الحج والعمرة [illegible] المنافع من الهدي والأضاحي المشار إليه بقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الحج ٢٨).

أما الحكم في [illegible] الحج إلى [illegible] (٤).

● الجهاد.

والمراد بها ما يقوم من خلال [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٩٨).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٤٧٧).

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٩٩).

(٤) المصدر السابق (١٠/ ٢٢٠ - ٢٢١).

مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

والمعنى كما قال الطبري: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا أيها النبي قل لمن في يديك وفي يدي أصحابك من أسرى المشركين الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ: ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ يقول: إن يعلم الله في قلوبكم إسلامًا، ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ يقول: ويصفح لكم عن عقوبة جرمكم الذي اجترمتموه بقتالكم نبي الله وأصحابه، وكفركم بالله. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده إذا تابوا ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة)(١).

- الصدقة.

والمراد بها الإنفاق في سبيل الله.

الدليل: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].

والمعنى: [illegible] يسألونك يا محمد: أي شيء ينفقون من أموالهم فيتصدقوا به؟ [illegible]

[illegible] والمعاكم والريكم والرضى منكم، والمسالمين [illegible]

[illegible]

وقد حث الله عباده الصادقين على إيتاء الصدقات، وأن ذلك خير لهم من إمساكها، حتى لا يحالفهم الشح والرياء.

الدليل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

---

(١) المصدر السابق (١٤) ٧٢.

(١) المصدر السابق (٣) ٣٤٦-٣٤٧.

[illegible] ﴾ (البقرة: ٢٧٩-٢٨٠).

وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية [illegible]

[illegible]

كما حث الله تعالى المؤسرين أن [illegible]

قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨٠).

أي: إذا كان المدين غير قادر على الأداء [illegible]

يكون خيرًا لكم في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا [illegible]

وقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يضعوا صدقة بين يدي مناجاتهم الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ [illegible]﴾ (المجادلة: ١٢).

إلا أن هذا الأمر قد نسخ بالآية بعدها [illegible] جمهور المفسرين.

● الوصية:

وهي تمليك [illegible] مضافًا إلى ما بعد الموت بطريق التبرع. قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١٨٠).

والمعنى: فرض عليكم الوصية [illegible]

---

(١) [illegible]

(١) [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] في الوصية [illegible]

[illegible]

• [illegible]

[illegible]

• [illegible]

[illegible]

• [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

---

(١) جامع البيان الطبري [illegible]

(٢) المصدر السابق [illegible]

(٣) تفسير القرآن العظيم [illegible]

حكم بأنه لا يقتل في حرب، ولا يموت في سفر إلا من بلغ أجله، وحانت وفاته، ثم [illegible] على جهادهم في سبيله [illegible] [illegible] أن [illegible] في سبيل الله [illegible] في الله [illegible] [illegible] [illegible] الدنيا من [illegible] [illegible] أجله [illegible] من الجهاد في سبيل الله [illegible][1].

وقد يكون القتال في سبيل الله فرض عين على كل حالة في اليسر والعسر، [illegible] والفقر، والخفة والثقل، قال تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

وأصل النفر: الخروج [illegible] [illegible] والمراد هنا: الحث على الجهاد والنصرة إلى عدد غلبة العدو على بلد من بلاد المسلمين، أو [illegible] ديار الإسلام.

قال ابن كثير: أمر الله تعالى بالنفير العام مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب، وحتّم على المؤمنين في الخروج معه على كل حال في المنشط والمكره والعسر واليسر[2].

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أي: [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في اليسر والعسر، أو [illegible] [illegible].

[illegible] أن الجهاد تجارة [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الصف: ١٠-١١].

قال المفسر: [illegible] تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ يعني: [illegible] من الإيمان بالله تعالى، والجهاد في سبيله، خير لكم من أن [illegible] [illegible][3].

وفي الآية إشارة إلى أن الجهاد بالنفس [illegible] الأموال والأنفس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بين الإيمان بالله ورسوله وبين الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس [illegible] [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] [illegible] الجهاد [illegible][4].

● الابتلاء [illegible]:

الابتلاء: كما يكون بما يكرهه النفس، ومن الشر، كذلك يكون بما تحبه النفس، ومن الخير.

قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾

---

[1] جامع البيان للطبري ٧/ ٣٣٦.

[2] تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٤١.

[3] جامع [illegible] [illegible].

[4] التحرير والتنوير ١٠/ ٢٩٦.

﴿[illegible]﴾ [illegible].

وأصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان.

قال الطبري في معنى الآية: أي: ونختبركم -أيها الناس- بالشر وهو الشدة نبتليكم بها، وبالخير: وهو الرخاء والسعة والعافية فنفتنكم به[1].

وقال الزمخشري: أي: نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم، وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر[2].

ومن صور الابتلاء بالشر المذكورة في القرآن ما ورد في [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

قال القطر في المسألة الثانية من تفسير هذه الآية: [illegible]

لم ٩٧

ومن الناس من إذا أنعم الله عليه [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [المعارج: ٢١].

أي: إذا كثر ماله ونال الغنى فهو منوع لما في يده بخيل به لا ينفقه في طاعة الله [illegible][3].

● تعظيم حرمات الله.

ومن الخير: تعظيم حرمات الله المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

أي: الذي يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه فهو خير له عند ربه، أي: فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل، [illegible][2].

وقال الطبري عن مجاهد قوله: الحرمات: مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها.

وقال عن ابن زيد قوله: الحرمات: المشعر الحرام والبيت الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام[3].

وقال القطر: الحرمة: ما لا يحل انتهاكه [illegible]

---

(١) جامع البيان ١٨/ [illegible].
(٢) الكشاف ٣/ [illegible].
(٣) مفاتيح الغيب [illegible].

(١) جامع البيان للطبري [illegible].
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible].
(٣) جامع البيان [illegible].

من مناسك الحج وشعائره يحتمل أن يكون [illegible] في جميع [illegible] ويحتمل أن يكون خاصًّا فيما يتصل بالحج، وقوله: ﴿[illegible]﴾: يدل على [illegible] [illegible] عند ربه [illegible] [illegible](١).

وقال ابن عاشور: «والحرمات: جمع حرمة بضمتين، وهي ما يجب احترامه. والاحترام: اعتبار الشيء ذا حرمة كناية عن عدم الدخول فيه، أي: عدم انتهاكه بمخالفة أمر الله في شأنه، والحرمات يشمل كل ما أوصى الله بتعظيم أمره فتشمل مناسك الحج كلها»(٢).

ثالثًا: الأخلاق:

الأخلاق ميدان عظيم من ميادين الحج، [illegible] الله [illegible] على [illegible] من الأمور [illegible] بالحق والصبر، [illegible] بالمعروف [illegible] المنكر.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ١٩٧].

[illegible]

فهذه من الأخلاق التي دعا إليها الإسلام وحث على تعويدها:

● الصبر:

[illegible] على ما [illegible] بقضاء الله تعالى، [illegible] الجوع والعطش [illegible] بني إسرائيل [illegible] ما رزقهم الله من طعام المن والسلوى [illegible] موسى عليه السلام أن يدعو الله لهم أن يبدلهم [illegible] والقثاء والعدس والبصل، كما قال تعالى: ﴿[illegible] أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

قال ابن كثير في تفسيره: «[illegible] نعمتي عليكم في إنزالي عليكم المن والسلوى [illegible] [illegible] سألتم موسى استبدال ذلك بالأطعمة الدنيئة من البقول [illegible] [illegible]»(١).

[illegible] الصبر [illegible] كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

---

(١) [illegible] (٣/ ٢٢٢).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٤١).

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٠).

[illegible]

[illegible]

عنه)[1].

وقال الشعراوي: في الآية إشارة إلى حسن الأدب [illegible] سوء الأدب فإنهم لو صبروا لما احتاجوا إلى النداء [illegible] إليهم [illegible] في وقت [illegible][2].

● السمع والطاعة

ومما يدل على الأخلاق أمر الله تعالى بإطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والأخبار في ذلك اليهود الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا ما نزل إليهم من البينات.

قال الطبري: [illegible] اليهود الذين وصف الله صفتهم [illegible] يا محمد [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] وأصوب في القول[3].

وانظر هذه الآية قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

[illegible] المشركين:

قال الطبري: ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره [illegible] من الله [illegible] علم أنه لا خير فيهم [illegible] فهم لا [illegible] حتى [illegible] من الله ومن رسوله [illegible] على حججه [illegible][1].

والأمثلة السمع والطاعة أمر الله تعالى بهما أمرًا مباشرًا، فقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

قال الطبري: (أي: واسمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ يقول: وأنفقوا مالًا من أموالكم [illegible] في هذا الموضع [illegible][2].

● الصلح والإصلاح

والصلح يكون بين متخاصمين والإصلاح يكون [illegible]

---

[1] المصدر السابق (٢٢/ ٢٨٢).

[2] [illegible]

[3] جامع البيان ([illegible]).

[1] المصدر السابق (١٣/ ٤٦٢).

[2] المصدر السابق (٢٣/ ٤٢٧).

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114].

قال الطبري: «يقول: لا خير في كثير من نجوى الناس جميعًا ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾، والمعروف: هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير، ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، وهو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين بما أباح الله الإصلاح بينهما، ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة»(1).

وفي شأن تخاصم الأزواج قال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: 128].

قال ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ لفظ عام مطلق، يقتضي أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق، ويندرج تحت هذا العموم أن صلح الزوجين على ما ذكرنا خير من الفرقة»(2).

كما نهى القرآن عن الفساد في الأرض بعد أن أصلحها الله تعالى، وذكر ذلك القرآن على لسان شعيب عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85].

قال الطبري في تفسيرها: «يقول: ولا تعملوا في أرض الله بمعاصيه وما كنتم تعملونه قبل أن يبعث الله إليكم نبيه، من عبادة غير الله والإشراك به وبخس الناس في الكيل والوزن ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، يعني: بعد أن قد أصلح الله الأرض بابتعاث النبي عليه السلام فيكم، ينهاكم عما لا يحل لكم وما يكرهه الله لكم ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، يقول: هذا الذي ذكرت لكم وأمرتكم به من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وإيفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن، وترك الفساد في الأرض، خير لكم في عاجل دنياكم وآجل آخرتكم عند الله يوم القيامة»(3).

● [illegible]

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف

---

(1) جامع البيان (9/ 202).

(2) المحرر الوجيز (2/ 120).

(3) جامع البيان (12/ 556).

[illegible]

والقول المعروف: هو الكلمة الطيبة [illegible]

[illegible]

وقال ابن عطية: [illegible] القول المعروف [illegible]

● القول النصيحة.

والنصيحة: [illegible]

[illegible]

ومن [illegible]

الأنبياء [illegible] قال تعالى حكاية [illegible] ﴿[illegible]﴾ (الأعراف: ٦٢)

وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿[illegible]﴾ (الأعراف: ٦٨)

وقال صالح عليه السلام: ﴿[illegible]﴾ (الأعراف: ٧٩)

[illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة: [illegible])

[illegible]

● القول الموعظة.

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (يونس: ٥٧-٥٨)

والمراد بالموعظة هنا القرآن الكريم.

[illegible]

كما قاله كثير من المفسرين(1).

والواو في قوله: {وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ} يجوز أن تكون عاطفة [illegible] على [illegible] أي: قد جاءتكم الموعظة [illegible] [illegible] بفضل الله وبرحمته [illegible] [illegible] من مقام [illegible].

ويجوز أن يكون قوله تعالى: {فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا} [illegible] {هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} وما عطف عليها من شفاء الصدور والهدى والرحمة(2).

فإن ما يحصل للعبد من فضل الله ورحمته بهذا القرآن العظيم من الهدى والرحمة والموعظة وشفاء ما في الصدور أمر عظيم [illegible] يفرح به العبد [illegible] [illegible] وليس من الفرح [illegible] [illegible] بحطام الدنيا [illegible] على حساب عمل الآخرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يحصل من فضل الله ورحمته بهذا القرآن الكريم فهو خير [illegible] [illegible] خير مما يجمعون من الدنيا الفانية [illegible] الزمن [illegible].

● الفرح المحمود

قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159].

والآية الكريمة [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] {فَاعْفُ عَنْهُمْ} [illegible] {وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ} [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [illegible](3).

● العفاف

قال تعالى: {وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: 60].

والآية الكريمة تتحدث عن القواعد من النساء اللاتي قعدن عن طلب الزواج لعدم رغبتهن فيه لكبر سنهن أنه لا حرج عليهن

---

(1) انظر: جامع البيان، الطبري ١٥/ ١٠٥، الكشاف، الزمخشري ٢/ ٣٥٣، [illegible] [illegible] [illegible]، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٧٤.

(2) انظر: [illegible] [illegible] ٦/ ٢١٤.

(3) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٣/ ٢٧٥١.

أي يختلفن من حليهن، كالقلائد التي تكون فوق الصدر، أو الزينة التي تكون فوق الثياب إلا أن غير متبرجات بزينة [illegible] محارمهن من الرجال، وأن الاستعفاف من [illegible] خير لهن، قال [illegible]: [illegible] والاستعفاف [illegible] خير لهن، لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثاً منه على اختيار أفضل الأعمال وأحسنها»(١).

● الصدق:

قال تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٤].

فوعد الله بها لما يحصل للصادقين من الجزاء [illegible] وهو دخولهم الجنة [illegible] يوم القيامة [illegible] الصدق [illegible] يوم الجزاء [illegible] ينفعهم في الآخرة، [illegible](٢).

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩].

والآية الكريمة تتحدث عن الصادقين

وكرههم القتال، [illegible] الأحزاب ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ أي: [illegible] القتال ﴿إِلَّا إِيمَانًا﴾ أي: [illegible] ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ [illegible](١).

● [illegible]

قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة: ١١٧].

قال البغوي في معالم التنزيل: قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ﴾ [illegible] ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ [illegible] ﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ يعني: [illegible] ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ [illegible](٢).

● عدم السخرية.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١].

والمعنى كما قاله الطبري: لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونُوا﴾

---

(١) الكشاف، الزمخشري [illegible].

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي [illegible].

(١) جامع البيان، الطبري [illegible].

(٢) معالم التنزيل، [illegible].

[illegible]

أي: [illegible] الأقرب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن إليكم يكن خيرًا لكم في الدنيا والآخرة وإن لا تفعلوا يكن شرًّا لكم في الدنيا والآخرة[4].

رابعًا: المعاملات:

● العدل في الكيل والوزن:

لا شك أن تحقيق العدل في الكيل والوزن فيه المصلحة للناس جميعًا، [illegible]

[illegible] (الأعراف: 85)

[illegible]

[illegible] (الإسراء: 35)

[illegible]

[illegible]

---

[3] [illegible]

[4] [illegible]

[3] [illegible]

[4] [illegible]

طلب الأدنى وإيثاره الوحدة بذلك لا يختلف بمجرد [illegible] بل لابد [illegible] من إيجاد [illegible] في تحقيق طلب [illegible][1].

﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] على أهل البيت الذي [illegible] [illegible] لا [illegible] إلا [illegible] على [illegible] أو [illegible] وكم [illegible] على ما [illegible] بذلك [illegible] عليكم في [illegible] ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] نعم الله عليكم والتزام [illegible] من عاقبة الظالمين[2].

المقارنة بين المتضادات

اتخذ القرآن الكريم [illegible] بين المتضادات في كثير من آياته برهانا على أن بعضها خير من الآخر [illegible] الناس على الحق [illegible] من الكثير من [illegible] ومن ذلك يشتمل على الآتي:

أولاً: المقابلة بين الإله الحق والآلهة الباطلة:

قدم القرآن الكريم [illegible] الدالة على وحدانية الله تعالى وألوهيته سبحانه بالأزلية والقدرة والعناية، ومن بين هذه [illegible] مقابلته بين الإله الحق سبحانه وتعالى وبين الآلهة الباطلة.

قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام وهو يدعو إلى الله في السجن: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

قال الطبري: «ذكر أن يوسف -صلوات الله عليه- قال هذا القول للفتيين اللذين دخلا معه السجن، لأن أحدهما كان مشركا، فدعاه بهذا القول إلى الإسلام وترك عبادة الآلهة والأوثان، فقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، يقول: أعبادة أرباب شتى متفرقين وآلهة لا تنفع ولا تضر، خير، أم عبادة المعبود الواحد الذي لا ثاني له في

---

[1] [illegible]
[2] جامع البيان للطبري [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] كل [illegible] الله [illegible] [illegible] طرقاً وثمرة[1].

وقال الشيخ أبو زهرة: هذا استفهام إنكاري [illegible].

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (النمل: ٥٩)

قال ابن كثير: استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى، ثم شرع تعالى يبين أنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره[2].

فذكر تعالى خلق السموات والأرض وما فيهما من بدائع صنعه وعظيم قدرته وإنزاله المطر وما يحيا به من النباتات والحدائق التي لم تستطع [illegible] أن تنبت أشجارها [illegible] وخلق الجبال والبحار والأنهار، وجعل الحاجز بين البحر [illegible] [illegible] [illegible] وذكره تعالى بأنه يجيب دعاء المضطر ويكشف السوء، ويهدي الخلق [illegible]

الخالق الرحيم.

كما أنه تعالى قد اتصف بجميع صفات الكمال المطلق التي تليق بذاته المقدسة، فاتصف بالقدرة المطلقة فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، واتصف بالإرادة ﴿[illegible]﴾ (البروج: ١٦) ﴿[illegible]﴾ (يس: ٨٢).

واتصف بالعلم المطلق: ﴿[illegible]﴾ (النمل: ٦٥)

وقال: ﴿[illegible]﴾ (آل عمران: ٢٩)

وقال: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وإليه تعالى وحده المرجع والمآب قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وغير ذلك من صفات الكمال والجلال الثابتة له تعالى، بخلاف هذه الآلهة الأخرى التي يعبدها المشركون من دون الله فإنها لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، بل هي من مخلوقات الخالق سبحانه، فصفاتها صفات النقص المطلق والضعف التام.

ثانياً: المقابلة بين الدنيا والآخرة:

تقابل القرآن بين الدنيا الفانية والآخرة

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

الباقية، الترغيب في العمل للآخرة، وعدم الانشغال في الدنيا بما ينسي الآخرة لأن متاعها قليل، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: ٧٧).

قال الطبري: يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ قل يا محمد لهؤلاء القوم الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ عيشكم في الدنيا وتمتعكم بها قليل، لأنها فانية وما فيها فانٍ ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ يعني: ونعيم الآخرة خير لأنها باقية ونعيمها باقٍ دائم ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ يعني: لمن اتقى الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، فأطاعه في كل ذلك ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ يعني: ولا ينقصكم الله من أجور أعمالكم فتيلًا[1].

وقد صرح القرآن بأن كثيرًا من الناس يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة الباقية، قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (الأعلى: ١٦-١٧).

قال [illegible]: [illegible] الناس الحياة الدنيا [illegible] إيثار [illegible] الآخرة [illegible] إلا من عصم الله، [illegible] حب العاجل، والجهل بقدر [illegible]

الآخرة[1].

وقال تعالى مخاطبًا نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (الضحى: ٤).

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: وللدار الآخرة وما أعد الله لك فيها خير لك من الدار الدنيا وما فيها، فلا تحزن على ما فاتك منها، فإن الذي لك عند الله خير لك منها[2].

أي: خير لك من الدنيا وما فيها، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها[3].

ثالثًا: المقابلة بين نعيم الآخرة ومتاعها:

تقابل القرآن بين نعيم الآخرة ومتاع الدنيا [illegible] إلا أن يختار النعيم الخالد، قال تعالى: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ (التوبة: ٣٨).

ومعنى الآية كما قال الطبري: [illegible]

---

[1] جامع البيان ([illegible]).

[1] [illegible]

[2] جامع البيان ([illegible]).

[3] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد ([illegible])، [illegible] قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ([illegible]).

تعالى ذكره: أفما الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من الكرامة في الجنة ورزقتهم فيها من النعيم خير أم ما أعددت لأهل النار من الزقوم؟!

والزقوم: شجرة شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على أشد كراهية ومنه قولهم: (تزقم الطعام) إذا تناوله على كره ومشقة[1].

وقال ابن عاشور: "والاستفهام مكنى به عن التنبيه على فضل حال المؤمنين ونزلهم وخسار الكافرين، وهو خطاب لكل سامع. والإشارة: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدم من حال المؤمنين في النعيم والخلود، وجيء باسم الإشارة عنه بطريق الخطاب، وبلام البعد المشار إليه المخاطب بالبعد أي بعد المرتبة وسموها لأن الشيء النفيس الشريف يتخيل عاليًا، والعالي يلازمه البعد عن المكان المعتاد وهو السفل"[2].

كما قابل القرآن أيضًا بين الآمنين من العذاب وبين المعذبين يوم القيامة وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

والاستفهام في الآية الكريمة بمعنى التقرير، والغرض التنبيه على أن الذين يلحدون في آيات الله يلقون في النار، والذين يؤمنون بآيات الله يأتون آمنين يوم القيامة والمعنى: هل يستوي من يلقى في النار خيرًا وهؤلاء الأصحاب بالآيات والتكذيب للرسول، ومن يأتي آمنًا يوم القيامة من العذاب؟ والمراد: الملحدين في الآيات يلقون في النار، والمؤمنون بها يأتون يوم القيامة آمنين، فاعملوا أيها الملحدون في آياتنا ما شئتم ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: اعملوا أي شيء تريدونه من خير أو شر فإن الله عالم بكل شيء وسيجازيكم بحسب ما تعملون، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وهذا وعيد وتهديد صرف فيه الأمر إلى التهديد[1].

وقال ابن عاشور: "فالآية بيان أن الوعيد بالإلقاء في النار وبيان أنهم أحرى من ذلك، والمؤمنين يأتون آمنين، والاستفهام تقرير مستعمل في التنبيه على تفاوت المرتبتين"[2].

رابعًا: المقابلة بين الأقوام الهالكين:

قابل القرآن بين الأقوام الهالكين؛ للإفادة بأحوالهم، وليأخذ عامة المخلصين منهم وبالآخرين، وبيان عاقبة الكريم والمكذب، ومن تلك المقابلة بين مشركي

---

[1] جامع البيان ٢١/ ٤٦.

[2] التحرير والتنوير ٢٣/ ١٢٤.

[1] مفاتيح الغيب، الرازي ٢٧/ ٥٦٨.

[2] التحرير والتنوير ٢٤/ ٣٠٧.

مكة وما إليهم من الأمم [illegible] قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان: ٣٧].

وتبع هو تبع الحميري، كان مؤمناً وكان قومه كافرين، ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه. قال في الكشاف: [illegible] ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ ولا خير في الفريقين؟ قلت: معناه: أهم خير في القوة والمنعة [illegible] عن ابن عباس رضي الله عنهما: أهم أشد أم قوم تبع[1].

ومعنى الآية: أكفار قريش الذين هم عرب من عدنان خير في القوة والمنعة أم قوم تبع الحميري الذين هم عرب من قحطان الذين كانوا أقوى منهم وأكثر عدداً، وكانت لهم دولة وحضارة عريقة ومجد، وكذلك الأمم الذين [illegible] بالقوة [illegible] أهلكناهم بسبب كفرهم وإجرامهم، فإهلاك من هو دونهم [illegible] من قوم تبع في العدد والعدة والمنعة[2].

وقد ذكر ابن كثير أن الله تعالى أهلك قوم تبع وخرب بلادهم وشردهم وفرقهم في البلاد[3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٣] في مخاطبة [illegible] مكة ومن [illegible].

والمعنى: أكفاركم -معشر قريش- خير من أولئكم الذين أهلكناهم من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون، فهم بأشد أو أقوى من [illegible] على كفر [illegible] بالكفر بالله والكفر [illegible] بسبب تلك الأمم [illegible] وعاقبة [illegible] تزايد [illegible][4].

قال في الكشاف: [illegible] ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا أهل مكة خير من أولئكم الكفار المعدودين: قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وآل فرعون، أي: أهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا؟ أو أقل كفراً وعناداً؟ يعني: أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم. أم أنزلت عليكم -يا أهل مكة- براءة في الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمناً من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة[5].

خامساً: المقابلة بين ما عند الله وحطام الدنيا:

وقد وردت بعض آيات القرآن الكريم على [illegible] بين [illegible] إلى ما عند الله

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤/ ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) التفسير المنير ٢٥/ ٢٣٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٧٩.

(٤) جامع البيان للطبري ٢٧/ ١٠٧-١٠٨.

(٥) الكشاف ٤/ ٤٤٠.

من الأمر بالقراب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

أيها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الدنيا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عند الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الدنيا والأمر [illegible] [illegible] في الآخرة [illegible]

ثم [illegible] -تعالى ذكره- فرق ما بين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الدنيا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يوم القيامة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأعمال [illegible] [illegible]

[illegible] بقضه»[١].

قال ابن عطية: «أخبر تعالى أن ما عند [illegible] من نعيم الجنة ومراتب الآخرة خير لمن [illegible] [illegible] [illegible] الدنيا [illegible] الآخرة [illegible] [illegible] [illegible] الإنسان [illegible]»[٢].

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الجمعة: ١١].

[illegible] الآية كما قال الطبري: «قل لهم يا محمد: الذي عند الله من الثواب لمن [illegible] [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] يوم الجمعة إلى أن يفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها خير له من اللهو ومن التجارة [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]»[٣].

[illegible] [illegible] في [illegible] من [illegible] [illegible] التجارة [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الجمعة.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يوم الجمعة [illegible] [illegible] [illegible]

---

(١) جامع البيان للطبري [illegible].
(٢) المحرر الوجيز [illegible].
(٣) جامع البيان [illegible].

يوحنا(١).

ولا ريب في أن ذلك يشمل كل عمل يأتي من طلب ما عند الله تعالى.

سادساً: المقابلة الفاسدة بين خلق إبليس وخلق آدم:

تحدث القرآن الكريم عن قصة خلق آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له، وتكبر إبليس -عليه اللعنة- وامتناعه عن السجود زاعماً أنه خير منه لأنه خلق من نار وآدم من طين.

قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٢).

وادعاء إبليس هذه الخيرية أقبح باطل من وجوه كثيرة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال رحمه الله: «حجة إبليس في قوله ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ باطلة؛ لأنه عارض النص بالقياس، ولهذا قال بعض السلف: أول من قاس إبليس، ويظهر فساده بالعقل من وجوه خمسة:

أحدها: أنه ادعى أن النار خير من الطين، وهذا قد يمنع؛ فإن الطين فيه السكينة والوقار والاستقرار والثبات والإمساك، وفي النار الخفة والحدة والطيش، والطين فيه الماء والتراب.

الثاني: أنه وإن كانت النار خيراً من الطين، فلا يجب أن يكون المخلوق من الأفضل أفضل؛ فإن الفرع قد يختص بما لا يكون في أصله، وهذا التراب يخلق منه من الحيوان والمعادن والنبات ما هو خير منه.

الثالث: أنه وإن كان مخلوقاً من طين، فقد حصل له بنفخ الروح المقدسة فيه ما شرف به، حتى أمر بالسجود لما نفخ فيه من روحه تعالى، فالموجب للتفضيل هذا المعنى الشريف الذي ليس لإبليس مثله»(١).

وقال أبو زهرة: «إبليس في هذا غافل ووضع ما لا دليل له فيه، على معرفة أنا خلقته فهو أن الله تعالى خالق النار وخالق الطين، وما في ذلك كانت فيما خلق الله تعالى وهو الذي اختار النار له واختار الطين لآدم، واختار أن يسجد إبليس لآدم الذي هو من طين، فكيف يعترض عليه بحكمه؟!».

وإن هذا ضلال في التفهيم وخطأ في الإدراك، وإنه قال بعض العلماء: أقسم العالمين خلقه إبليس، وخرجه أن النار خير من الطين، ولو سلمنا بذلك، فمن أين أن ما هو من خير لا دليل عليه بل الدليل والقضية لأن الطين أخرج الله به الذهب والكثير من الذهب الزروع والثمار والأشجار والنخيل والتي خلقتم أهل الأرض، والماء يزول عليه

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٦).

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/ ٢٠٤).

فإنه يكون [illegible] الإنسان والحيوان والنار [illegible] الطين [illegible] النار [illegible].

سابعًا: المقابلة المتعمدة بين فرعون وموسى:

ادعى فرعون عليه لعنة الله أنه خير من موسى عليه السلام، لما له من ملك وسلطان [illegible] وبيان لسانه.

قال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢].

قال الطبري: فيقول -تعالى ذكره- مخبرًا عن قيل فرعون لقومه بعد احتجاجه عليهم بملكه وسلطانه وبيان لسانه وتمام خلقه، وفضل ما بينه وبين موسى بالصفات التي وصف بها نفسه وموسى: [illegible] ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ [illegible] الملك والأشراف [illegible] لسانه [illegible][1].

وقال القاسمي: [illegible] بكونه مهينًا [illegible] ضعيف الحال، وبقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ حبسة كانت في لسانه[2].

وقال ابن كثير: [illegible] فرعون عليه اللعنة [illegible] أنه خير من موسى عليه السلام، وقد كذب في قوله هذا كذبًا بينًا واضحًا، فعليه لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة[3].

[illegible] فرعون [illegible] من نبي الله [illegible] موسى عليه السلام [illegible] فرعون [illegible] في حق موسى عليه السلام [illegible] ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.

والإشارة هنا للتحقير، والمهين -بفتح الميم-: الذليل الضعيف، [illegible]

وأشار بقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ إلى ما كان في نطق موسى من الحبسة والفهاهة [illegible] مقام الاستدلال [illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] تفسير القرآن العظيم [illegible]

فيكفي أن يكون همّنا على إصلاح أنفسنا، وقد أراد الله [illegible] (المسلم [illegible]).

ثانيًا: المقارنة الشاسعة بين مقام أهل الشرك ومقام أهل الإيمان في الدنيا.

وذلك عندما اغتر المشركون بمالهم وديارهم وتعالوا على المؤمنين الفقراء وقالوا لهم [illegible] قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣].

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن الكفار حين تتلى عليهم آيات الله ظاهرة الدلالة بينة الحجة واضحة البرهان، أنهم يصدون ويعرضون عن ذلك ويقولون مفتخرين على الذين آمنوا ومحتجين على صحة ما هم عليه من الدين الباطل بأنهم: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ أي: أحسن منازل وأرفع دورًا ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ وهو مجتمع الرجال للتحدث، أي: ناديهم أعمر وأكثر واردًا وطارقًا، يعنون: فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل، وأولئك الذين هم مختفون مستترون في دار الأرقم بن أبي الأرقم ونحوها من الدور على الحق؟!

عن ابن عباس قال: المقام: المسكن، والندي: المجلس، والنعمة، والبهجة التي كانوا فيها(٢).

وهذا الذي أعطاهم الله إياه من النعيم في الدنيا ليس الكرامة لهم إنما [illegible] هو استدراج.

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

قال في الظلال: [illegible] أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجًا لهم إلى المعاصي، واستدراجًا [illegible] بحسبونه مسارعة لهم في الخيرات [illegible] ولكن [illegible] لا يشعرون(٣).

كما أن نعيم الدنيا لا قيمة له إذا كان صاحبه من أهل النار يوم القيامة فقد جاء في صحيح مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟

---

(١) التحرير والتنوير [illegible]

(٢) تفسير القرآن العظيم [illegible]

(٣) [illegible]

فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»[1].

الحث على فعل الخير في القرآن

تعددت طرق القرآن الكريم في الدعوة إلى الخير، والاستزادة منه، والحث عليه؛ فتارة يأمر بفعله، وتارة يثني على أهله، وأخرى يعد على فعله الثواب الجزيل.

والتفصيل من ذلك في النقاط الآتية:

أولًا: الأمر بفعل الخير:

ورد في بعض آيات القرآن الكريم الأمر بفعل الخير أمرًا مباشرًا، قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

أي: بادروا -أيها الناس- إلى الصالحات من الأعمال والقرب إلى ربكم[1].

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

«اللام في (ولتكن) هي لام الأمر، أي: لتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[2].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

قال القطب: أقوله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا

---

[1] جامع البيان للطبري (٣/١٩٦).

[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٩١).

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة المنافقين وأحكامهم، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤسًا في الجنة، (٤/٢١٦٢) (رقم ٢٨٠٧).

﴿الْخَيْرَاتِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible][1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

[illegible] إبراهيم عليه السلام [illegible] [illegible]

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي: [illegible] [illegible]

ثانيًا: الثناء على أهله.

[illegible] القرآن [illegible] في الدعوة إلى الخير [illegible] [illegible] [illegible]

قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].

قال الطبري: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي: [illegible] [illegible] [illegible][2].

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

[illegible] ﴿يُسَارِعُونَ﴾ [illegible]

---

[1] مفاتيح الغيب [illegible]

[illegible]

[2] جامع البيان [illegible]

في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ومعنى الآية: أن هؤلاء الذين [illegible] [illegible]

[illegible]

قال صاحب الكشاف: ﴿[illegible]﴾ يحتمل معنيين:

[illegible]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [illegible]

[illegible]

النتيجة العظمى[illegible]

الثالثة: الوعد بالثواب الجزيل:

[illegible]

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٥٤-٥٥).

[illegible]

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (القصص: ٨٠).

والآية الكريمة واردة في سياق الحديث عن قصة قارون، الذي آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة.

[illegible]

[illegible]

قال الطبري في معنى الآية: «يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بالله حين رأوا قارون خارجًا عليهم في زينته، للذين قالوا ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ اتقوا الله وأطيعوه، ثواب الله وجزاؤه لمن آمن به وبرسله، وعمل بما جاءت به رسله من صالحات الأعمال في الآخرة، خير مما أوتي قارون من زينته وماله»(١).

وقال الشارع أيضًا مبينًا أن أقل خير لن يضيع عند الله تعالى.

قال عز وجل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

والمعنى: فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير فإنه يرى ثوابه كذلك، وهذا حث لأهل الدنيا على العمل بطاعة الله والزجر عن معاصيه.

قال صاحب التفسير المنير: «والمراد: أي: فمن عمل شيئًا ولو كان مثقال ذرة يجده يوم القيامة في كتابه ويلقى جزاءه فيفرح به، أو يراه بعينه معروضًا عليه»(٢).

[illegible]

الإحسان إلى الطرح الثاني: المسابقة المسارعة

---

(١) جامع البيان (١٩/ ٦٢٩).

(٢) التفسير المنير، للزحيلي (٣٠/ ٣٩٠).

داود عليه السلام

عناصر الموضوع

التعريف بداود عليه السلام ٢٥٨
ذكر داود عليه السلام في القرآن الكريم ٢٦١
فضائل داود عليه السلام ٢٧٣
داود وبنو إسرائيل ٢٨٦
آيات داود عليه السلام ٢٩٠
داود عليه السلام والفتنة ٢٩٩
فوائد من قصة داود عليه السلام ٣١٢

التعريف بداود عليه السلام

أولاً: نسب داود عليه السلام:

ورد اسم داود في القرآن علماً على نبي الله، وهو اسم عبري، ونسبه كما ذكر أهل التاريخ[1] هو: داود بن إيشا بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن إرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

وبالاطلاع على ما ذكره المؤرخون من نسب داود نجد أن فيه اختلافاً [illegible] لا يكاد يذكر في إسم أو إسقاط بعض [illegible] بسبب النسخ أو التصحيف في المطبوع، فضلاً على أن جل هذه الأسباب لا تستند إلى دليل يمكن الجزم به [illegible] الإسرائيليات.

ومما يلاحظ في نسب داود عليه السلام أن بينه وبين أبيه إبراهيم الخليل [illegible] (Dawid)[2].

وأما في [illegible] فهو [illegible][3].

معنى اسم داود:

اسم (داود) عند علماء العربية [illegible] الأصفهاني [illegible] في القرآن ﴿[illegible]﴾ [ص: ١٧].

[illegible][4].

---

(1) انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري ١/ ٢٧١، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١/ ١٧٤، البداية والنهاية، ابن كثير ٢/ ٢٠٠.

(2) انظر: [illegible] الأصفهاني [illegible] / ٢٣.

(3) انظر: الكتاب المقدس، سفر صموئيل الثاني.

(4) انظر: [illegible] الأصفهاني ١/ ٢٣٩.

ثانيًا: عمر داود عليه السلام:

ذكر ابن جرير في تاريخه[1] أن بعض أهل الكتاب زعم أن عمر داود كان سبعًا وسبعين سنة، [illegible] ابن كثير في البداية والنهاية وقال: هذا غلط مردود عليهم[2].

ورغم أن ابن جرير ذكر [illegible] فقال: عمره فيما ورد به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة سنة[3].

ويحتمل أنه ذكر ما ورد عن بعض أهل الكتاب [illegible] ويحتمل أنه [illegible] الواردة فيها بأن عمر داود مائة سنة.

ولا شك أن الصواب في عمر داود عليه السلام ما صرح به الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه مائة سنة، فقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلًا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال: أي رب من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، فقال: رب كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته»[4].

وممن صحح الحديث ابن الأثير في الكامل قال: [illegible] عمر داود أنه توفي وله مائة سنة صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم[5].

ثالثًا: وصف داود عليه السلام:

جاء عن وهب بن منبه أنه قال: كان داود عليه السلام قصيرًا، أزرق العينين، قليل الشعر،

---

[1] تاريخ الأمم والملوك للطبري (١/[illegible]).
[2] البداية والنهاية (٢/١٩).
[3] تاريخ الأمم والملوك للطبري (١/[illegible]).
[4] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف [illegible] رقم [illegible]. قال الترمذي: هذا الحديث حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الجامع [illegible] رقم [illegible].
[5] الكامل في التاريخ (١/[illegible]).

[illegible] الكتاب عليه⁽¹⁾.

رابعًا: وفاته:

قيل: إنه مات عليه السلام [illegible] في أرض [illegible]⁽²⁾ يوم السبت، وقيل الأربعاء⁽³⁾، [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] أبي هريرة السابق.

[illegible] وفاته عليه السلام [illegible] أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]⁽⁴⁾ [illegible] [illegible] ابن كثير في البداية والنهاية [illegible].

---

(1) انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري (١/ [illegible])، الكامل في التاريخ، ابن الأثير (١/ [illegible])، البداية والنهاية، ابن كثير (٢/ [illegible]).

(2) قال ابن عاشور في التحرير والتنوير [illegible]

(3) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٢/ [illegible]).

(4) أخرجه أحمد في مسنده [illegible] برقم [illegible].
قال ابن كثير في البداية والنهاية: إسناده جيد [illegible]

ذكر داود عليه السلام في القرآن الكريم

ورد ذكر داود عليه السلام في القرآن الكريم (١٦) مرة في (٩) سور، وأما قصته عليه السلام فقد وردت في السور الآتية:

السورة	الآيات
البقرة	٢٥١
الأنبياء	٧٨-٨٠
ص	١٧-٢٦، ٣٠

اختصاص داود عليه السلام

وهب الله عز وجل داود عليه السلام عدة فضائل منها:

أولاً: الجمع بين النبوة والملك:

كان داود عليه السلام نبياً بدلالة القرآن الكريم، وذلك في أكثر من موضع ذكر فيه داود مع إخوانه الأنبياء في سياق واحد في [illegible].

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ [illegible] وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (النساء: ١٦٣)

وقال: ﴿[illegible] كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ [illegible]﴾ (الأنعام: ٨٤)

وذكره الله تعالى في معرض تفضيل الأنبياء فقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (الإسراء: ٥٥)

كما نص الله في القرآن على إيتائه الزبور، فقال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (النساء: ١٦٣)

فذكر الله تعالى داود ضمن أنبيائه في سياقات مختلفة، يدل على [illegible] من اصطفاء الصالحين معهم كما جاء النص بإيتائه الزبور، وهو دليل مستقل يشير إلى إرساله، وبعد ثبوت نبوته، ثبت أن الله قد أعطى داود من المعجزات الأخرى التي رافقت نبوته. قال الفخر الرازي في تفسيره: "لا شك أن داود عليه السلام كان من أكابر الأنبياء والرسل"[1].

وقال السعدي في تفسيره: "داود وسليمان من خواص الرسل، وإن كانا دون درجة أولي العزم الخمسة، لكنهم من جملة الرسل الفضلاء الكرام الذين نوه الله بذكرهم، ومدحهم في كتابه مدحاً عظيماً"[2].

والملك في حالة نبي الله داود عليه السلام [illegible] من الأنبياء الكرام، أن وهب الله [illegible] مع النبوة، فهو أول من جمع الله له بين النبوة والملك من الأنبياء [illegible] من أنبياء بني إسرائيل، [illegible] للمجتمع الإسرائيلي.

قال ابن كثير في البداية والنهاية بعد أن بين أن قتل داود لجالوت هو سبب حب بني إسرائيل لداود، [illegible] الله له بين الملك والنبوة بين خيري الدنيا والآخرة، وكان الملك يكون في سبط والنبوة في سبط آخر، فاجتمع في داود هذا

---

(١) مفاتيح الغيب [illegible].

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ١٠٦.

يوسف[١].

وقال القاضي الحنبلي في تفسيره: [illegible] السلطة والقوة لأحد قبل طالوت بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط[٢].

وقد كان ملك بني إسرائيل [illegible] قبل ذلك، فكان الملك في جماعة والنبوة في آخرين، كما روى ابن عباس: كان في بني إسرائيل سبطان، أحدهما للنبوة والآخر للملك، فلا يبعث نبي إلا من الواحد، ولا ملك إلا من الآخر[٣]. فكان طالوت أول من جمع الله له بين الملك والقوة في بني إسرائيل[٤].

وكان أول ملك ملكه بنو إسرائيل على أنفسهم هو شاؤول[٥]، وجاء في العهد القديم في سفر صموئيل الأول: [illegible] إسرائيل[٦].

وشاؤول هو نفسه طالوت الذي نصبه الله ملكاً على بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (البقرة: ٢٤٧).

ويقول الأستاذ [illegible] عن الاسم العبراني له: والوارد في التوراة [illegible] في القرآن باللفظ العربي له (طالوت) [illegible] اللفظ في المعنى، وليس هذا محل التوسع في ذلك، وحسبنا أن نعلم أن ملكاً على بني إسرائيل اسمه شاؤول في التوراة اسمه الوارد في القرآن طالوت[٧].

وبعدما جاء طالوت ملكه بنو إسرائيل عليهم داود[٨]، وقد أخبر قبل ذلك عندما قتل جالوت.

وفي موضع آخر من القرآن جاءت الإشارة إلى الله عز وجل [illegible] في الأرض، فقال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (ص: ٢٦).

ويشير هذه الآية السعدي[٩]: [illegible] في الأرض[١٠].

---

[١] البداية والنهاية [illegible].
[٢] [illegible] تفسير [illegible].
[٣] انظر: تفسير [illegible].
[٤] انظر: [illegible].
[٥] انظر: [illegible].
[٦] الإصحاح ٩.
[٧] انظر: [illegible].
[٨] انظر: جامع البيان للطبري [illegible].
[٩] انظر: المصدر السابق [illegible].
[١٠] [illegible].

وفي ذلك السياق جاء التوجيه الرباني [illegible] في طريقة حكمه في الأرض، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible]

الأول: هل كان داود ﷺ [illegible] جالوت؟

[illegible]

قال تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ [illegible]﴾ [illegible].

[illegible]

[illegible]

وعلّق الفخر الرازي القول بتقديم ملكه على نبوته: بأن الرأي في الترتيب العائد إليه تقديم المُلك في الآية [illegible] لأن [illegible] في الذكر لأن أعلى حالاً، وأعظم شأناً(١).

وقال الفخر الرازي في تفسيره: «قال بعضهم: [illegible] يدل على أن داود حين قتل جالوت آتاه الله الملك والنبوة وذلك لأنه تعالى ذكر إيتاء الملك والنبوة عقيب ذكره القتل [illegible] وترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بكون ذلك الوصف علة لذلك الحكم»(٢).

وأما في مدة ملك داود فقد كانت مدته أربعين سنة كما ذكر ابن جرير وابن الأثير في تاريخيهما(٣).

وعقب على ذلك ابن كثير في البداية والنهاية بقوله: «وهذا قد يقبل نقله لأنه ليس عندنا ما ينافيه ولا ما يقتضيه»(٤).

ونلاحظ أن ابن كثير دقيق في عبارته [illegible] لا [illegible] إلا [illegible].

وأما [illegible] في تحديد وقت ملكه فلا فائدة من ذلك [illegible] أنه ملك [illegible] له النبوة والملك، واستمر ملك داود عليه السلام إلى حين وفاته.

وقد أثنى الله على ملك داود ووصفه بقوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ [ص: ٢٠] فكان ملكاً [illegible] من الله عز وجل.

ومعنى ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قويناه، وتحديد معنى القوة في أقوال العلماء قيل: إنه شدة ملكه بالجنود والرجال، وهو قول السدي(١).

وقيل: شدة ملكه بأن أعطي هيبة من الناس له لقضية كان قضاها، وهو قول ابن عباس(٢).

وقال الطبري عقب ذكره الأقوال: فأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أنه شدد ملك داود، ولم يحصر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له، ولا على هيبة الناس له دون الجنود، وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ما ذكرنا، وجائز أن يكون كان بجميعها، ولا قول أولى من ذلك بالصحة من قول الله، إذ لم يحصر ذلك على بعض معاني التشديد خبر يجب التسليم له(٣).

وقال ابن العربي في أحكام القرآن: [illegible] أن معنى شددنا ملكه بالعز والنصرة [illegible]

---

(١) مفاتيح الغيب [illegible].
(٢) [illegible].
(٣) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري [illegible]، والكامل في التاريخ لابن الأثير [illegible].
(٤) [illegible].
(٥) البداية والنهاية [illegible].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره [illegible].
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره [illegible].
(٣) جامع البيان [illegible].

ولا يقع السياق الكثير الفاظه على غير منصور وغير مغلّ(1).

وقال ابن كثير في تفسيره: «أي: جعلنا له ملكًا كاملًا من جميع ما يحتاج إليه الملوك»(2).

وقال الطاهر ابن عاشور: «شدّ الملك هو تقوية ملكه وسلامته من أضرار ثورة فيه ومن غلبة أعدائه عليه في حروبه»(3).

والذي يظهر من الجمع بين الأقوال - كما ذهب إليه ابن جرير - أنه يشمل ذلك كله في شدة ملكه وقوته له مما يؤخره.

ثانيًا: إيتاؤه الزبور:

لقد تفضل الله على داود عليه السلام بأن آتاه الزبور، وهو كتاب الله عز وجل المنزل على داود، وقد جاء ذكر الزبور ونسبته لداود كتابًا من الله تعالى عليه السلام في القرآن والسنة.

فالزبور هو كتاب الله الذي أنزله على داود عليه السلام.

قال ابن الأثير في النهاية: «الزبور: اسم الكتاب الذي أنزله الله إلى داود عليه السلام»(4).

وجاء ذكر إيتاء الله الزبور لداود عليه السلام في موضعين من القرآن، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء: ١٦٣]

وقال عز وجل: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥﴾ [الإسراء: ٥٥]

وقد جاءت آية سورة النساء في سياق ذكر الله الأنبياء وجميع عليهم، وهذا أول موضع يرد فيه اسم كتاب داود عليه السلام في القرآن الكريم.

معنى الزبور ونزوله على داود عليه السلام:

اختلف أهل اللغة في المقصود بالزبور هل هو اسم علم على كتاب داود عليه السلام أو وصف؟ ويستطيع أن الراجح أنه علم على كتاب الله الذي أنزله على داود عليه السلام، وعلى ذلك جملة من الأدلة، وسيأتي إيرادها بعد التعريف على معنى لفظة الزبور ومعناها في المعجم العربي، وورود معاني القرآن الكريم.

إن مادة (زبر) في المعاجم العربية تأتي بمعانٍ منها: زبره بالحجارة أي رماه بها، وزبر الكتاب يعني: وضع بعضه فوق بعض، أي: وضعه رصفًا، وزبره عن الأمر يعني منعه ونهاه، والأصل فيها لفظة، عند زبر يعني

---

(1) أحكام القرآن ٤/٤٦١.
(2) تفسير القرآن العظيم ٧/٥٠.
(3) التحرير والتنوير ٢٣/٢٢٩.
(4) النهاية ٢/٢٩٤.

[illegible] الكتابة [illegible] الكتاب يعني كتبه، [illegible] وهذا هو المعنى [illegible] في مادة زبر(١)، [illegible] المفسرون (الزبور) بمعنى: المكتوب(٢).

قال ابن عطية: [illegible] الزبور على [illegible] داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام، [illegible] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)(٣).

هذه الآية السابقة من سورة الأنبياء [illegible] على نسبة الزبور لداود، [illegible] المفسرون(٤) في تحديد المقصود بالزبور فيها، فمنهم من [illegible] كتاب داود [illegible]

[illegible]

وسيأتي ذكر الآيات الدالة على نسبة الزبور لداود.

وقد وردت كلمة (الزبور) في القرآن في أكثر من موضع، ومن أصرحها في نسبة الزبور لداود قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (الإسراء: ٥٥).

وفي كلمة (الزبور) قراءتان [illegible] حمزة وخلف بضم الزاي (زُبورا) والباقون بفتح الزاي (زَبورا)(١). [illegible]

[illegible] ابن جرير في تفسيره [illegible] داود [illegible] زبورًا [illegible](٢).

وقال ابن أبي مريم في الموضح: [illegible]

أحدهما: أنه يكون جمع زبر، [illegible]

الثاني: أنه يكون زبور بالضم جمع زبور [illegible]

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور [illegible]

(٢) انظر: [illegible]

(٣) انظر: [illegible]

(٤) انظر: تفسير القرآن، السمعاني [illegible]

(١) انظر: التيسير، الداني [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) جامع البيان [illegible]

اسم لهذا الكتاب المخصوص(١).

وأما بفتح الزاي فيكون بمعنى: وآتينا داود الكتاب المسمى (زبورا). قال ابن أبي مريم في الموضح: «ويفتح الزاي وهو الظاهر، فإن (زبورا) بمعنى مزبور، وهو اسم لهذا الكتاب المخصوص»(٢).

فيكون اسمًا للكتاب الذي نزل على داود، كما سمي الكتاب الذي أنزل على موسى بالتوراة، والذي نزل على عيسى بالإنجيل، والذي نزل على محمد عليهم الصلاة والسلام (الفرقان)، ولأن ذلك هو الاسم المعروف به ما أوتي داود(٣).

قال مكي بن أبي طالب في الكشف: «حجة من قرأ بالفتح أنه المعروف أنه ما أوتي داود صلى الله عليه وسلم أولى، كما أن اسم الزبور، كالتوراة، والإنجيل، والفرقان، فهو كتاب واحد أنزل ثم، فالفتح أولى به، لأنه اسم للكتاب، واحد، وهو الاختيار، لصحة معناه، ولأن عليه الجماعة»(٤).

واختار السمرقندي(٥) أن القراءتين بمعنى واحد، وهو عبارة عن الكتاب.

وجاء في المعجم الأساسي أن (الزبور) هو علم عربي -ليس له قبيلة عبرية- على كتاب داود عليه السلام، وأنه (زبور) بمعنى (مزبور) بالنظر إلى ما تحتويه هذه الكتب (التسابيح) خطابات وابتهالات تعيد أمر العبيد فيها بمعنى مطلق الكتاب، وإلا فما نبين وحي الله على داود باسم علم يختص به من دون كتب الله على رسله كما اختص باسمه العلم كل من التوراة والإنجيل والقرآن، وإنما أريد له معنى مضاف بزيده عن غيره من الكتاب المكتوب، إنه كتاب (التسابيح) خطابات(١).

واسم كتاب داود في ترجمات العهد القديم هو (سفر المزامير) وهو كذلك في الكتاب المقدس الموجود الآن، وأما في النص العبراني فإن اسمه (سفر تهليم) أي: سفر التسابيح، وعليه فالترجمة العربية الدقيقة لاسم هذا السفر (سفر التسابيح) أو (سفر التهاليل)(٢).

وقد أشار الله على فضل داود وكتابه الزبور، فقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

---

(١) الموضح في وجوه القراءات وعللها (١/ ٤٣٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٧/ ٦٨٩).

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (١/ ٤٠٣).

(٥) تفسير السمرقندي (١/ ٤٠٤).

(١) المعجم الأساسي (ص ٥٨٥، ٥٨٦).

(٢) انظر: المصدر (٢/ ١٤٣) وما بعده [illegible]

قال ابن كثير: (قوله: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [illegible] على نفسه وغيره)(1).

وثبت بالأحاديث ما يدل على أن اسم الزبور لكتاب الله في عهد داود، فقد أخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب في القرآن: (والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، إنها السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أعطيته)(2).

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل)(3).

بل ورد في الحديث تحديد وقت نزول الزبور، فقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير عن واثلة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان)(1).

وقد نزل الزبور على داود عليه السلام بعد أن انقسمت بنو إسرائيل عليه كما نص ابن حزم في الفصل(2).

حجم الزبور ومحتواه:

نقل السمرقندي في تفسيره عن مقاتل قال: (الزبور مائة وخمسون سورة، ليس فيها حكم ولا فرائض، إنما هي ثناء على الله عز وجل)(3).

وهو كذلك في ما هو بين أيدي أهل الكتاب ضمن كتابهم المقدس الذي يسمى بالمزامير [illegible].

وأنسب ما يقال في هذه المزامير التي بين أيدي أهل الكتاب أن بعضها قد ينسب إلى داود، وينسب بعضها لابنه سليمان، كما ينسب بعضها لرجل يدعى آساف، وغير أولئك الذين [illegible] ويقطع الآخر [illegible](4).

---

(1) تفسير القرآن العظيم [illegible].

(2) أخرجه أحمد في مسنده [illegible] رقم [illegible]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [illegible].

(3) أخرجه أحمد في مسنده [illegible] رقم [illegible]، وحسنه الألباني في صحيح الجامع [illegible] رقم [illegible].

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [illegible]، وحسنه الألباني في صحيح الجامع [illegible].

(2) تاريخ الأمم والملوك للطبري [illegible].

(3) تفسير السمرقندي [illegible].

(4) [illegible]

ولا يتعدى على وجه التحقيق أي المزامير التي أنها عائدة (إليه) في ترجمات العهد القديم مسيرة (سفر المزامير) بكلا من (المزامير داود)[1].

ويشكك كذلك القرينة المطبوعة من الكتاب المقدس للغة العربية فإنه في سفر المزامير يصدر بعضها بقولهم: مزمور لداود كما في المزمور رقم (3 و5 و6 و8 و11 و14 و28 وغيرها) بينما بعضها عن تسميته ببعضها لسيرة الغير داود كما في المزمور (72) كتب: مزمور للنبي سليمان.

وأما في المزمور (73-83) كتب: مزمور لآساف. بل ونسبوا لآساف التي علم بموجب؟

وأما محتوى الزبور: فقد تميز عن غيره من كتب الله في محتواه فقد كان فيه التسابيح والتهليل، وليس فيه شيء من الحلال أو التكاليف، إنما هي في التوراة والإنجيل والقرآن، وهو قول بعض أهل العلم.

عن الربيع بن أنس قال: الزبور ثناء على الله عز وجل وتحميد وتسبيح[2].

ومن هنا قالوا: كما تحدث أن الزبور عهد علمه داود عليه السلام، وتحميد وتمجيد الله عز وجل، ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود[3].

وقال القرطبي في تفسيره: الزبور: كتاب ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود، وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد[4].

ومما يؤيد ذلك ما يلي من وحي الله على داود «[illegible]» مساعر في أيدي أهل الكتاب في العهد القديم[5].

ولقد وهب الله داود عليه السلام سرعة قراءة كتابه فقد أخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خفف على داود القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يده»[6]. والمراد بالقرآن هنا مصدر القراءة لا القرآن المعهود لهذه الأمة كما قاله ابن حجر في فتح الباري[7].

---

[1] [illegible] العهد القديم [illegible] انظر: المعلم الأسيسي (2/182).

[2] أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (4/1118).

[3] أخرجه الطبري في تفسيره (6/379)، وابن أبي حاتم في تفسيره [illegible].

[4] الجامع لأحكام القرآن [illegible].

[5] انظر: المعلم الأسيسي (2/182).

[6] أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وآتينا داود زبورا) (3417).

[7] فتح الباري [illegible].

ثالثًا: إيتاؤه العلم والحكمة:

آتى الله نبيه داود عليه السلام ملكه العلم والحكمة في أكثر من موضع في القرآن، وهذه الآيات تبين عظمة هذا، يجمع الله له بين العلم والحكمة، ولقد جاء ذكر العلم فضلًا وكثرة الحكمة فقط.

أما الجمع بين العلم والحكمة فجاء في آية واحدة، قال تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ (البقرة:٢٥١).

وجاء ذكر العلم دون الحكمة لداود في آيتين:

قوله تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء:٧٨-٧٩).

ففي هذه الآية امتدح الله سليمان عليه السلام في إصابته في القضاء في الحكم، إلا أن الله لم يلم داود بل امتدحه الله بأنه آتاه العلم والحكمة كما أعطاه سليمان، ولولا الآية وردت في سياق تأييد الحكم لسليمان عليهما السلام، أفهم الله تعالى بمقام القضية لهذا لئلا يتوهم الإنقاص من قدر داود عليه السلام، وبعد لما حسن ورد تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم من عدم كونه حكم داود عليه السلام حكمًا موافقًا للصواب[1].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النمل:١٥).

وأما التي ذكر فيها إيتاء الحكمة دون العلم فهي آية واحدة:

قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ (ص:٢٠).

فالمتأمل في الآيات السابقة يجد أن الله أعطى لداود أنواع العلم والحكمة، فما المقصود بالعلم؟ وهل هو علم خاص بهما أو مشترك مع باقي الخلق؟ وما المقصود بالحكمة؟

١. العلم:

تعددت الأقوال في المراد بالعلم الذي أوتيه داود عليه السلام، وأساس الخلاف هل هو علم اختص الله به داود عليه السلام أم علم كباقي العلوم التي يمكن للناس أن يؤتوا مثله؟

فقيل: هو الفهم، وهو قول قتادة[2].

وقيل: هو علم بالدين والحكم وغيرهما[3].

وقيل: طائفة من العلم وهو علم الحكم

---

[1] انظر: محاسن التأويل، القاسمي (١١/ ٢٧٣)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٧/ ١١٧).

[2] أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٨٤١).

[3] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٣/ ١٦٣).

[illegible] أي علما[1].

وذهب ابن جرير إلى أن المراد بالعلم: علم كلام الطير [illegible] وغير ذلك مما [illegible][2].

وذهب ابن كثير إلى اختصاص العلم [illegible] ولكن دون تحديد ماهية العلم، فقال في تفسيره: (علمه ما يشاء من العلم الذي اختصه به عليه السلام)[3].

وقيل: صنعة الكيمياء. [illegible] القرطبي [illegible] في الأرض [illegible][4]. [illegible] والله أعلم.

وقال ابن عاشور: [illegible][5].

وجميع ما قيل في المراد [illegible] أقوال:

الأول: [illegible]

الثاني: صنعة الكيمياء [illegible]

الثالث: [illegible]

الرابع: علم الدين.

الخامس: منطق الطير.

[illegible][6].

والذي يترجح لي -والله أعلم- أن الله [illegible] وهو الأكمل في حق داود عليه السلام [illegible] في النبوة والزبور [illegible] وأن العلم [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأنبياء: [illegible]].

[illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

الإشارة إلى [illegible] في [illegible] ابن الجوزي [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible][7].

[illegible]

[illegible][8].

[illegible][9]. [illegible]

---

[1] [illegible]

[2] جامع البيان [illegible]

[3] تفسير القرآن العظيم [illegible]

[4] الجامع لأحكام القرآن [illegible]

[5] التحرير والتنوير [illegible]

[6] [illegible]

[7] [illegible]

[8] [illegible]

[9] [illegible]

علم عظيم في ذاته، بدلالة ذكر لفظة (عظيمًا) كما جاء في آية سورة النمل[1]، ويحتمل أن يكون التنكير للتكثير[2]، ولا مانع من الجمع بينهما فهو علم عظيم وكثير، والله أعلم.

فهو إذًا علم اختص به داود عليه السلام في الجنس والكم، ولو [illegible] منه في من النطق لما كان هناك مزية له في هذا العلم دون الآخرين.

قال القشيري في آية سورة النمل: [illegible] حكم هذا الخطاب أنه تعريف بجنس من العلم لم يشاركهما فيه أحد لأنه ذكر على وجه تخصيصهما به، ولا شك أنه كان من العلوم الشرعية، ويحتمل أنه كان زيادة بيان لهما أعطاهما من إقامة [illegible] عليه وتصحيحه بالأدلة التي هو من [illegible] ويحتمل أن يكون [illegible] عليهما بأسرار الخلق على وجه الإشراف على ما كانوا يستترون به فيكون [illegible] من الله سبحانه[3].

٢- الحكمة:

كما اختلف في المراد بالعلم وقع الخلاف في المراد بالحكمة التي وهبها الله لداود عليه السلام، قيل: هي النبوة، وهو قول ابن عباس والسدي، أخرجه عنه ابن جرير[1] واختاره[2].

والثاني: إنها السنة، وهو قول قتادة والحسن[3].

والثالث: العقل في الدين، رواه عنه ابن زيد بن أسلم[4].

والرابع: الصواب، وهو قول مجاهد، أخرجه سعيد بن منصور[5].

وقال ابن الجوزي: في المراد بالحكمة ها هنا أقوال:

أحدها: النبوة.

والثاني: الزبور[6].

وفي موضع آخر قال ابن الجوزي: فيها أربعة أقوال:

الأول: النبوة قاله ابن عباس والحسن وابن زيد.

والثاني: الصواب قاله مجاهد.

والثالث: السنة قاله قتادة.

والرابع: السداد قاله السدي[7].

ورجح ابن عطية في المحرر الوجيز ذكر

---

[1] انظر: المعجم [illegible].
[2] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص([illegible]).
[3] لطائف الإشارات ([illegible]).

[1] أخرجه الطبري في تفسيره عن السدي [illegible] عن ابن عباس [illegible] ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٠٠).
[2] أخرجه الطبري في تفسيره [illegible] وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٨٠).
[3] أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٨٠).
[4] سنن سعيد بن منصور ([illegible]).
[5] زاد المسير (١/ ٣٠٠).
[6] المعجم [illegible].

ما سبق بيانه في معنى الحكمة أنها العلم النافع الذي [illegible][1].

والذي يظهر أن الله ذكر إيتاء الحكمة لنبيه داود في موضعين في كتابه الكريم، فجاء ذكر إيتاء الحكمة في سياق قتله لجالوت، قال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وجاء ذكرها أيضًا في سياق تعداد النعم التي وهبها الله لنبيه، فقال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ⑰ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ⑱ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ⑲ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ⑳﴾ [ص: ١٧-٢٠].

وباختلاف القول في معنى الحكمة في كلا الموضعين [illegible] شيئًا من [illegible]، فلا بد من التفصيل، فكل موضع [illegible] في سياقه [illegible] من معنى [illegible] الأمر في معنى [illegible] بالحكمة، [illegible] الأقوال [illegible].

ففي الموضع الأول تكون الحكمة هي النبوة، كما ذهب إليه ابن عباس والسدي [illegible] في هذه الآية [illegible] داود الملك بعد [illegible]، التي هي النبوة، فذكره العلم داخل على نبوة بني إسرائيل.

والرأي المرجح الأخير: فإن الأقوال [illegible] تحتمل المعنى [illegible] أن تكون الفهم أو الصواب أو النطق أو غيره [illegible].

رابعًا: فصل الخطاب.

امتن الله على داود بأن آتاه فصل الخطاب فقال عز وجل: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

وجاءت هذه الصفة في معرض ذكر فضائل داود عليه السلام، [illegible] أقوال المفسرين في معنى (فصل الخطاب)، فقيل فيها عدة أقوال، وهي:

علم القضاء والفهم به، ذهب إليه ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد وأبو عبد الرحمن السلمي[2].

وقيل: تكليف المدعي البينة واليمين على المدعى عليه، [illegible] الشهود والأيمان، وذهب إليه علي بن أبي طالب وشريح والشعبي وقتادة[3]، ووصف هذا

---

[1] [illegible]

[2] أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢٠/[illegible]) [illegible]

[3] أخرجه [illegible] الطبري في تفسيره [illegible]

القول الواحدي(١) [illegible] الآخرون.

وقيل: هو قوله: أما بعد، وهو قول أبي موسى الأشعري(٢)، ونسب إلى الشعبي(٣)، وأخرجه سعيد بن منصور عن زياد بن [illegible](٤).

وكل هذه الأقوال [illegible] بها أبي الله داود [illegible] اختار ابن جرير في معنى الفصل الخطاب [illegible] فقال: [illegible] الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى داود -صلوات الله عليه- فصل الخطاب، والفصل: هو القطع، والخطاب هو المخاطبة، ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه قطع المحتكم إليه الحكم بين المحتكم [illegible] بصواب من الحكم، ومن قطع مخاطبته أيضًا صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه إذا كان مدعيًا إقامة البينة على دعواه، وإن كان مدعًى عليه فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه، ومن قطع الخطاب أيضًا الذي هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء بأخرى، الفصل بينهما بأما بعد، فإذ كان ذلك كله محتملًا ظاهر الخبر، ولم تكن في هذه الآية دلالة على أي ذلك المراد، ولا ورد به خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثابت، فالصواب أن يعم الخبر كما عمه الله، فيقال: أوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب(٦).

وبهذا الترجيح من ابن جرير تكون القضية لداود أمر رأي، وهو الصواب الذي يدل عليه ظاهر القرآن، ويتوافق مع مكانة نبي الله داود عليه السلام.

خامسًا: قتله لجالوت:

[illegible] داود عليه السلام ضمن جيش بني إسرائيل بقيادة طالوت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في ذلك [illegible] داود [illegible] [illegible] بني إسرائيل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible] إلى قتل جالوت [illegible] [illegible] [illegible] بني إسرائيل [illegible] حتى قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾.

---

(١) تفسيره [illegible].

(٢) [illegible].

(٣) [illegible] الجوزي [illegible].

(٤) أخرجه [illegible].

(٥) سنن سعيد بن منصور [illegible].

(٦) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

(٦) جامع البيان ١٠/[illegible].

داود وبنو إسرائيل

كان عهد داود عليه السلام بعد موسى عليه السلام [illegible] من الزمن، قال الله تعالى في سياق قصة قتل داود لجالوت: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: [illegible]].

وقد نص ابن كثير(1) على أنه كان بين داود وموسى ما ينيف عن ألف سنة.

وقد كان قبل داود ملك بني إسرائيل طالوت كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: [illegible]].

وقد كان مجاهد ذهب إلى أن الملك في هذه الآية هو الإمرة على الجيوش لا بالملك العام(2).

وفي قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: [illegible]] [illegible] إلى وجود نبي لبني إسرائيل قبل داود وفي تحديده اختلاف بين المفسرين فقيل: شمعون(3)، وقيل: [illegible]

﴿[illegible]﴾ [البقرة: [illegible]] [illegible] أول موضع يرد فيه اسم داود في القرآن الكريم بحسب الترتيب [illegible]

فنص الله على أن داود قتل جالوت [illegible] إلى إعطاء الله الملك له والحكمة [illegible] أصبح داود ملكًا ونبيًّا لبني إسرائيل.

---

(1) تفسير القرآن العظيم [illegible].

(2) انظر: [illegible].

(3) [illegible] أخرجه ابن جرير في [illegible].

مسيح، وقيل: غيرهم[1]، وبتمجيد اسمه في جسم لنا في هذا البحث كما أنه ليس هناك دليل صحيح ينص على تمجيده.

وقد توالت الأحداث على بني إسرائيل من غير رقيب، [illegible] ثم كانت المعركة الفاصلة بين الملك طالوت ومعه داود عليه السلام وخصومهم بقيادة جالوت فرتح القتال بأمر الله ثم قتل داود جالوت، فرتفع حب داود في القلوب بني إسرائيل، وسلموا إليه، ثم آل الملك إليه مع ما منحه الله من النبوة.

فجمع الله لداود بين الملك على بني إسرائيل والنبوة.

ومما لا بد من وقفة جلية للكشف لنا حقيقة مشاهدة داود عند أهل الكتاب بما يرد في العهد القديم والعهد الجديد مع مقارنتها بما ذكره الله عز وجل من نبيه داود في القرآن الكريم ليصبح البون الشاسع بين ما اعتقد المسلمون في حق داود عليه السلام، وبين اعتقاد اليهود لأهل الكتاب.

صفات داود في القرآن والعهد القديم:

إن الأنبياء هم صفوة الخلق، وأنهم يصطفيهم الله [illegible] ولا يتصور أن [illegible] الأنبياء الله أن يرميهم بالنقائص والعيوب التي يترفع عنها بسطاء الناس فضلاً عن [illegible] فضلاً عن صفوة الخلق!

وقد اتفق اليهود ونحن [illegible] داود وهذا اتفاق لا يقلل مع ما [illegible] من الكتب لما في العهد القديم نسبة الصفات [illegible] داود عليه السلام [illegible] من تلك [illegible] ولا أدري أي تعظيم له بعد ذلك؟!

ويأبى [illegible] لصفات داود كما وردت في القرآن الكريم على وجه الاختصار[2]:

جاء في القرآن عن داود عليه السلام أنه:

- الخليفة: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦].
- صاحب الزبور: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].
- الأواب: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].
- والذي تسبح معه الطير والجبال: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٨-١٩].
- صاحب الملك والحكمة وفصل الخطاب: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].
- صاحب [illegible]: ﴿[illegible]﴾

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢٩٨).

[2] انظر: الأنبياء في القرآن والكتاب المقدس، محمد عمارة (ص [illegible]).

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (ص: [illegible])

● الحكم: إنه وصاحب الزلفى وحسن المآب: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (ص: ٢٥).

هذه صفات نبي الله داود في القرآن، وصفها لنا رب العالمين تشعر بالفخر [illegible] في ذكر هذه الصفات [illegible] إلا القلب [illegible] الأمر [illegible] بالحرج من ذكر تلك الصفات القبيحة من داود عليه السلام، والأرض على انتقاص أهل الكتاب [illegible] ما رموا [illegible] به داود عليه السلام.

ومن تلك الصفات القبيحة الواردة في العهد القديم[1] على وجه الإجمال: يصورون داود عليه السلام في صورة القاتل والزاني والقاتل بغير حق، ومتعدي الحدود، وقاطع الطريق.

ومن ذلك كلامهم على وجه التفصيل:

● اتهامه بالزنا والسرقة والقتل.

فنجد في سفر صموئيل الثاني (١١: ٢-٥) أنه: «وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا. فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد: أليست هذه بثشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي؟ فأرسل داود رسلا وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إني حبلى».

فانظر أيها القارئ لهذا الاتهام الشنيع الذي يتورع عنه العقلاء في نسبته لسائر الناس فضلا عن الأنبياء -عليهم الصلوات والسلام-، قال الطاهر ابن عاشور: «وقد حكيت هذه القصة -أي قصة داود والمرأة- في سفر صموئيل الثاني في الإصحاح الحادي عشر على نحو مخالف لما في القرآن، وعلى خلاف ما تقتضيه العصمة لنبوة داود عليه السلام في تعاطيه»[2].

● اتهامه بالقتل بغير حق.

سبق أن ذكرنا اتهام داود بالزنا بالقتل، ولاكتمال القصة الدرامية في مخيلة اليهود، زعموا أنه بعد زواج تلك المرأة [illegible] الأمر بإرساله في وجه الموت، ليموت، جاء في سفر صموئيل الثاني (١١: ١٤-١٥)

---

[1] انظر: رسالة داود وسليمان في الأسفار اليهودية [illegible] (ص ٢٦٨-٢٦٩). وانظر [illegible] داود عليه السلام في العهد القديم والقرآن [illegible]

[2] التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٣٧).

بعد أن ذكروا أن داود [illegible] الشعب لكل [illegible] -أي داود- يقولون: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت، فانظر إلى هذه الخطيئة والمكر، أيعقل هذا من نبي كريم؟! حاشا والله.

● اتهام داود بالجنون:

جاء في سفر صموئيل الأول (٢١: ١٢-١٥) [illegible] داود هذا الكلام في قلبه وخاف جداً من أخيش ملك جت، فغير عقله في أعينهم وتظاهر بالجنون بين أيديهم، وأخذ يخربش على مصاريع الباب ويسيل ريقه على لحيته.

● قاطع طريق:

تصور الأسفار اليهودية المحرفة للحقائق داود عليه السلام [illegible] إلى الفلسطينيين، [illegible] على الغارة [illegible] كما جاء في سفر صموئيل الأول (٢٧: ١-١٠).

● الخداع:

ذكروا أنه [illegible] في أحد [illegible] والقتل [illegible] وأمره أنه [illegible] داود [illegible] سفر صموئيل الأول (٢١: ١٠-١٥)؟!

وغير ذلك من صور الشنعاء التي وصموا [illegible] عليه الصلاة والسلام وعلى المرسلين.

ولقد يستغرب المرء عندما يقرأ هذه الصفات القبيحة المنسوبة لنبي الله داود من قبل اليهود ومن هذا شأنه.

ولكن ذلك يزول [illegible]: [illegible] اليهود- أنهم [illegible] ذلك في حق داود عليه السلام؛ لأن عيسى عليه السلام من [illegible] ليجعلوا السبيل إلى الطعن فيه[١].

والله أعلم.

---

[١] [illegible]

آيات داود عليه السلام

أولًا: تسخير الجبال له وتسبيحها معه:

وهب الله تعالى داود عليه السلام جملة من الآيات ومن جملتها: تسخير الجبال والطير معه قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٨-١٩]

والآيات الثلاث ما وهبه الله لداود وهي ثلاثة: تأييده بتسخير الجبال وتسبيح الطير، وإلانة الحديد، وسنتناول هذه الآيات بشيء من التفصيل.

سخر الله جل في علاه في قوله: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ أنه وهبه حتى كانت لم يبق ما وهبه من آياته ولكن لذلك إشعار للطير وغيره من خلق الله أن هذه المخلوقات هي من الله، وتسبيحها كذلك، فالتسخير والتسبيح هو من الله وحده لا من غيره.

وقيل الشروع في تسخير الجبال لداود

أين ما قيل في (الفضل) الذي ذكرت في الآية كما ذكر عند الله القرطبي في تفسيره عشرة أقوال في هذا الفضل على تسعة أقوال:

الأول: النبوة.

الثاني: الزبور.

الثالث: العلم.

الرابع: القوة.

الخامس: تسخير الجبال والناس.

السادس: التوبة.

السابع: الحكم بالعدل.

الثامن: إلانة الحديد.

التاسع: حسن الصوت[1]. انتهى مختصرًا.

والصواب -والله أعلم- أن الفضل المراد في هذه الآية هو ما ورد ذكره في نفس الآية وبينه الله من تسبيح الجبال والطير وإلانة الحديد، ولا مانع من أن يكون باقي أنواع الفضل بالإضافة إليها، وتبقى هذه الدلائل.

فهذا الفضل الذي آتاه الله داود هو فضل مطلوب، وشرط أن (الفضل) جاءت بالتنكير، وهو تنكير التفخيم[2]، كما أن لفظة (منا) تشير إلى أن الفضل من الله تعالى بلا واسطة، لتأكيد عظمته الثابتة الإضافية وتفهيمه على المشمول الصريح للاختصاص.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٦٥.

[2] انظر روح المعاني، الألوسي ٢٢/١٢٢.

بالتعظيم والتقديس والتنزيه، لتمكن في النفس مقدرة وعظمة الخالق سبحانه[1].

ومن اللطائف البلاغية في هذه الآية ما ذكره الزمخشري في الكشاف حيث قال: ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى، من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الألوهية، حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا، وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا، إشعارًا بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت إلا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على إرادته[2].

والتأمل في الآيات التي جاء فيها ذكر ما آتاه الله لداود من تسخير الجبال والطير يجد أن الآيات قد جاءت بالتسبيح بصيغة المضارع إذا ذكر تسخير الجبال، [illegible] تسخير أو تسبيح الطير، ولعل [illegible] ذكر الجبال [illegible] على ذكر الطير في الثلاث آيات، وفي [illegible] ذلك يقول الزمخشري: فإن قلت: لم قدمت الجبال على الطير؟ قلت: لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز؛ لأنها جماد والطير حيوان، إلا أنه غير ناطق[3].

وقد [illegible] ذكر تسخير الجبال لداود عليه السلام بكلمتين هما ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ كما في سورة الأنبياء وسورة ص، وبكلمة ﴿أَوِّبِي﴾ كما في سورة سبأ.

أما الكلمة الأولى فهي التسبيح معروف، [illegible] فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس [illegible] في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ قال: يصلين مع داود إذا صلى، فحمل يسبح بمعنى يصلي[4].

وقال ابن عطية في تفسير الوجيز: واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ فقالت فرقة وهي الأكثر: إن ذلك تسبيح اللسان، وقالت فرقة منهم منذر بن سعيد إلى أنه بمعنى: يصلين معه صلاة[5].

وقد يقال: لا يمنع أن يكون القولان بمعنى واحد، فالجبال تسبح مع داود أي: بقول: سبحان الله وهي أيضًا تصلي معه، أي: تعظم الله وتذكره [illegible] في صلاة [illegible] الركوع والسجود التي في [illegible] الصلاة على معناه اللغوي وهو الدعاء.

وأما ﴿أَوِّبِي﴾ فإن الفعل (أوَّب) من آب يؤوب، والأوب الرجوع [illegible][6]، قال ابن جرير في تفسير ﴿أَوِّبِي﴾ [illegible]

---

[1] انظر: المصدر السابق.
[2] الكشاف (3/ 88).
[3] الكشاف (3/ 221).
[4] جامع البيان (21/ 198).
[5] المحرر الوجيز (4/ 88).
[6] انظر: تهذيب اللغة للأزهري (15/ 628).

الغرب الرحيم)[1].

قال: الجبال كانت ترجع مع داود تسبيحه كلما سبح عليه السلام يسبح وهي ترجع معه أي: تردد الذكر والتسبيح[2].

وبعد النظر في معنى ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾ أجد أن المفسرين ذكروا في معنى تأويب الجبال ثلاثة معانٍ؛ وهي: التسبيح والترجيع، والسير معه.

القول الأول: سبحي معه، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد والضحاك، أخرجه عنهم ابن جرير في تفسيره[3].

قال ابن كثير: فالصواب: سبحي معه تسبيحًا[4].

والقول الثاني: بمعنى: ارجعي معه[5].

قال ابن جرير في التفسير: ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [illegible] بمعنى: [illegible][6].

القول الثالث: بمعنى: سيري معه، ذكره ابن عطية بلا نسبة في المحرر الوجيز[7]، وهو قول أبي القاسم الزجاجي في كتاب الجمل قال: (أي: سيري معه بالنهار، والتأويب: سير النهار كله، والإسئاد: سير الليل كله)[8].

وضعفه ابن كثير في تفسيره بقوله: (وهو غريب جدًا لم أجده لغيره، وإن كان له مساعدة من حيث اللفظ في اللغة لكنه بعيد في معنى الآية هاهنا)[9].

وقول (سبحي ورجعي) يطلقان في المآل، فإن داود إذا سبح ثم سبحت معه الجبال فقد سبحت ورجعت، أي: أعادت كلامه، ولكن يشمل هذا التصرف، فإن التصرف [illegible] لما يتصرف به من كلام التسبيح، ويبقى القول الثالث، وهو بمعنى السير، وهو بعيد كما ذكر ابن كثير وغيره، وإن كان ظاهر اللفظ يحتمله، ولكن تفسير السلف على خلافه.

وعليه: فيكون الصواب في المراد بتأويب الجبال مع داود التسبيح والترجيع، بدليل الآية الأخرى التي في سورة الأنبياء ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: 79].

وأما معنى تسبيح الجبال والطير فهو على حقيقته، والله تعالى على كل شيء قدير.

قال الأمين الشنقيطي: (والتحقيق أن

---

[1] جامع البيان [illegible].
[2] [illegible].
[3] جامع البيان [illegible].
[4] تفسير القرآن العظيم [illegible].
[5] [illegible].
[6] جامع البيان [illegible].
[7] المحرر الوجيز [illegible].
[8] الجمل في النحو [illegible].
[9] تفسير القرآن العظيم [illegible].

تسبيح الجبال والطير مع داود السلام تسبيح حقيقي؛ لأن الله عز وجل جعل لها إدراكات تسبح بها، بعضها مع بعض [illegible] ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقد ثبت في صحيح البخاري أن الجذع الذي كان يخطب عليه النبي صلى الله عليه وسلم لما انتقل عنه إلى المنبر حن [illegible](1).

وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»(2).

والله أعلم.

والقاعدة عند أهل السنة أن نصوص الكتاب والسنة لا يجوز صرفها عن ظاهرها المتبادر منها إلا بدليل يجب الرجوع إليه.

والتسبيح في اللغة: الإبعاد عن السوء، وفي اصطلاح الشرع: تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله(1).

ثانياً: تسبيح الطير والترديد:

ذكر الله تعالى تسخير الطير(2) لداود عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] وقوله: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٩].

والمراد أن الله سخر الجبال والطير يسبحن مع داود إذا سبح(3)، فيكون قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ﴾ يعني: وكانت الطير يسبحن [illegible](4).

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٦/ ٦٠٢) رقم ٣٥٨٤.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (٤/ ١٧٨٢) رقم ٢٢٧٧.

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

(4) [illegible]

وجاء وصف اجتماع الطير لداود في قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 19].

قوله تعالى ذكره: وسخرنا الطير يسبحن معه محشورة يعني: مجموعة له[1] [illegible] ابن جرير[2] إلى أن معنى ﴿أَوَّابٌ﴾ [illegible]

[illegible]

ومعنى قوله تعالى: ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾ أي: [illegible][3] [illegible] التسبيح[4].

[illegible] ﴿أَوِّبِي﴾ [illegible] ترجيع [illegible]

[illegible] أو ارجعي إلى طاعته والزمي [illegible] الجمهور.

والثاني: أنها ترجع إلى الله تعالى، فالمعنى: [illegible][1].

[illegible] مزمارًا من مزامير آل داود»[2].

ثالثًا: إلانة الحديد وصنع الدروع:

خلق الله الحديد، وجعل لكل نبي [illegible]

---

[1] جامع البيان للطبري (٢٠/[illegible]).

[2] المصدر السابق.

[3] انظر: البحر المحيط لأبي حيان ([illegible]).

[4] أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠/[illegible]).

[5] أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠/[illegible]).

[1] انظر: زاد المسير ([illegible]).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن [illegible] رقم (٥٠٤٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ([illegible]) رقم (٧٩٣).

تتكيف بأشكال مختلفة وتلين بيده الشريفة.

«فالحديد تراب معدني إذا صهر بالنار [illegible] بعده ويلين، ولذلك يمكن تطويعه وتشكيله وإذابته وتصليبه»[1].

ومن فضل الله على نبيه داود أن الله ألان الحديد له بحيث يشكله كما يشاء، قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ: ١٠).

فكان الحديد في يده كالطين المبلول يصرفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار ولا ضرب بمطرقة[2]، عن قتادة قال: كان يسويها بيده ولا يدخلها نارًا، ولا يضربها بحديدة[3].

وقيل: إن المراد أن الله أعطى داود قوة يلين بها الحديد [illegible] ليس في ذاته عنصر الحديد، ولكن [illegible] داود قوة يؤثر على الحديد ويلين [illegible] ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز[4] ولم ينسبه لأحد، وذكر القولين الزمخشري في الكشاف[5].

وعلى كلا القولين فإنها آية من الله [illegible] داود عليه السلام سواء ألانت الحديد بمعجزة [illegible] يصطنع [illegible]

والقوة التي يلين بها الحديد بلا آلة تحتمل القولين، [illegible] الآية الكريمة [illegible] الحديد والله أعلم.

وما يأتي هذا قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ (سبأ: ١١) وقوله تعالى: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ (سبأ: ١١).

[illegible] الله [illegible] داود من [illegible] الحديد [illegible] في موضع آخر بأن [illegible] الآية [illegible] واختلف المفسرون في [illegible] السرد [illegible] ابن عباس[1]، وقيل: [illegible] قول مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد[2].

[illegible] ابن عباس [illegible] في [illegible] الحديد [illegible] ابن عباس [illegible] والقوة في [illegible] بأن [illegible]

والصواب أن يقال: إن الله [illegible] داود [illegible] بين [illegible] السلف في [illegible] الأصل في [illegible] الله داود [illegible] أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن عمرو

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور [illegible].
(٢) انظر: جامع البيان للطبري [illegible].
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره [illegible].
(٤) المحرر الوجيز [illegible].
(٥) الكشاف [illegible].

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره [illegible].
(٢) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره [illegible].

ابن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً)[1].

[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] صيام داود [illegible] [illegible] البخاري في صحيحه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو [illegible] [illegible] (لا صوم فوق صوم داود [illegible] نصف الدهر)[2].

[illegible] دلالة ظاهرة على قوله في [illegible]

[illegible] في الصلاة والصيام.

[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الرحمن [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] الأسباب [illegible] [illegible]

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب [illegible] [illegible] ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب [illegible]

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب [illegible] ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر [illegible]

(3) [illegible]

[illegible] ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ: ١٠) [illegible] والله أعلم بالصواب[1].

وعلى قول الشيخ السعدي [illegible] الحديد من المعجزات [illegible] داود عليه السلام [illegible] فقال تعالى: ﴿[illegible] يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ: ١٠).

[illegible]

[illegible] ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سبأ: ١١).

[illegible]

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص ٦٧٨.

(١) الجامع لأحكام القرآن [illegible]
(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره [illegible]
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) أخرجه الطبري في تفسيره [illegible]
(٦) [illegible]
(٧) [illegible]

وقوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١] هو داخل في التفصيل لما أمره الله به، قال ابن كثير في تفسيره: «هذا إرشاد من الله لنبيه داود عليه السلام في تعليمه صنعة الدروع»[1].

وأما في تحديد المراد بالتقدير في السرد فقال ابن عطية في المحرر الوجيز: «اختلف المتأولون في أي شيء هو التقدير من أشياء السرد، إذ السرد هو نسج الدروع». قال ابن زيد: التقدير الذي أمر به هو في قدر الحلقة، أي: لا تعملها صغيرة فتضعف ولا تقوى الدروع على الدفاع، ولا تعملها كبيرة فينال لابسها من خلالها.

وقال ابن عباس: التقدير الذي أمر به هو في المسمار، أي لا تجعل المسمار دقيقًا فيقلق.

وذكر البخاري في معنى ذلك قال: المعنى لا تدق المسامير فتسلس، ولا تغلظها فتفصم، وروي عن ابن عباس أنه قال: قدر المسامير والحلق على رواية.

ويرى كلمة أن الدروع كانت قبله صفائح فكانت ثقالًا، فلذلك أمر بالتقدير فيما يجمع بين الخفة والحصانة، أي: قدر ما يأخذ من هذين المعنيين بقسطه، أي: لا تقصد الحصانة فتثقل، ولا الخفة وحدها فتزيل المنعة[2].

وقال ابن الجوزي في زاد المسير: «وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: عدّل المسمار في الحلقة، ولا تصغّره فيقلق، ولا تعظّمه فتنفصم الحلقة، قاله مجاهد.

والثاني: لا تجعل حلقه واسعة فلا تقي صاحبها، قاله قتادة»[3].

ومن نعم الله سبحانه وتعالى على النبي داود تعليمه صنعة الدروع، قال جل ذكره: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

فعلم الله داود صنعة الدروع فكان يصنعها، وكان أول من صنعها، وكانت من قبل صفائح، والدرع يجمع الخفة والحصانة، فالمقصود باللبوس في الدروع[4].

وقال الشنقيطي: «والدليل على أن المراد باللبوس في الآية الدروع أنه أتبعه بقوله: ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ﴾ أي: لتحرز وتقي بعضكم من بأس بعض؛ لأن الدرع تقيه ضرر الضرب بالسيف والرمي بالرمح والسهم كما هو معروف»[5].

---

[1] تفسير القرآن العظيم ٣/٥٢٨.

[2] التسهيل لابن جزي ٣/١٧٦.

[3] زاد المسير ٦/٤٣٧.

[4] انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٦/١٨٨، الكشاف للزمخشري ٣/١٣١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١٨٤.

[5] أضواء البيان ٤/٦٨٩.

داود عليه السلام والفتنة

أولاً: حقيقة الفتنة وحادثة الخصمين عليه:

اتفق أكثر كلام المفسرين في قصة دخول الخصمين على داود عليه السلام وعلاقتها بما [illegible] أنه فتنة وظاهر النص الوارد في القرآن أنه [illegible] عند [illegible] المتخاصمين [illegible] ثم ظن داود أنه فتن [illegible] ربه وأناب [illegible] في سياق [illegible] الخصمين، وفي ذلك إشارة [illegible] مجلس التحاكم بين الخصمين.

وقد جاء ذكر فتنة داود في موضع واحد من القرآن في سورة ص، وهي سورة مكية(1).

قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: 21-25].

وقد جال بعض المفسرين في حقيقة الخصمين، وحقيقة تلك الفتنة، وارتباط الفتنة بتحاكم الخصمين، وأوردوا الكثير من الإسرائيليات في ذلك [illegible] الأنبياء [illegible] تلك الروايات [illegible] الإسرائيليات [illegible].

ولعل الراجح في تلك القصة والمراد بها [illegible]:

دخل على داود عليه السلام أشخاص أظهروا تخاصمهم في الغنم، وأظهروا النزاع فيها، وأرادوا أن يتحاكموا لداود [illegible] عليه من غير الجهة المعهودة [illegible] بكلام [illegible] ولم يسمع من الآخر [illegible] حكم [illegible] في حكمه [illegible] إلى الحق والطريق المستقيم.

[illegible] وحكم على أحدهما [illegible] الآخر [illegible] واحدة [illegible].

---

(1) انظر: [illegible].

منه صاحب الأكثر أن يتركها له، وقبله في إعطائه منه حتى أتركها أو لأنه تعالى [illegible] داود بأن صاحب الأكثر قد أخطأ في طلبه، وأنه ظالم ومن بين الشركاء إلا من اتقى الله.

وعلم داود أنه قد وقع في فتنة وابتلاء فاستغفر ربه ورجع إليه أن يكون قد وقع في زلل أو خطأ، فغفر الله له ذلك، وبين ما له عنده من منزلة ومكانة عالية.

وإلى هذا [illegible] تفسير الآيات إجمالاً، [illegible] أن يكون [illegible] الأطراف التي [illegible] في هذه القصة أو في حقيقة الخصمين والفتنة.

والنظر في حقيقة هذه القصة نجد أن ثمة مسائل [illegible] حولها كحقيقة الخصمين، ومعنى الفتنة، [illegible] المفسرين [illegible] داود، أو في حقيقة [illegible] فإن القصة [illegible] في [illegible] مع [illegible] بين الأطراف [illegible] من الارتباط والتداخل [illegible] مواقف المفسرين في ذلك يمكن [illegible] المفسرين في ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: [illegible] القصة على ظاهرها، وأن المتخاصمين اللذين دخلوا على داود هم من الإنس، وذهب إلى هذا القول القاضي[1]، وابن حزم الظاهري[2]، والفخر الرازي[3]، والسبكي[4]، وأبو حيان الأندلسي[5].

واستدل أصحاب هذا القول على أن المراد بالنعجة هو المعنى الحقيقي [illegible] وبه أبو حيان في البحر المحيط قائلاً: [illegible] ولا ضرورة تلجئنا إلى [illegible][6].

ثم اختلف أصحاب هذا المسلك في حقيقة هذا [illegible] في أربعة [illegible]:

الأول: أن [illegible] داود [illegible].

وإلى [illegible] الفخر الرازي في تفسيره[7]، وأبو حيان في البحر المحيط، [illegible] إلى ما دل عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب كانوا من الإنس، دخلوا عليه من غير المدخل، وفي غير وقت [illegible] [illegible] [illegible] إلا أنهم جاءوا في [illegible]

---

[1] انظر: أحكام القرآن لابن العربي [illegible].

[2] الفصل في الملل والأهواء والنحل [illegible].

[3] مفاتيح الغيب [illegible].

[4] في كتاب القول [illegible] في تنزيه داود [illegible] السيوطي في الحاوي [illegible].

[5] البحر المحيط [illegible].

[6] المصدر السابق [illegible].

[7] مفاتيح الغيب [illegible].

تعالى، وأن داود عليه السلام ظن [illegible] من الله له [illegible] فاستغفر من ذلك الظن، حيث أخطأ [illegible] إلى الله تعالى [illegible] ذلك الظن[1].

الثاني: أنه [illegible] الحكم [illegible] من الآخر، ولم يسمع من الطرف الآخر.

ذهب إلى هذا القول أبو عبد الله [illegible] في منهاج الدين[2].

ورمى هذا القول [illegible] في المحرر الوجيز [illegible] قال: [illegible] الروايات [illegible] من الخطأ[3].

ويوجه ابن العربي هذا القول في [illegible]

على [illegible] قال [illegible] هذا [illegible] داود [illegible] عليه [illegible] الله [illegible] إلى [illegible] في [illegible] داود عليه السلام [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] الأحكام [illegible] في الحكم بين الناس.

الثالث: أن داود [illegible] الله [illegible]

الرابع: [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

---

[1] البحر المحيط [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

[1] [illegible]

[2] [illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [ص: ٢٤].

فلا دليل على داود عليه السلام أن يكون [illegible] الله عز وجل من [illegible] الملك العظيم [illegible] بعد قول ابن حزم(١) والقاضي عياض(٢).

المسألة الثانية: أن القصة [illegible] الخصمين ملكان(٣)، [illegible] داود كانت بسبب المرأة [illegible] كناية عن المرأة [illegible] في الكامل: [illegible] الأنثى من [illegible] المرأة بالبقرة والنعجة(٤). ثم [illegible] الملائكة [illegible] قال الطبري في تفسيره: [illegible] الخصم [illegible] على داود [illegible](٥). وقال ابن عطية في المحرر الوجيز: [illegible] بين أهل التأويل(١) أن [illegible] الخصم إنما كانوا ملائكة، بعثهم الله تعالى ضرب مثل لداود عليه السلام فاختصموا إليه في [illegible] قد وقع هو في نحوه [illegible] واقع عليه في نازلة(٢).

وفي [illegible] أنهما ملكان، وأن القصة بسبب المرأة، قال الواحدي في البسيط: ظاهر القرآن يوجب أن يكون داود قد [illegible] أوريا في امرأته [illegible] تمثيل لهذه القصة(٣). وفي نفس الموضع قال: قال أهل التفسير [illegible] التأويل: [illegible] القصة [illegible] تمثيلاً لداود أمره مع أوريا، [illegible] ويرجع [illegible] بالاستغفار.

وممن ذهب إلى هذه المسألة -على اختلاف توجيههم القصة-: ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، ومجاهد والحسن، والسدي، وابن جرير، [illegible] والبغوي، والجصاص، والكيا الهراسي، والثعلبي، وابن العربي، والقاضي أبو يعلى، وابن عطية، والواحدي، والزمخشري -كما سيأتي-. والقائلون بهذه المسألة لهم [illegible] أقوال في توجيه القصة:

الأول: أن داود طلب من زوج المرأة أن

---

(١) الفصل لابن حزم [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible] البسيط [illegible]
(٤) الكامل [illegible]
[illegible]

(١) [illegible] ابن عطية [illegible]
(٢) المحرر الوجيز [illegible]
(٣) البسيط [illegible]

[illegible] ابن مسعود وابن عباس، أخرجه عنهما ابن جرير في التفسير[1] [illegible] أن قال: انزل لي عنها.

[illegible] والكيا الهراسي، والقاضي أبو يعلى، وابن العربي، والزمخشري، وابن عاشور[2].

قال [illegible]: [illegible] عبد الله بن مسعود وابن عباس [illegible] داود عليه السلام [illegible] انزل لي عن امرأتك»[3].

[illegible]

[illegible] ابن عباس، [illegible]

[illegible]

[illegible]

يقال أن يكون منافيًا للعصمة [illegible] من الخلاف، وإنما أن يليق أن المراد [illegible] وكأنه أنكر نظر داود إلى المرأة [illegible] في مثل زوجها [illegible] والخصوص.

فالمهم أنكر أن يكون داود نظر إلى المرأة وافتتن بها، ثم تسبب في قتل زوجها [illegible] أنكر [illegible] المفسرين [illegible].

قال أبو حيان: أكثر المفسرين في هذه القصة [illegible] لا [illegible] الأنبياء [illegible][1].

وقال ابن الجوزي: ذكر جماعة من المفسرين أن داود لما نظر إلى المرأة [illegible] زوجها [illegible] إلى أن قتل، [illegible] وروي نحو هذا عن ابن عباس [illegible] والحسن [illegible] وهذا لا يصح من طريق النقل، ولا يجوز من حيث المعنى؛ لأن الأنبياء منزهون عنه [illegible] إلى المرأة [illegible] زوجها لقتل، فإنه وجه لا يجوز على الأنبياء؛ لأن الأنبياء لا يأتون المعاصي مع العلم بها[2].

وقال الفخر الرازي: حاصل القول الأول [illegible] فهذا أن داود [illegible] المرأة [illegible] الكثيرة حتى قتل زوجها [illegible] إلى [illegible] في صورة المتخاصمين [illegible] عليه بحكم [illegible] ذلك [illegible] ولا [illegible] على وجوه:

الأول: أن هذه الحكاية لو نسبت إلى [illegible] لاستنكف [illegible] الرجل [illegible] تلك القصة لو نسبت إلى مثل هذا [illegible] لكان [illegible] والأمر كذلك [illegible] بالعاقل نسبة المعصوم إليه.

الثاني: أن حاصل القصة يرجع إلى أمرين: [illegible] في قتل رجل مسلم بغير حق، وإلى الطمع في زوجته [illegible] حكم [illegible] لا في [illegible].

والثالث: أن الله تعالى وصف داود عليه السلام قبل ذكر هذه القصة بالصفات [illegible] المذكورة، ووصفه أيضًا بصفات كثيرة بعد ذكر هذه القصة، وكل هذه الصفات تنافي

---

[1] الدر المنثور ٧/١٥٨.

[2] زاد المسير ٧/١١٠-١١١.

قال ابن الجوزي [illegible] إلى المرأة [illegible] أكثر المفسرين [illegible]

تفاصيل في القصة أن [illegible] ذلك من أكثر المفسرين [illegible]

لداود عليه السلام من سوء الظن بالقتل المنكر والعمل الشنيع[1]، التي لا يصح نسبتها إليه.

ورأينا من أنكر نظر داود لتلك المرأة وافتتانه بها، وتمنيه في قتل زوجها، وكذلك [illegible] [illegible] السلف، [illegible] الزمخشري[2]، وابن العربي المالكي[3]، والجصاص[4]، فجاءت في عباراتهم النكير على المرويات الإسرائيلية التي أسيئت في وصف نظر داود المرأة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

وسلك الألوسي في روح المعاني منهجًا متوسطًا في ذلك [illegible] [illegible] [illegible]، فقد ساق جملة القصص والأقوال التي [illegible] في القصة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأخبار بالكلية في القصة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا يقبل [illegible] [illegible] [illegible] ولا يليق بالأنبياء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عليه السلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والاستغفار [illegible] [illegible] [illegible] بالعصمة[5].

المسلك الثالث: التوقف في حقيقة القصة، والتفويض علمها إلى الله، وحمل القرآن على ظاهره دون التفصيل في هذه الجزئية.

وممن ذهب إلى هذا المسلك ابن كثير والسعدي، فقال ابن كثير في تفسيره: قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل، فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق أيضًا[1].

وقال السعدي في تفسيره: [illegible] [illegible] القصة التي صدر من داود عليه السلام لم يذكره الله لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصه الله علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها[2].

تحليل المسالك الثلاثة والترجيح:

بعد النظر والتأمل فيما سبق إيراده [illegible] [illegible] الأقوال المفسرين [illegible] [illegible] القصة [illegible] [illegible] [illegible] الزيادة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ما يلي:

أولًا: [illegible] المفسرين [illegible] [illegible] على عصمة الأنبياء [illegible] [illegible] داود عليه السلام

---

(1) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٣٧٩.
(2) الكشاف ٤/ ٨٤.
(3) أحكام القرآن ٤/ ٤٩.
(4) أحكام القرآن ٥/ ٢٥٠.
(5) روح المعاني ٢٣/ ٢١٠.

(1) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٦٠.
(2) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١١.

من الكبائر، و[illegible] الإجماع على ذلك ابن العربي[١] [illegible].

ولذا فلا يصح بحال من الأحوال اتهام داود بفعل الفاحشة مع المرأة، بل هو منزه عن ذلك [illegible]

[illegible]

[illegible] القصة [illegible] حكاية الأحبار [illegible]

[illegible]

الأنبياء.

ولذا فلا ينبغي التأكيد على أن السر في جميع أسباب النزول [illegible] في تفسير آيات الكتاب العزيز [illegible] على التفسير [illegible].

[illegible]

[illegible] الفخر الرازي في تفسيره [illegible] داود بقتل [illegible] وتزوج امرأته [illegible] في القتل والتزوج [illegible] (ص: ٢٤) [illegible].

[illegible]

ورابعًا: [illegible]

---

(١) أحكام القرآن ٤/ ٥٠.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٣٨٤.

المستطابة بالقبيين في قصة داود ويوسف [illegible] إلى ما غير الدليل القطعي الصحيح وروده عن الأنبياء والمعصومين.

ومن ذلك ما قاله الفخر الرازي في تفسيره: القرآن إذا دل [illegible] بالضرورة أن يقتصر أن تكون القصة التي ذكرتموها حقيقيًا صحيحًا، فإن روايتها وذكرها لا يوجب شيئًا من الثواب لأن إشاعة الفاحشة إن لم توجب العقاب فلا أقل من أن لا توجب الثواب، وأما بتقدير أن تكون هذه القصة باطلة فاسدة فإن ذكرها يستحق أعظم العقاب والرواية التي هذا شأنها وصفتها فإن صريح العقل يوجب السكوت عنها فثبت أن الحق ما ذهبنا إليه، وأن شرح تلك القصة محرم محظور[1].

وقال الرازي: فهل قال قائل: إن أكثر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها؟

فالجواب الحقيقي: أنه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من أخبار الآحاد كان الرجوع إلى الدلائل القاطعة أولى[2].

[illegible]: حكاية نظر داود إلى المرأة [illegible] في [illegible] إنما رواها أهل الكتاب من اليهود من سقطة الأخبار [illegible] فلا يجب الآن [illegible]

ولا [illegible] بالحسن بالسندي ويوجب أن منه لا يصح [illegible] الأوصاف والألقاب [illegible] استطاع ما جاء في الروايات والاستنتاج القطعي [illegible] بل إن نهج الرد والقول له طريقه [illegible] ما [illegible] أن يوصل إلى الصواب في منهجية البحث.

ومن يقال: إنّ من أخلط في رده إنما اعتمد على عدم صحة نسبة تلك الأقوال إليهم [illegible] إنه لم يبين ضعف تلك الأسانيد، كما أنه لم [illegible] مروياتهم الأخرى [illegible] إنه [illegible]

كما أنه لأن أكثر من كتب التفسير رووها لوجود الإنكار الصريح من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حكاية مرويات بني إسرائيل، كما أنه كثير المفسرين ابن جرير الطبري قد حكى تلك الروايات [illegible] من الشك، وكذا القاضي ابن عطية الغرناطي، ولا يجب عليهما ما يرد في أخذ المتأخرين أو بعض المعاصرين من عدم صحة نسبة تلك الأقوال إليهم أو [illegible]

ولما علمنا أن ابن جرير وهو إمام المفسرين في زمانه وابن عطية قد حكاها فإن العجب لا ينقضي من الباحث الذي [illegible] على من روايتها ويقول: [illegible]

---

[1] المصدر السابق [illegible]

[2] المصدر السابق [illegible]

بعض المفسرين بهذه التفاصيل الإسرائيلية المكذوبة، [illegible] في تفسيرهم [illegible] بها آيات القصة، ونسبوا [illegible] من نبي ورسول كريم عصمه الله وحفظه [illegible] الشرور [illegible] الإسرائيليات»(١).

ورحم الله [illegible] من رفض تلك الإسرائيليات [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] في المعركة [illegible]

أما موت زوجها فلا نقطع بسببه كما لا نقطع بأن داود سعى في هلاكه [illegible] الإسرائيلية، ولا يمكن الجزم [illegible] في سبيل الله [illegible] في المعركة [illegible]

أما توجيه القصة [illegible]

[illegible] عليه ابن العربي»(٢).

---

(١) القصص القرآني، صلاح الخالدي (٣/ ٤٠٢).

(٢) أحكام القرآن (٤/ ٤٨).

لداود [illegible] التفاسير لا يليق من ذكر الله وطاعته، [illegible] في المسطور لا يجد [illegible] أن يكون قد ذكرنا في القصة.

سابعًا: أهم الآثار التي يدور عليها الخلاف هو ارتباط قصة الخصمين بقصة داود، ومن ثم تلك الارتباط فإنه قد دفعه لذلك تصور أن ثمة ارتباطًا بين قصة داود بقصة المرأة وتفاصيل ما حدث، فسلك طريق الظن لاعتقاده أنه أسلم.

فالحكم على من اعتبر قصة داود بأن لا علاقة بالمرأة فإنه محتمل على الروايات الإسرائيلية ولا حرج عليه [illegible] روايته أنها أن كان يعتقد أنه ليس لها ما يقدح في عصمة نبي الله داود فيما رواه في رواياتها كالإمام الطبري الذي سبق ذكره وكذلك في حالة [illegible] منه.

الترجيح:

بالنظر في نص الآيات نحسب أنه ليس فيها ما يجوز [illegible] القرآن في قصة داود [illegible] على أسرار القصص فإنه لا يوجد ما يفسر [illegible] ذلك إلا بالمروي عن الصحابة والتابعين.

وأما ما ورد في الحديث المرفوع الذي أخرجه ابن جرير في تفسيره فإنه ضعيف، وقد ضعف إسناده ابن كثير في تفسيره فقال: "ولم يثبت فيها -أي قصة داود- عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثًا لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس - ويزيد وإن كان من الصالحين - لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة"[1].

وكذا فعل القاسمي في محاسن التأويل[2].

وكذا ابن جرير في إيراده في تفسيره [illegible] إلى [illegible].

وأما ما روي عن الصحابة والتابعين فإنها لا تخرج عن مرويات إسرائيلية في مجموعها لا حرج عليهم في روايتها، قال القاسمي: [illegible] المرفوع من ذلك على الصحب والأتباع "رضي الله عنهم": [illegible] في ذلك ما ذكر في التوراة من أن داود [illegible] يمن حكى عنه [illegible] على ذلك [illegible] إلى التجوز [illegible] الأنبياء"[3].

وأما ما ذكر في أسرار القصص من اعتبار تفسير القرطبي والطبري [illegible] حجة عند عدم وجود المخالف [illegible] يروى عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم [illegible] إلى أن قصة داود عليه السلام [illegible] في طلب من زوج المرأة أن يطلقها له [illegible] ذلك [illegible] في [illegible] رجال الإسلام [illegible] فإنه لا [illegible] الأنبياء [illegible].

---

[1] تفسير القرآن العظيم [illegible].

[2] محاسن التأويل [illegible].

[3] المصدر السابق.

وأما تفاصيل القصة فكما قال لا نجد [illegible] عليها في كل المرويات، وإن الجزم بصحة التفاصيل فيه [illegible] لا يلزم من ذلك القول بنفي أصل القصة والله تعالى أعلم.

وأما من سلك مسالك الروايات فلا [illegible] ما لم يخالف منهج الشرع المنصوص عليه في تفسير آي [illegible] ومن ثمّ على المفسرين الذين رووا تلك المرويات فلا [illegible] الآن، [illegible] برواية الإسرائيليات [illegible] أن الكتاب [illegible] وقد ذكر [illegible] رواه البخاري، وهذا من الناحية النظرية [illegible] من ناحية عملية [illegible] روايتها جاءت عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم.

ثالثاً: الإنابة والاستغفار:

أثنى الله عز وجل على نبيه داود عليه السلام بصفات [illegible] كالاستغفار والإنابة والأوبة، قال جل وعلا: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (ص: ٢٤).

وقال عنه أيضاً: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ١٧) بمعنى [illegible] أي: رجع إلى ربه وتاب[١]، وفي [illegible] أي: [illegible][٢] قال ابن العربي: «ولا خلاف بين العلماء أن المراد بالركوع هاهنا السجود»[٣].

ويحكي ابن تيمية الإجماع في ذلك فقال: [illegible] عن داود عليه السلام: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ (ص: ٢٤) لا ريب أنه سجد كما ثبت بالسنة وإجماع المسلمين أنه سجد لله[٤].

وأما (الإنابة) فهي من الأوبة، والأوبة الرجوع، والأواب: الرجاع الذي يرجع إلى التوبة والطاعة[٥].

واختلف قول المفسرين فيها، وكلها ترجع إلى معنى واحد وهو [illegible] إلى ربه وطاعته له، [illegible][٦] إلى أن معنى أواب: هو الرجاع من الذنب [illegible][٧] إلى أنه المطيع لله كثير الصلاة، وأما السدي[٨] [illegible] بالمسبح، [illegible][٩] إنه التواب.

وكل هذه الأقوال [illegible] معنى واحد في [illegible] أحكام الخلاف [illegible].

---

[١] جامع البيان للطبري (٢٠/ ١٨٠).

[٢] [illegible] ابن جرير في التفسير (٢٠/ ١١٦) [illegible]

[٣] أحكام القرآن (٤/ ٧٧).

[٤] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٣/ ١٤٨).

[٥] لسان العرب لابن منظور (١/ ٢١٩).

[٦] أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/ [illegible]).

[٧] أخرجه عنه الطبري في تفسيره ([illegible]).

[٨] أخرجه عنه الطبري في تفسيره ([illegible]).

[٩] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٥/ ١٥٨).

واختار ابن كثير قولًا هنا يجمع ما بين [illegible] من الأقوال فقال في تفسيره: هو الرجوع إلى الله في جميع أموره [illegible][1].

[illegible] الآيتين [illegible] ذكر قصة دخول الخصمين [illegible] فقال [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] الإشارة في قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible][2] [illegible][3].

[illegible] داود [illegible]

[illegible] داود من ربه [illegible] عليه السلام [illegible] الله [illegible] تعالى [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] ربه [illegible] الله [illegible].

[illegible] الإشارة في قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible] الخصمين [illegible] الله [illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

غيره[1].

وهذا حال المؤمنين عمومًا من صفوة الخلق الأنبياء عليهم السلام [illegible] الاستغفار على كل حين [illegible] إلى [illegible] الرب سبحانه [illegible] [illegible] [illegible] وكذلك [illegible] الحزلة [illegible] [illegible] يوم القيامة [illegible] الأعلى [illegible].

وكذلك [illegible] سورة قصة [illegible] داود [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا يقضى الخطاب»[2]. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ذلك [illegible] الرحمن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] السلام.

فوائد من قصة داود عليه السلام

إن الله رفع قدر الأنبياء من بلية عظمة، ومن مزيد امتنانه بهم أن ابتلاهم بما أثره عليهم [illegible] [illegible] [illegible] الحميدة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الخلق [illegible] إمام [illegible] [illegible] المسلمين [illegible] إلى أكمل من حالهم الأولى، كما جرى لداود[3].

كما أن من فوائد تلك الابتلاء أن يكون للخلق العظة والعبرة من حال الأنبياء وتذكرة لهم فهم أسوة حسنة، ومن تلك الفوائد في قصة داود عليه السلام:

١. في قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ [ص: ٢٢] إشارة إلى الخوف الجبلي الذي يعتري البشر عند رؤية مكروه، ولا يؤاخذون عليه ولا يتعارض مع [illegible] بالنبوة وثقته بالله، وتوكله عليه. وقد أجاب ابن عاشور[4] عن هذا [illegible] [illegible] [illegible] ما [illegible] [illegible] من سبب الفزع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الباب[5].

---

[1] التحرير والتنوير ٢٣/ ١٨٠.

[2] المصدر السابق ٢٣/ ٢٢١.

[3] تيسير الكريم الرحمن ص ٧١١.

[4] التحرير والتنوير ٢٣/ ٢٣٢.

[5] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي

٢. [illegible]

٣. [illegible] المالكية [illegible] القاضي في المسجد [illegible] القرطبي: [illegible] القضاء في المسجد [illegible]

٤. [illegible] تعالى: ﴿[illegible]﴾ [ص: ٢٢] [illegible]

[illegible]

---

(١) ٢٢/ ١٤٩.

(٢) المصدر السابق ١٥/ ١٧٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١١.

(٤) التحرير والتنوير ٢٣/ ٢٤٠.

من الخصوم [illegible] رجوع إليه كالشاي
كيف لا يقتدي بهذا النبي الأواب عليه
الصلاة والسلام في ذلك؟ بل يغضب
لأن الغضب الأول [illegible] تصدر [illegible]
فقط من أحد الخصمين [illegible] منها
[illegible] في [illegible] له
بالنسبة إلى هذا النبي الأواب لا يحتاج
«[illegible]»[1]، اللهم
وفقنا لأحسن الأخلاق واهدنا من
الهداية[2].

نسأل الله أن يلهمنا حسن الأخلاق
والأقوال والأعمال، وأن يرزقنا العلم
النافع، وأن [illegible].

من موضوعات ذات الصلة

بنو إسرائيل، زكريا عليه السلام، سليمان عليه السلام، عيسى عليه السلام، موسى عليه السلام، الكتب المنزلة

---

(١) [illegible] انظر: لسان العرب، ابن منظور [illegible] ٤٤٤.

(٢) [illegible] ٢٤١/٢٣.

الدُّعاء

عناصر الموضوع

مفهوم الدعاء ٣١٦
الدعاء في الاستعمال القرآني ٣١٧
الألفاظ ذات الصلة ٣١٩
الحث على الدعاء وبيان منزلته ٣٢١
آداب الدعاء ٣٢٨
أنواع الدعاء ٣٤٣
آثار الدعاء ٣٦١

مفهوم الدعاء

أولاً: المعنى اللغوي:

الدعاء: مصدر الفعل (دعا) يقال: دعا الرجل دعوًا ودعاءً: ناداه، والاسم: الدعوة، ودعوت فلانًا: صحت به واستدعيته، والدعوة المرة الواحدة، والدعاء واحد الأدعية[1].

والدعاء أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت فلانًا أدعو دعاءً أي: ناديته وطلبت إقباله، ويقال: دعوت الله أدعو دعاءً: ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعا فلانًا: طلب إليه أن يأتي، ودعا على فلان: طلب له الشر[2].

والحاصل: أن أصل الدعاء: النداء والطلب مطلقًا، مع ملاحظة استعلاء المطلوب منه.

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

هو: سؤال العبد ربه حاجته.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: حقيقة الدعاء مناداة الله تعالى لما يريد من جلب منفعة أو دفع مضرة [illegible].

وقال الخطابي في معنى الدعاء: استدعاء العبد ربه عز وجل العناية واستمداده إياه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل وإضافة الجود والكرم إليه[3].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنى اللغوي والاصطلاحي متوافقان إذ كل منهما يدل على النداء والطلب إلا أن المعنى الاصطلاحي خص هذه الكلمة بكونه من العبد للرب.

---

(1) انظر: الصحاح للجوهري (6/ 2337)، لسان العرب لابن منظور (14/ 257)، تاج العروس للزبيدي (38/ 47).

(2) انظر: [illegible] ص 81.

(3) شأن الدعاء ص 4.

الدعاء في الاستعمال القرآني

ورد الجذر (دعو) في القرآن الكريم (٢١٢) مرة يخص موضوع البحث منها (١٠٥) مرات[1].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	٧٠	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (فصلت ٣٣)
الفعل المضارع	١٠٦	﴿[illegible]﴾ (الحج ٦٢)
فعل الأمر (معاني)	٣٢	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ﴾ (النحل ١٢٥)
اسم الفاعل	٣	﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ (الأحقاف ٣١)
اسم	٢٠	﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ [illegible]﴾ (الرعد ١٤)
مصدر	١٠	﴿[illegible]﴾ (الرعد ١٤)

ورد الدعاء في القرآن على خمسة أوجه[2]:

الأول: القول، ومنه قوله تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ (يونس: ١٠) يعني: قولهم في الجنة.

الثاني: العبادة ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ (الأنعام: ٧١) يعني: أنعبد من دون الله.

الثالث: النداء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ (القمر: ١٠) يعني: نادى ربه أني مغلوب.

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص ١٧٧-١٧٨.

الرابع: الاستعانة به ومنه قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] أي: واستعين به.

الخامس: السؤال به ومنه قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] أي: سل [illegible].

الألفاظ ذات الصلة

١ الذكر:

الذكر لغة:

الذِّكْرُ: ما ذكرته بلسانك وأظهرته، والذُّكْرُ: ما ذكرته بقلبك[1].

الذكر اصطلاحًا:

قال الراغب الأصفهاني: «الذِّكْرُ: تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارًا بإحرازه، والذِّكْرُ يقال اعتبارًا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان، وكل واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ، وكل قول يقال له ذكر»[2].

وقال ابن علان: «الأصل وضع الذكر هو ما تعبدنا الشارع بلفظه مما يتعلق بتعظيم الحق والثناء عليه»[3].

الصلة بين الدعاء والذكر:

قال ابن القيم: «إن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه متضمن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه وأوصافه، فهو ذكر وزيادة، كما أن الذكر سمي دعاءً لتضمنه الطلب، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: أفضل الدعاء الحمد لله، فسمى الحمد لله دعاءً وهو ثناء محض؛ لأن الحمد يتضمن الحب والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب للمحبوب، فالحامد طالب لمحبوبه، فهو أحق أن يسمى داعيًا من السائل الطالب من ربه حاجة ما»[4].

٢ الاستغاثة:

الاستغاثة لغة:

مصدر استغاث، وهو مأخوذ من الغوث بمعنى: الإعانة والنصرة عند الشدة[5].

---

[1] تهذيب اللغة، الأزهري ١٠/ ٩١.
[2] المفردات ص ٣٢٨.
[3] الفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية ١/ ٣٩٨.
[4] بدائع الفوائد ٣/ ٤.
[5] انظر: لسان العرب ٢/ ٢٧١٦.

الاستغاثة اصطلاحًا:

طلب الغوث في الشدائد والأزمات(1).

الصلة بين الدعاء والاستغاثة:

الدعاء أعم من الاستغاثة؛ إذ الدعاء طلب لدفع الشر وجلب الخير، يعني: فيكون في الشدة وفي الرخاء، أما الاستغاثة فهي طلب لدفع الضر لا لجلب النفع، فلا تكون إلا في الشدة، فكل مستغيث داعٍ وليس العكس.

■ الاستعاذة

الاستعاذة لغة:

مصدر استعاذ، وهي من مادة (ع و ذ) التي تدل على الالتجاء إلى الشيء(2).

الاستعاذة اصطلاحًا:

هي: الالتجاء والاعتصام وطلب كف الشر(3).

الصلة بين الدعاء والاستعاذة:

الدعاء طلب دفع ضر أو جلب نفع، أما الاستعاذة فهي التحصن بالله والتعوذ به.

■ الاستعانة

الاستعانة لغة:

الاستعانة مصدر استعان، وهي: طلب العون، يقال: استعنته واستعنت به فأعانني(4).

الاستعانة اصطلاحًا:

لا يخرج عن المعنى اللغوي، فالاستعانة: طلب العون.

الصلة بين الدعاء والاستعانة:

الاستعانة طلب المعونة مطلقًا، والدعاء أعم؛ إذ الدعاء قد يكون طلبًا لدفع شر أو جلب خير.

---

(1) انظر: الكليات للكفوي (ص ١٠٩).

(2) انظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٥٦٦)، لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٩٨).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١١٤).

(4) انظر: لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٢٩٨).

محمد، ونوضح أساليب الدعاء في القرآن حثاً عليه، وبياناً لمنزلته، وذلك ما نتعرض له في النقاط الآتية:

أولاً: صور الدعاء وتراكيبه:

الناظر في الدعاء القرآني يجده قد جاء على أساليب شتى، [illegible]

١. الدعاء بفعل الأمر.

[illegible] في الدعاء من صيغ الأمر المعروفة [illegible]

صيغة (افعل): [illegible] كقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: [illegible] (البقرة: [illegible])

وفي دعاء المؤمنين: [illegible]

وقوله: [illegible]

وقد ورد في القرآن تعليمه للنبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] (البقرة: [illegible])

صيغة (افعل): كقوله تعالى: [illegible]

صيغة (افعل): [illegible] كقوله تعالى: [illegible]

٢. الدعاء بالمصدر النائب عن فعل الأمر.

وذلك في قوله تعالى: [illegible] (البقرة: [illegible])

٣. الدعاء بأسلوب النهي.

النهي هو طلب الكف عن الفعل [illegible]

وقد جاء الدعاء بأسلوب النهي [illegible] قوله تعالى: [illegible] (البقرة: ٢٨٦)

---

[1] [illegible]

وقوله: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٥٣).

وقوله كذلك: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣).

وقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦).

وقد يبنى الدعاء على الأمر وحده كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٠).

وقد يبنى على النهي وحده كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

وقد يجمع بين الأمر والنهي في مثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٩٤).

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨).

وليس التلازم هنا قاعدة مهمة في الترتيب فقد يتقدم الأمر أو النهي وتلك الحالة الأولى أو العكس، فهنا الدعاء بالنهي، ثم يجيء الدعاء بالأمر.

وقد يكون الدعاء بهاتين الصيغتين معًا بما يفيد رجاءه من ذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فصيغة: ﴿إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ جاءت تعليلًا مؤكدًا لمضمون الجملة قبله، ومثله قوله تعالى: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٨).

وقوله كذلك: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم: ٨).

فصيغتا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ و﴿إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ جاءتا تعليلًا لما قبلها.

٤. الدعاء بأسلوب الاستفهام

جاء الدعاء بأسلوب الاستفهام في موضعين، والاستفهام في حقيقته يستعمل لطلب حصول صورة الشيء في الذهن، وقيل: هو طلب الفهم بأدوات مخصوصة من الغير[1].

وقد يخرج الاستفهام من معناه الأصلي إلى معانٍ بلاغية تفهم من السياق، من بينها التمني[2] ومنه قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ (الأعراف: ١٥٥).

---

[1] مختصر السعد التفتازاني، ومواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي ٢/ ٢٤٦.

[2] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي ١/ ١٦٧.

أي: لا تهلكنا فهذا استفهام على سبيل الإنكار بالجملة في صيغة الاستعطاف والتذلل(1)، [illegible] قوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ (الأعراف: ١٥٥) أي: لا تهلكنا.

٥- الدعاء بأسلوب الخبر:

جاء الدعاء بالأسلوب الخبري في شيء [illegible] [illegible] رحمه الله حين [illegible] في لفظ الخبر [illegible] [illegible] المشهورين(2).

وأشار بعض البلاغيين إلى أن الخبر قد يقع موقع الإنشاء لنحو التفاؤل، أو لإظهار الحرص في وقوعه [illegible] الدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الوجهين، أو الاحتراز عن صورة الأمر(3).

[illegible] الدعاء بأسلوب الخبر [illegible] من حاجات الصالحين [illegible] كما في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧).

فقوله عليه السلام: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ﴾ [illegible]

لم يكن بأسلوبي الدعاء المشهورين: الأمر والنهي، وإنما جاء بالأسلوب الخبري، [illegible] قوله تعالى بعد: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٨).

وكذلك ما جاء في دعاء سيدنا أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣).

فهو عليه السلام لم [illegible] الله صراحة بل عرض حاجته في أدب [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ ([illegible])

ثانيًا: تسمية الدعاء عبادة:

الدعاء من حقيقة العبادة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠).

وقال تعالى: ﴿[illegible]

---

(1) انظر: التفسير الوسيط [illegible]

(2) البرهان في علوم القرآن [illegible]

(3) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني [illegible]

كثير﴾ [illegible].

وقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

والعبادة تغلب [illegible] بالأعمال الصالحة كالنطق بالشهادتين، [illegible]، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والذبح لله، والنذر له، [illegible] هذه العبادة [illegible] العباد بلسان الحال مع لسان المقال [illegible] من قبل هذه العبادة وغيرها من أنواع العبادات [illegible] فقد [illegible] بلسان الحال أو [illegible].

والخلاصة أنه [illegible] الله [illegible] من [illegible] لا [illegible] الله تعالى، ومن صرف شيئًا منه لغير الله فقد كفر كفرًا أكبر [illegible] من الملة، [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي [illegible] ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ [illegible]﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

جاء الخشوع بمعنى العبادة في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

﴿[illegible]﴾ [illegible].

أي: اعبدوني [illegible] ما [illegible] (الطاعة) وكذلك قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال: الدعاء هو العبادة وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فوائد: الدعاء هو العبادة [illegible]

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم [illegible].

(٢) [illegible].

(٣) معالم التنزيل، البغوي، [illegible].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [illegible] رقم [illegible]، والترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن [illegible] رقم [illegible]، [illegible] وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، [illegible].

(١) انظر: فتح المجيد [illegible] ص: [illegible].

الفصل بالضمير المنفصل بالكلام أيذان على الحصر في أن العبادة ليست غير الدعاء مبالغة.

ومعناه أن الدعاء معظم العبادة كما قال صلى الله عليه وسلم: «الحج عرفة»[1] أي: معظم أركان الحج الوقوف بعرفة.

أو المعنى: أن الدعاء هو العبادة سواء استجيب أو لم يستجب لأنه إظهار العبد العجز والاحتياج من نفسه والاعتراف بأن الله تعالى قادر على إجابته.

ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي: استدل بالآية على أن الدعاء عبادة لأنه مأمور به والمأمور به عبادة.

واستشهد بالآية لدلالتها على أن المقصود يترتب عليه ترتب الجزاء على الشرط والمسبب على السبب ويكون أتم العبادات ويقرب من هذا قوله: «مخ العبادة». أي: خالصها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ أي: عن دعائي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أي: صاغرين أذلاء.

قال الطيبي: [illegible] أن تحمل العبادة على المعنى اللغوي؛ إذ الدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار والاستكانة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ حيث عبر عن عدم التذلل والخضوع بالاستكبار، ووضع عبادتي موضع دعائي، وجعل جزاء ذلك الاستكبار الصغار والهوان[2].

قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

أي: اعبدوا الله وحده مخلصين له العبادة التي [illegible] [illegible] الكافرون [illegible] [illegible][3].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧].

أي: تعبدونهم أو تدعونهم من دونه [illegible] لا يستطيعون نصركم في أمر من الأمور[4].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٠].

أي: [illegible] من دون الله [illegible] [illegible]

---

[1] أخرجه الترمذي في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وصححه الألباني في صحيح [illegible]

[2] الكاشف عن حقائق السنن (٥/١٧٠٨).

[3] انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/٥٦٣).

[4] انظر: روح المعاني للآلوسي (٩/١٤٨).

تعطون أكبر بسبب الاستعجال[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ (الأحقاف: ٥).

(أي: لا أحد أضل ممن يدعو [illegible] من لا يسمع فكيف يطمع في الإجابة فضلًا عن جلب نفع أو دفع ضر؟ فتبين بهذا أنه أجهل الجاهلين، وأضل الضالين، والاستفهام للتقريع والتوبيخ)[2].

والمتأمل في حقيقة الدعاء يجد فيه [illegible] بأصول التوحيد [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible] الدعاء [illegible]:

أحدها: [illegible] لا يدعى.

الثاني: [illegible] فإن [illegible] لا يدعى.

الثالث: السميع فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكريم فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة فإن القاسي لا يدعى.

السادس: القدرة فإن العاجز لا يدعى[3].

ثالثًا: الوعد باستجابة دعاء الداعين:

من [illegible] الدعاء [illegible] الله تعالى،

والقبول والإجابة[1]، فهو سبحانه على كل شيء قدير [illegible] قال سبحانه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ (النمل: ٦٢).

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس: ٨٢).

[illegible] الله سبحانه وتعالى [illegible] أن جميع خزائن الخيرات والبركات عند الله تعالى، قال الله سبحانه: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الحجر: ٢١).

والله عز وجل رغب عباده في الدعاء ووعدهم [illegible] ورحمته بهم وكرمه السابغ عليهم بالإجابة.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠).

وقال عز وجل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦).

ومع القطع في الإجابة يكون الإلحاح على الله عز وجل في الدعاء فلا استعجال [illegible] [illegible] [illegible]

---

[1] انظر: معالم التنزيل للبغوي [illegible].

[2] فتح القدير للشوكاني [illegible].

[3] انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي [illegible].

[1] انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب [illegible].

يكرره من حينه بحيث.

(١) أن صلاة الشكر والافتقار إلى الله عز وجل في الدعاء الإلحاح فيه والتكرار، فعن أبي الدرداء وابن عباس رضي الله عنهما أنهما كانا يقولان: اسم الله الأكبر: رب رب، وعن عطاء قال: ما قال عبد يا رب ثلاث مرات إلا نظر الله إليه، فذكر ذلك للحسن فقال: أما تقرؤون القرآن؟!

ثم تلا قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩٥].

ونجد هذا الإلحاح والتكرار في دعاء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٩].

---

(١) المصدر السابق (١/ ٩٢).

آداب الدعاء

للدعاء آداب سوف نعرضها في النقاط الآتية:

أولاً: الدعاء بأسماء الله الحسنى:

من أعظم القرب إلى الله عز وجل الدعاء بالأسماء الحسنى، والتوسل بها، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ومن مواطن الإجابة تحري الأدعية التي اشتملت على اسم الله الأعظم [illegible] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿[illegible]﴾ (البقرة: [illegible]) وفاتحة آل عمران: ﴿[illegible]﴾ (آل عمران: [illegible])(1).

ويستحضر الداعي حين يدعو الله بالدعاء [illegible]

والتعبد في [illegible] المطلق سبحانه [illegible]

وقد [illegible] من القرآن في بيان ذلك، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الأعراف: [illegible])

وقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ (الأعراف: [illegible])

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه، [illegible]

وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

وقال تبارك وتعالى: ﴿ [illegible] ﴾

وقال سبحانه: ﴿ [illegible] ﴾

وقال عز وجل: ﴿ [illegible] ﴾

[illegible] ﴾

وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

ولا بد من [illegible]

وقال سبحانه: ﴿ [illegible] ﴾

وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

وقال عز وجل: ﴿ [illegible] ﴾

وقال سبحانه: ﴿ [illegible]

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

على من يأتي إلى بيته من رجل بعد الثناء عليه، وحاجة العامة إلى ملك الملوك ... أن يحمد ربه ويثني عليه ويمجده بما هو أهله ... الكريم: سورة الفاتحة التي هي أم الكتاب والسبع المثاني، يبدأ بحمد الله والثناء عليه وتمجيده سبحانه وتعالى، ثم ذكرت الاعتراف بعبوديته والاستعانة به وحده، ثم طلب الهداية من الله في أعظم دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

ولهذا كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب ونيله أشرف المواهب، علّم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم: توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء[1].

ومن أدعية القرآن المبدوءة بتمجيد الله تعالى:

- دعاء يونس عليه السلام: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].
- دعاء يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].
- ودعاء الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

ثالثًا: الإخلاص في الدعاء:

الإخلاص: هو تصفية الدعاء من كل ما يشوبه، وصرف ذلك كله لله وحده لا شريك له، وإنما يرجو العبد ثواب الله ويخشى عقابه، ويقصد بذلك وجه الله ورضاه سبحانه في دعوته له.

وقد أمر الله تعالى بالإخلاص في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقال عز وجل: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ

---

[1] مدارج السالكين لابن القيم (١/٢٤).

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (الزمر: ٢)

وقال سبحانه: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر: ٣)

ويربط التوحيد بالإخلاص في الدعاء قال عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ⑪ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ⑫ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ⑬ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ (الزمر: ١١-١٤)

وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (الرعد: ١٤)

والعمل الصالح هو ما كان موافقاً لشرع الله تعالى، يريد به صاحبه وجه الله سبحانه، ولابد أن يكون العمل خالصاً لله سبحانه على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

ولهذا قال الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ١-٢)

قال: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)[2]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء: ١٢٥)

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١٢)

فإسلام الوجه: إخلاص القصد والدعاء والعمل لله وحده، والإحسان فيه متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته[3]. فيجب على المسلم أن يكون متبعاً للنبي صلى الله عليه وسلم في كل أعماله، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)

وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)

وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١٠٨.

[2] انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٢/٨٩.

[3] انظر: المصدر السابق ٢/٩٠.

مسلمين ﴾ (الأعراف: ١٢٦)

وقال: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾ (النور: ٥٥)

وقد يتوسل العبد إلى الله تعالى بأنواع الوسيلة المشروعة قال تعالى: ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ (المائدة: ٣٥)

وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة، ومعنى قوله تعالى: ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ أي: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه.

وأنواع التوسل المشروع[1]:

١. التوسل إلى الله تعالى باسم من أسماء الله تعالى، أو صفة من صفاته، كأن يقول الداعي في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم اللطيف الخبير أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي، ودليله قال تعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، ومن دعاء سليمان عليه السلام ما قاله الله تعالى: ﴿ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ (النمل: ١٩)

٢. التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي نفسه، ويدل على مشروعية ذلك قوله تعالى: ﴿ الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ﴾ (آل عمران: ١٦) وقوله تعالى: ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ (آل عمران: ٥٣)

٣. التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الحي الحاضر، ومن ذلك أصحاب الشدائد والمحن والمضطر في عون الله من رجل صالح في أن يدعو له ربه ليفرج عنه الكرب.

ثالثا: الدعاء رغبا ورهبا:

مدح الله تعالى عبده زكريا عليه السلام وأهله بالدعاء عند مطالبهم قال الله تعالى: ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴾ (الأنبياء: ٩٠)

ذكر الحافظ ابن كثير بسنده عن عبدالله بن حكيم قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه ثم قال: أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وتخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف

---

[1] تفسير القرآن العظيم ابن كثير (١/ ٥٣).

بالمسألة ﷺ الله الذي على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

ذكر الإمام القرطبي (رحمه الله): الرغب رفع بطون الأكف إلى السماء، والرهب رفع ظهورها[٢].

ومعنى ذلك الدعاء [illegible] فلا يقع من العبد شيء من الاستعجال أو ترك الدعاء فإنه لا يستعجل في عدم إجابة الدعاء لأن الله قد يؤخر الإجابة لأسباب؛ إما لعدم القيام بالشروط، أو الوقوع في الموانع، أو لأسباب أخرى تكون في صالح العبد وهو لا يدري، فعلى العبد إذا لم يستجب دعاؤه أن يراجع نفسه، ويتوب إلى الله تعالى من جميع المعاصي، ويبشر بالخير العاجل والآجل، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦).

الخشوع واستحضار القلب عند الدعاء:

يشترط في الدعاء الضراعة والخضوع القلب بإظهار الخشوع له عز وجل، ويرتبط الخشوع بحضور القلب والإقبال على الدعاء قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

والمراد بالخشوع والخضوع وحضور القلب أن يقصد بدعائه الخضوع والتذلل لعظمة ربه، [illegible] ولا يكون الدعاء بلسانه [illegible].

إن الخشوع والخضوع أرجى لقبول الدعاء؛ لأن فيه تعظيم الله تعالى، واستحضار القلب [illegible] عند مناجاة الرب.

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٥-٥٦).

[illegible] الإنسان في حالة [illegible] الإنسان العاصي [illegible] في طريق [illegible]

---

(١) المصدر السابق ٣/١٨٤.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ١١/٣٣٦.

الإنسان. قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (التين ٤-٥).

[illegible] وطمأنينة في [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وقد ذم الله الذين لا يذكرون الله [illegible] قال عز وجل: ﴿[illegible]﴾ (المؤمنون [illegible]).

وقال الله عز وجل: ﴿[illegible]﴾ (الأحزاب [illegible]).

وقال عز وجل: ﴿[illegible]﴾ (الأحزاب ٤١).

وقال عز وجل: ﴿[illegible]﴾ (الأعراف ٢٠٥).

مع هذا كله يجب أن يكون الداعي حاضر القلب، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله عز وجل أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل»(٢).

وقد أمر الله تعالى بحضور القلب والخشوع في الذكر والدعاء فقال سبحانه: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف ٢٠٥).

وروى مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج عند الدعاء حتى يكاد يسقط رداؤه فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال ٩) فأمده الله بالملائكة(٣).

---

(١) انظر: المصدر السابق ٢/٢٢٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible].

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب [illegible]

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء، وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها»(1).

فلابد للمسلم في دعائه من أن يحضر قلبه مع الله عز وجل، ويعني به أن يفرغ القلب من غير ما هو ملتبس به [illegible] وأن لا يكون الفكر مشغولاً في غير ما هو بصدده، ومهما انصرف في الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء، فقد حصل حضور القلب، وهذا أعظم شروط قبول الدعاء(2).

رابعاً: تحري أوقات ومواطن الإجابة:

من الأسباب الداعية إلى استحضار القلب تحري الأحوال المخصصة بالإجابة [illegible]

بد لا ذلك التعبد فيه، فمن تأمل نصوص الكتاب الكريم يلاحظ أن الأوقات ليست كلها سواء، فمنها ما تفتح فيها أبواب السماء، ولا يحجب فيها الدعاء، ومنها ما تنزل فيها الرحمة أكثر من غيرها، وفيما يلي ذكر لبعض هذه الأوقات والأحوال، والأماكن التي ترجى فيها الإجابة:

● جوف الليل ووقت السحر.

وقد مدح الله المستغفرين بالأسحار، قال عز وجل: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات: ١٧-١٨).

قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: هم المؤمنون، ويقال إن نبي الله يعقوب حين سأله أبناؤه أن يستغفر لهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۝ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يوسف: ٩٧-٩٨).

قال بعض أهل العلم: إنه أخر الاستغفار إلى السحر، وهي الساعة التي تفتح فيها أبواب السماء. قال ابن زيد: السحر هو السدس الأخير من الليل(3).

● يوم الجمعة.

وذلك لاجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ

[illegible]

(1) انظر: الجواب الكافي، [illegible]

(2) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي [illegible]

(3) انظر: جامع البيان للطبري [illegible]

جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٦-١٧).

● رمضان.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٥-١٨٦).

فقد ذكر سبحانه إجابة الدعاء عقب ذكره فريضة الصيام، وقال صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم»(١).

● ليلة القدر.

وهي آكد الليالي أهمية في استجابة الدعاء، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر: ١-٥).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»(٢). فعلى المؤمن أن يتحرى هذه الليلة، ويحييها بالصلاة والدعاء.

● حال السجود.

قال تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ (العلق: ١٩).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»(٣).

● الحرم المكي.

ويعظم الله فيه [illegible] من بعض الصحابة

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب في العفو والعافية (٥/٥٧٨) برقم (٣٥٩٨)، وابن ماجه في سننه، كتاب الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوته (١/٥٥٧) برقم (١٧٥٢). قال الترمذي: هذا حديث حسن. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ص (٣٦٥) برقم (٢٥٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات (٥/٥٣٤) برقم (٣٥١٣)، وابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية (٢/١٢٦٥) برقم (٣٨٥٠). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح (١/٦٤٦) برقم (٢٠٩١).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (١/٣٥٠) برقم (٤٨٢).

[illegible] لقد رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وهو يقول بين الباب والركن أو بين الحطيم والباب: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١)[20].

● المساجد.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩).

وأما قوله: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: ٢٩)

وقد اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم [illegible] في الصلاة إلى الكعبة [illegible] سواء من الأرض [illegible] وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية [illegible] من الأرض [illegible][21].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

[illegible] (النور: ٣٦-٣٨).

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] المسجد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»[22].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال: «بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك»، وإذا خرج قال: «بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك»[23].

خامسًا: الدعاء وقت الشدة والكرب:

لا شك أن الدعاء [illegible] إلى الله تعالى [illegible] المضطر الذي لا يجد غيره [illegible]

---

[20] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، جماع أبواب دخول مكة، باب القول في الطواف [illegible]

[21] جامع البيان للطبري [illegible]

[22] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يقول إذا دخل المسجد [illegible]

[23] أخرجه أحمد في مسنده [illegible]، وابن ماجه في سننه، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد [illegible]، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه [illegible]

يرجع إلى الحق سبحانه إلى ربه ولا يلجأ إلى من الأسباب التي لا تملك ضرًا ولا نفعًا، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (الإسراء: ٥٦).

فإذا لجأ الداعي إلى ربه بقلب سليم وكان صادقًا مخلصًا، فذلك تحقق الانقطاع الكامل والاضطرار الحقيقي إلى الله تعالى الذي هو من أسباب الإجابة، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل: ٦٢).

ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد المرجو عند النوازل كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٦٧).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (النحل: ٥٣).

وهكذا قال هاهنا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي: من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه[1].

المضطر المكروب هو ذو الضرورة المجهود الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى التضرع إلى الله تعالى، والمضطر إليه تعالى من الاضطرار، وقال السدي: الذي لا حول له ولا قوة، وقيل: المذنب إذا استغفر، وهو افتعال من الضرورة، واللام فيه للجنس لا للاستغراق، فلا يلزم منه إجابة كل مضطر، ويكشف السوء الذي يدفع عن الإنسان ما يسوءه[2].

وقد ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه، أما قوله تعالى: ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ فهو تخصيص للاستجابة فإنه لا يقدر أحد على كشف ما دفع إليه من فقر إلى غنى، ومرض إلى صحة، وضيق إلى سعة إلا القادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا ينازع[3].

والسبب في ذلك أن الضرورة إليه باللجأ ينشأ عن الإخلاص، وقطع القلب عما سواه، وللإخلاص عنده سبحانه موقع وذمة، وجد من مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/٢٠٣.

[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٣/٢٢٣، أنوار التنزيل، البيضاوي ٤/٢٦٩، مفاتيح الغيب، الرازي ٢٤/٢١٠.

[3] مفاتيح الغيب، الرازي ٢٤/٢١٠.

(يونس: ٢٢).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (النحل: ٥٣).

[illegible]

[illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ (العنكبوت: ٦٥).

[illegible] الاضطرار [illegible]

[illegible]

[illegible] الإجابة ولا القصد.

[illegible]

[illegible] (النمل: ٦٢).

[illegible]

من الأنبياء [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] والشكر بكل حال.

[illegible]

[illegible] في الآخرة.

[illegible] قال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ (الحشر: ١٠).

[illegible]

[illegible]

إلا يقع سافر بهذه الحكمة باشتمالها على المشيئة إلا تخصيص بعضها بالإيجاد في بعض الأوقات متصلاً على بعض الصفات والحالات لابد من مخصص حكيم[١].

سادساً: خفض الصوت في الدعاء:

من آداب الدعاء خفض الصوت بحيث يكون بين المخافتة والجهر كما قال عز وجل: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا يجهرون بالدعاء فلما نزلت هذه الآية أمروا أن لا يجهروا ولا يخافتوا، وتأويل الكلام - كما ذكر الطبري -: قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى، ولا تجهر يا محمد بقراءتك في صلاتك ودعائك فيها ربك ومسألتك إياه وذكرك فيها فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون، ولا تخافت بها فلا يسمعها أصحابك ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[٢].

والمراد بالصلاة: الدعاء، ربما قول عائشة رضي الله عنها والتي عروة وسفيان وروي هذا مرفوعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية: إنما ذلك في الدعاء والمسألة لا ترفع صوتك فتذكر فيريك فيسمع ذلك فيُعيَّر بها، فالجهر بالدعاء فيها حدٌّ والمخافتة هي الإسرار في خلاف والمستحب من ذلك التوسط وهو أن يسمع نفسه كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال لم يخافت من أسمع أذنيه.

ويروى عن الإمام مالك أنه قال: إنما أراد: هذه الآية ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ في الصلاة.

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

قوله: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ المراد منه أن يقع ذلك الذكر بحيث يكون متوسطاً بين الجهر والمخافتة كما قال تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ المعنى: أن يذكر ربه على وجه يسمع نفسه فإن المراد حصول الذكر اللساني، والذكر اللساني إذا كان بحيث يسمع نفسه فإنه يؤثر الخيال من ذلك الذكر، وتأثر الخيال يوجب قوة في الأثر القلبي الروحاني، ولا يزال يقوى

---

[١] أسرار التكرار: البغدادي ٢٠٣.

[٢] جامع البيان: الطبري ١٧/ ٥٨٨-٥٨٩.

[٣] انظر: مفاتيح الغيب الرازي (١١) ٧٢.

[illegible] من هذه الأذكار الإخفات، [illegible] تكرار هذه الأذكار من بعضها إلى بعض، وتغيير هذه الانعكاسات سببًا لتزيد القوة والعلاء والاكتشاف والترقي من حقيقي [illegible] عالم الأجسام إلى أنوار [illegible] والظلام[1].

كما أن الدعاء مع هذه الهيئة يكون كما قال الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ لأن الله يكون أبعد من الرياء [illegible] أثر السر فيما يخرج من أصناف البر أعظم أجرًا من الجهر، قال الحسن بن أبي الحسن: لقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض عمل يقدرون على أن يكون سرًّا فيكون جهرًا أبدًا[2].

ويعدّ العلامة ابن القيم فوائد لإخفاء الدعاء فيقول:

الأولى: أنه أعظم إيمانًا؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفي.

الثانية: أنه أعظم في الأدب والتعظيم، ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفع الأصوات، وإنما تخفض عندهم الأصوات، [illegible] الكلام بمقدار ما يسمعونه، ومن رفع صوته لديهم مقتوه، ولله المثل الأعلى، فإذا كان يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت.

الثالثة: أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده، فإن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل قد انكسر قلبه وذلت جوارحه وخشع صوته.

الرابعة: أنه أبلغ في الإخلاص.

الخامسة: أنه أبلغ في جمعية القلب على الله في الدعاء، فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته، فكلما خفض صوته كان أبلغ في تجريد همته وقصده للمدعو [illegible].

السادسة: أنه دال على قرب صاحبه من الله، وأنه لاقترابه منه وشدة حضوره يسأله مسألة أقرب شيء إليه، فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد.

السابعة: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال، فإن اللسان لا يمل، والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته، فإنه قد يكل لسانه وتضعف بعض قواه[1].

ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قومًا يرفعون أصواتهم بالدعاء أنكر عليهم فقال: «أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا»[2].

---

(1) المصدر السابق [illegible].

(2) تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ج٧ ص[illegible].

(1) التفسير القيم، ابن القيم ص[illegible].

(2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب [illegible] رقم [illegible]، ومسلم في صحيحه كتاب الذكر.

سابعًا: عدم الاعتداء في الدعاء:

ومن آداب الدعاء عدم الاعتداء فيه؛ فالاعتداء فيه من أسباب موانع إجابته، قال سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف: ٥٥).

وقد فسّر الاعتداء في معنى الآية، بتكلف السجع في عبارات الدعاء أو التفصيل فيه بتكلف(١).

ولذلك أشار ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما لعكرمة بقوله: فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك(٢)، يعني: لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب.

والأصل من صور الاعتداء في الدعاء أن يدعو الإنسان على نفسه أو على أحد أقاربه وأصدقائه وقد يكون الدعاء حالًا فيصيب القريب عليه بالهم حينًا بل قد يدمر الإنسان أحيانًا على نفسه وولده ثم يندم بعد ذلك، فلمصيبة الدعوة تلازم هذا الإنسان إلى الأبد. قال عز وجل: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ (يونس: ١١).

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولو يعجل الله للناس إجابة دعائهم في الشر، وذلك فيما عليهم مضرة في نفس أو مال ﴿اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ يقول: كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة إذا دعوه به ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ يقول: لهلكوا، وعجّل لهم الموت وهو الأجل(٣).

والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، (٤/٢٠٧٦)، رقم (٢٧٠٤).

(١) الأذكار للنووي ص(٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب ما يكره من السجع في الدعاء، (٨/٧٤) رقم (٦٣٣٧).

(٣) جامع البيان (١٥/ ٣٢).

أنواع الدعاء

ينقسم الدعاء في القرآن إلى دعاء مشروع ودعاء ممنوع وسوف نعرض لهما في النقاط الآتية:

أولًا: الدعاء المشروع:

إن أعظم الأدعية الممدوحة هي تلك التي ترد من الأنبياء عليهم السلام.

وباستقراء آيات القرآن الكريم نجد كثيرًا من أدعية الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، والناظر فيها يعلّم المسلم كثيرًا من آداب الدعاء [illegible] الكثيرة [illegible] كيف يدعو [illegible] الأنبياء والمرسلين [illegible] المسلم [illegible] والاستجابة.

وقد اهتم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم من عباد الله الصالحين بالدعاء [illegible] في القرآن ومن أمثلة:

● آدم عليه السلام:

ذكر القرآن الكريم ما كان من وسوسة الشيطان لآدم عليه السلام ﴿[illegible]﴾ (البقرة: 37).

[illegible] عليه السلام [illegible] إلى الله [illegible]

واعترف بالذنب [illegible] قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا [illegible] الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: 23).

[illegible] الكلمات التي [illegible][1].

وكانت الأدعية [illegible] بالاستغفار [illegible] ﴿[illegible]﴾ (الأعراف: [illegible]).

ثم أكرمه الله بالاستغفار فقال عز وجل: ﴿[illegible]﴾ (آل عمران: [illegible]).

[illegible] بالاستجابة فقال عز وجل: ﴿[illegible]﴾ ([illegible]).

● نوح عليه السلام:

فقد سجّل القرآن ما كان من حرص نوح عليه السلام على دعوة قومه ليلًا ونهارًا [illegible] ﴿[illegible]﴾

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ([illegible]).

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [نوح: ٢٦-٢٧].

وسبب الدعاء عليهم من إهلاكهم [illegible] الله سبحانه وتعالى [illegible] من أصلابهم إلا الكفار، ولا [illegible] من علم الغيب، ولكن الله سبحانه وتعالى [illegible] قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]، فعند ذلك دعا عليهم نبي الله نوح(١).

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي: [illegible] الله سبحانه وتعالى من في الأصلاب والأرحام من المؤمنين، أوحى الله إليه(٢).

وقال السعدي: [illegible] علم [illegible] الله [illegible] ومن معه من المؤمنين(٣).

وقد استجاب الله عز وجل دعاء نوح عليه السلام على قومه [illegible] ومن آمن معه قال تعالى: ﴿[illegible]﴾

﴿[illegible]﴾ [القمر: ١٠-١٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ۝ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ٧٥-٧٦].

وقال: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا [illegible]﴾ [الأنبياء: ٧٦-٧٧].

● إبراهيم عليه السلام.

وكذلك [illegible] إبراهيم عليه السلام [illegible] بالدعاء والمناجاة قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]: إنه كان يكثر من الدعاء(٤).

قال الله تعالى عن دعائه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٣-٨٥].

فاستجاب الله له قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

---

(١) جامع البيان [illegible].

(٢) أحكام القرآن [illegible].

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٢٢.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible].

وقال في قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

﴿[illegible]﴾ [illegible]

وكانت الاستجابة لدعائه عليه السلام [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

وقال [illegible] إسماعيل [illegible] ﴿[illegible]﴾ (البقرة: [illegible])

وقوله تعالى [illegible]: ﴿[illegible]﴾ (إبراهيم: [illegible])

وقوله [illegible]: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

جاء في قوله: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

- نوح عليه السلام

[illegible] نوح عليه السلام [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

- لوط عليه السلام

[illegible] لوط عليه السلام [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (العنكبوت: [illegible])

- يعقوب عليه السلام

[illegible] يعقوب عليه السلام [illegible] ﴿[illegible]﴾ (يوسف: [illegible])

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (يوسف: [illegible])

[illegible] يعقوب عليه السلام [illegible] ﴿[illegible]﴾

[illegible]

[illegible]

[illegible]

● يوسف عليه السلام

ودعا يوسف عليه السلام ربه حين [illegible] ﴿[illegible]﴾ (يوسف: ٣٣-٣٤)

ويلاحظ دعاء المرسلين على ما كان من [illegible] في تبليغ الرسالة [illegible]

● موسى عليه السلام

ولقد دعا موسى عليه السلام ربه [illegible] ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي [illegible]﴾ (طه: ٢٥-٣٥)

ولقد استجاب الله له ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾ (طه: ٣٦)

[illegible]

عن موسى وهارون: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

فدعا عليهم بهلاك الأموال، أو جعلها غير منتفع بها لأنهم يستعملون الأموال في سبيل الإضلال [illegible]، وكذلك دعا عليهم بقساوة القلوب [illegible] حتى يروا العذاب [illegible][1].

وقد استجاب الله لهما: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

● يونس عليه السلام.

وكذلك دعوة يونس عليه السلام التي ورد ذكرها في القرآن مقرونة بذكر الاستجابة لها، قال الله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

إذ ذهب مغاضبًا لقومه لما لم يؤمنوا [illegible] وكذلك [illegible] وقيل: [illegible] العذاب عليهم [illegible] ولم يصبر [illegible] وهو من [illegible] المبالغة [illegible] لقومهم [illegible][2].

عن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»[3].

● سليمان عليه السلام.

وسليمان عليه السلام آتاه الله الملك، وسخر له الريح، [illegible] ودعا الله بأن لا يكون هذا الملك لأحد من بعده، فقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

فسأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده [illegible] أي لا ينبغي لأحد سواي من أهل زماني [illegible]

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible]، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص [illegible].

[2] [illegible]

[3] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، [illegible] وصححه الألباني في صحيح [illegible].

[illegible]

أيوب عليه السلام

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

زكريا عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible]

عيسى عليه السلام

[illegible]

[illegible]

﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٠)

● محمد صلى الله عليه وسلم:

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه يلجؤون إلى الدعاء وفي هذا تعليم للأمة وتربية في حسن التوجه إلى الله، يسجل القرآن عليه ويقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٧-١٤٨)

وفي يوم بدر حيث التقى الجمعان، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه واستنصره مخبتاً إليه حتى سقط رداؤه، فأمده الله تعالى بألف من الملائكة مردفين، ولاحقه بتمام الانتصار[١].

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ٩-١٠) فأمده الله بالملائكة[٢].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ۝ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: ١٢٣-١٢٦).

ويبقى لنا الدعاء موردًا من المدد الكريم [illegible] من عند الله في [illegible] البشرية، [illegible] الذين قالوا ربنا أفرغ علينا صبرًا [illegible]

---

[١] انظر البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٧٥.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة، ٣/ ١٣٨٣، رقم ١٧٦٣.

النزع بأسباب ظاهرة لكثرة العدد والعدة في صف جالوت وجنوده طلبوا من الله النصر في ضراعة فنصرهم الله عليهم.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠-٢٥١].

وفي كل المراحل التي تمر بها المسلمون فيها بجهادهم لنصرة الدين وإعلاء كلمة الله كان التعويل على الدعاء بعد الأخذ بالأسباب ويزول به اليأس من انقطاع الأسباب أو الانهزام أمام [illegible] أخرى.

ويأنس المسلمون بما تحدث في القرآن من أدعية الصالحين من عباد الله المؤمنين، إذ يلازم الدعاء إخلاص عبوديتهم لله وتمسكهم بدينه، وجهادهم في سبيله، [illegible] على عبوديتهم الخالصة لله التي تملأ قلوبهم يقينًا بالاستجابة به وعدها فلا [illegible] ولا [illegible] سواه، مع استحضار هذه المعاني في القلوب يكون الصراط المستقيم [illegible] رحمة الله [illegible]

الله في كل صلاة بسؤاله الهداية إلى هذا الصراط، يخرج المسلمون بهذا الدعاء في كل صلاة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥-٦].

ويهتم المسلم به كل يوم في فاتحة الكتاب -التي لا صلاة إلا بها- بهذا الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

إن الهدف الحقيقي الذي يخرج المسلم بهذا الدعاء العظيم لأجله هو الهداية للصراط المستقيم، وهو صراط وسط بين سبيل من حل عليه الغضب ومن زل في الضلالة.

﴿ [illegible] ﴾ دعاء ورغبة من المربوب إلى الرب سبحانه للدلالة على الصراط المستقيم وإرشاده إليه، وأن يوفق [illegible] السالك [illegible] يقول بعض العلماء: فجعل الله جل وعز عظم الدعاء وجملته موضوعًا في هذه السورة [illegible] ويجعل هذا الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي يدعو به الداعي؛ لأن هذا الكلام قد تكلم به رب العالمين، فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذي تكلم به، وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ على [illegible]

الله من النصارى[1].

والصراط الذي يسأل المؤمنون ربهم أن يهديهم إليه صراط من [illegible] بالنعمة غير ضال ولا مغضوب عليه، والمغضوب [illegible] الضلالة إلى اليهود أهل الكفر في الدين، والنصارى أهل الكفر في الرهبانية، ولا [illegible]

[illegible] «المغضوب عليهم» و«الضالين» من [illegible] «فالمغضوب عليهم اليهود، والضالين النصارى»[2].

[illegible] المؤمنين [illegible] قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ١٠٥].

قال أبو جعفر: [illegible] قوله: ﴿[illegible]﴾ يعني [illegible] العهد كما قال جل ثناؤه: ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: ٥١].

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] اليهود والنصارى الذين [illegible] على أهل [illegible] إلى [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] التي أهل من النبيين[3].

[illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الشورى: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] جامع البيان (١/ [illegible]).

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الذين [illegible] ﴿[illegible]﴾ ([illegible]).

[illegible] من أهل الإيمان، [illegible] الله -تعالى- [illegible] محمدًا صلى الله عليه وسلم [illegible]"(1).

وأيضا فقد كان من الدعاء المحمود الدعاء للمسلمين [illegible] ويشهد لذلك من دعاء إبراهيم عليه السلام [illegible] بقوله: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: 37).

قال ابن كثير في تفسير قوله: ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ أي: ليكون ذلك عونا لهم على طاعتك، [illegible] غير ذي زرع فاجعل لهم ثمارا [illegible] وقد استجاب الله ذلك كما قال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص: 57).

وهذا من لطفه تعالى وكرمه [illegible] البلد الحرام مكة شجرة مثمرة، وهي تجبى إليها ثمرات ما حولها، استجابة لدعاء الخليل عليه السلام"(1).

[illegible] المؤمنون خير الدنيا وخير الآخرة: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: 201).

قال أبو جعفر: [illegible] ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ولا [illegible] الدنيا والآخرة [illegible]"(2).

جاء في تفسير الرازي [illegible] الدنيا [illegible] الآخرة [illegible] الدنيا والآخرة"(3).

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ﴿حَسَنَةً﴾ التي ذكر الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: يعني بذلك [illegible]

---

(1) تفسير القرآن العظيم [illegible].

(2) جامع البيان [illegible].

(3) مفاتيح الغيب [illegible].

يقول: ربنا أعطنا عافية في الدنيا وعافية في الآخرة، والله أعلم. [illegible] بالـ﴿حسنة﴾ في هذا الموضع في الدنيا: العلم والعبادة، وفي الآخرة: الجنة. وقال آخرون: ﴿حسنة﴾ في الدنيا: المال، وفي الآخرة: الجنة. وقيل: في الدنيا حسنة امرأة صالحة، وفي الآخرة حسنة الجنة والحور العين. وقيل: ﴿في الدنيا حسنة﴾ رزقاً حلالاً، وعملاً صالحاً، ﴿وفي الآخرة حسنة﴾ المغفرة والثواب.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن قوم من أهل الإيمان به [illegible] حج بيته يسألونه ربهم الحسنة في الدنيا والحسنة في الآخرة، وأن يقيهم عذاب النار. وقد تجمع الحسنة من الله عز وجل العافية في الجسم والمعاش والرزق والعلم والعبادة، وغير ذلك. وأما في الآخرة فلا شك أنها الجنة لأن من لم ينلها يومئذ فقد حرم جميع الحسنات وفارق جميع معاني العافية(1).

[illegible]

﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٥).

ولقد دعت امرأة عمران - أم مريم البتول - ربها لطفلها أن يقيها وذريتها من الشيطان الرجيم، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران: ٣٦).

أما في الآخرة [illegible] عباد الرحمن من النار، سائلين الله عز وجل أن يقيهم إياها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥).

ويسألونه الجنة ونعيمها كما ورد في [illegible]: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (غافر: ٨).

[illegible] الأنبياء والمرسلين كثيراً من آداب الدعاء [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] من الله عز وجل [illegible]

---

(1) انظر: جامع البيان [illegible].

عَلِيمٌ﴾ ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت ٣٦).

وقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يدعو: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (المؤمنون ٩٧).

وهمزات الشياطين: خطراتها التي تخطرها بقلب الإنسان(١). وأمر كذلك بقوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ (المؤمنون ٩٨).

فقد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يتعوذ به تعالى من حضورهم بعدما أمر بالعوذة من همزاتهم المبالغة في التحفظ من ملابستهم وإعادة الفعل مع تكرير النداء لإظهار كمال الاعتناء بالمأمور به، وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وحال حلول الأجل كما روي عن عكرمة رحمه الله لأنها أحرى الأحوال بالاستعاذة منها(٢).

وقد أمر الله عز وجل رسوله بأن يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه ١١٤).

أي: أن يطلب الزيادة في العلم الرباني، ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم(٣).

ومن الخير أن يحمد الداعي في دعائه نفسه وقدوته في هذا إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم ٤١).

قال القرطبي: استغفر إبراهيم لوالديه قبل أن يثبت عنده أنهما عدوان لله(١).

كان إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه مدة حياته فلما مات على الشرك وتبين لإبراهيم أنه عدو لله رجع عن الاستغفار له، وتبرأ منه(٢) كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة ١١٤).

ويدعو نوح عليه السلام بقوله: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (نوح ٢٨).

دعا لنفسه ولوالديه وللمؤمنين، وبدأ بنفسه كما قال: ابدأ بنفسك ثم بمن تعول(٣).

ويدعو الداعي لمن دخل بيته مؤمنًا من بر المؤمن بالمؤمن، وحب الخير لأخيه كما يحبه لنفسه، وتخصيص الذي يدخل بيته مؤمنًا لأن هذه كانت علامة النجاة وعصم المؤمنين الذين سيصحبونه معه في السفينة، ويعقب العام بعد ذلك للمؤمنين والمؤمنات من بر المؤمن بالمؤمنين كافة في كل زمان ومكان، وشعوره بالأسرة الكبرى

---

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٥/٣٦٢.
(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٦/١٦٠.
(٣) الكشاف للزمخشري ٢/٨٠.

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩/٣٧٦.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٥٤١.
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/٣١٤.

على مدار الزمن، واختلاف المكان، يعبر السر العجيب في هذه الظاهرة التي تربط بين أصحابها على تباعد الزمان والمكان[1].

ولا يجوز الدعاء بالمغفرة والرحمة لغير المسلم، فقد نهى الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار للمشركين، كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (التوبة: ١١٣).

وذلك سبب نزول هذه الآية وعد النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب بالاستغفار، كما في حديث سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه أنه أخبره: أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب: يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فأنزل الله تعالى فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾[2].

ويرد النهي عن الاستغفار للمشركين لوعيد الله عز وجل إياهم بعدم المغفرة لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ١١٦).

ولأن الاستغفار لهم طلب لما يخالف وعيد الله[3].

ويدخل في النهي عن الاستغفار للمشركين النهي عن الاستغفار للمنافقين؛ لقوله عز وجل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (المنافقون: ٦).

وإبراهيم عليه السلام قدوة وأسوة حسنة لهذه الأمة إلا في شأن الاستغفار لأبيه المشرك، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾

---

[1] في ظلال القرآن ٣/١٧١٧.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، رقم ١٣٦٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله، رقم ٢٤.

[3] انظر: [illegible]

﴿... مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

أي: لكم في إبراهيم عليه السلام وقومه أسوة حسنة تتأسون بها إلا في استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه لأنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه[1].

ثانيا: الدعاء المذموم:

إن من أوضح صور الأدعية المذمومة ما جاء عن الكافرين والضالين.

وقد سجلت آي القرآن بعضا من أدعية الكافرين ممن أعرضوا عن الصراط المستقيم، [illegible] إبراهيم [illegible] التكذيب [illegible] من سبيل الغي سبيلا في الدنيا ومن [illegible] في الآخرة.

[illegible]

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

والقط: القسط من الشيء لأنه قطعة منه، من قطه إذا قطعه، ويقال لصحيفة الجائزة: قط، لأنها قطعة من القرطاس، ولذا فسر بهما قوله تعالى: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي: نصيبنا من العذاب الذي وعدته، وقيل: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة، فقالوا على سبيل الهزء: عجل لنا نصيبنا منها أو عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها[2].

[illegible] على سبيل الاستهزاء: [illegible] فأمر الله بالصبر على [illegible] فقال: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ص: ١٧].

[illegible] وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش: يا ربنا عجل لنا [illegible] قبل يوم الحساب، فقالوا: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

أي: نصيبنا وحظنا من العذاب قبل يوم القيامة [illegible] وقال آخرون: بل إنما سألوا ربهم تعجيل أنصبائهم ومنازلهم من الجنة حتى يروها فيعلموا حقيقة ما يعدهم محمد صلى الله

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

[2] انظر: الكشاف للزمخشري [illegible]

[3] مفاتيح الغيب للرازي [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible]

﴿[illegible]﴾ (المطففين: [illegible])

في الدنيا [illegible] أهل الجنة [illegible] من أهل النار [illegible] يوم القيامة [illegible]

[illegible] في ذلك [illegible]

[illegible] من الكفر [illegible] الآخرة [illegible] يوم القيامة [illegible] الله [illegible] ﴿[illegible]﴾ (ص: [illegible])

[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الله صلى الله عليه وسلم [illegible] ﴿[illegible]﴾ (ص: [illegible])

[illegible] من [illegible] والشرك[1].

[illegible] ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ [illegible]﴾ (الأنفال: [illegible])

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] والتمين[2].

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (الأنفال: [illegible])

[illegible] اللهم إن كان [illegible]

---

[1] انظر: جامع البيان للطبري [illegible]

[2] الكشاف للزمخشري [illegible]

[illegible] حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [illegible]

[illegible]

[illegible] رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ [illegible] (إبراهيم: ٤٤).

[illegible]

[illegible] ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (الأعراف: [illegible]).

وقوله في موضع آخر: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الأعراف: [illegible]).

[illegible]

(ثالثاً): دعاء المرء على نفسه بالشر:

[illegible]

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (يونس: ١١).

[illegible]

قال ابن عاشور رحمه الله: [illegible]

وفي النهي عن الدعاء على النفس روى مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»[3].

[illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، [illegible]

[1] [illegible]

ثانياً: الدعاء

الدعاء في القرآن الكريم والسنة:

أولاً: إعطاء السائل ما طلب:

الدعاء باب مفتوح للعبد إلى ربه سبحانه يلتمس من خلاله كل ما يحتاج إليه في حياته من صحة الأبدان وسعة الأرزاق والخلاص من البلاء والنصر على الأعداء وهذا الشيء كان يقوم به الأنبياء عليهم السلام، والله تعالى يحب أن يسأله العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم من المطاعم والمشارب كما يسألونه الهداية والمغفرة والفوز والعافية في الدنيا والآخرة"(1).

قال الإمام الخطابي رحمه الله: الله تعالى يستحب الدعوات، ويقتضي الحاجات(2).

والدعاء أكرم شيء على الله، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس شيء أكرم على الله من الدعاء"(3).

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 162).

والدعاء عبادة له أثره البالغ ونتائجه العظيمة لذلك أمرنا الله عز وجل في محكم كتابه والأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فكم من محتاج رفعها الله عز وجل بالدعاء وكم من مصيبة أزاحها الله عز وجل بالدعاء، وقد أورد القرآن الكريم جملة من الأدعية التي استجابها الله تعالى بمنه وفضله وكرمه.

ويعني النظر في آيات الدعاء في القرآن الكريم إلى كرم الله سبحانه بعباده ورأفته بهم ورحمته بخلقه.

وسنعرض بعضاً من الأمثلة الدالة على إعطاء السائل ما طلب:

- إبراهيم عليه السلام.

طلب إبراهيم عليه السلام من ربه أن يبعث في أهله ذريته الساكنة رسولاً: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: 129).

وقد طلب أن يكون الرسول منهم لأنه يكون أشفق على قومه من أمر بالشرف، وأقرب للإجابة لأنهم يعرفون منشأه ووصفه وأخلاقه(4)، فاستجاب الله هذا

---

(1) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب (1/ 2...).

(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ص...

(3) أخرجه أحمد في مسنده (14/ 360) رقم 8748، والبخاري في الأدب المفرد ص 249 رقم 712، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص 255 رقم 549.

(4) انظر البحر المحيط، أبو حيان (1/ 391).

الرسول القرآن وما يكمل به شخصيتهم من أعلام الشيم والمعارف الحقة، ويطهرهم من شتى الشرك وغيره[1].

وقد استجاب الله دعاء إبراهيم فقال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١)

وكذلك بعد طلب الولد والذرية على لسان إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: ١٠٠)

فاستجاب الله دعاءه وبشره بغلام حليم وهو إسماعيل قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠١)

ثم أنعم الله على إبراهيم فرزقه ابنه إسحاق حين دعاه وبشره به ثم من إسحاق يعقوب زيادة على ذلك: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٢)

● نوح عليه السلام

دعا نوح ربه فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح: ٢٦)

وأخبر الله عن دعائه فقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ (القمر: ١٠)

واستجاب الله دعاء نوح عليه السلام فقال: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنبياء: ٧٦)

● زكريا عليه السلام

زكريا عليه السلام الذي دعا ربه أن يهب له الولد ليرثه ويرث من آل يعقوب فدعا ربه فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٩) و﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: ٣٨)

فاستجاب له دعاءه ووهب له على الكبر ابنه يحيى، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠)

● سليمان عليه السلام

طلب سليمان عليه السلام من ربه أن يهبه الملك في قوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص: ٣٥)

ولم يكن سؤاله عليه السلام طلبًا لشيء الدنيا [illegible] [illegible] [illegible] الله فيها [illegible] [illegible] [illegible] نوح [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] إلى ذلك [illegible] [illegible] من عليها وأعطى سليمان الملك[1].

---

[1] إرشاد العقل السليم، أبو السعود (١/١٦٦).

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٥/٢٠٤).

أما قوله: ﴿إِنِّي قَرِيبٌ﴾ [illegible] الإجابة(١).

وقد استجاب الله لعباده قال تعالى: ﴿[illegible] خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ [illegible]﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

[illegible]

ثالثًا: الأمر بالدعاء:

من عظيم رحمة الله بخلقه وكرمه البالغ عليهم أن جعل للدعاء [illegible] قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

والدعاء صلة بين المسلم [illegible] كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ولقد ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم الأمور التي لا تنقطع من الميت بعد موته ومنها الدعاء فقال: (أو ولد صالح يدعو له)(٣).

والدعاء سبب [illegible] والكروب ورفع الدرجات واستجلاب الخير ودفع الشر، ومن ترك الدعاء فقد سد على نفسه أبوابًا كثيرة من الخير، ولهذا ذكر شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله عشرة أسباب [illegible] دعاء المؤمنين للمؤمن، مثل صلاتهم على جنازته(٤).

إن الدعاء من العبادات العظيمة التي أمر الله بها عباده المؤمنين، [illegible] ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ [illegible]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص [illegible].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، [illegible] برقم (١٦٣١).

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية [illegible].

[illegible] (الأنعام: 41) [illegible] (الأنعام: 63) [illegible]

[illegible] رفع المصائب والبلاء

[illegible] رفع البلاء [illegible] عليه السلام: ﴿[illegible]﴾ (الأنبياء: 83).

وقال عن [illegible] عليه السلام: ﴿[illegible]﴾ (إبراهيم: [illegible]).

أي: [illegible] الإجابة في الدعاء [illegible]

[illegible]

ومن أمثلة أيضا رفع [illegible] قال الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة: [illegible]).

[illegible] أيوب عليه السلام في حالة الدعاء [illegible] الراحمين.

[illegible]

وإذا ركب المشركون [illegible] الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (العنكبوت: 65).

[illegible]

الاضطرار، التسبيح، الحمد، الشكر، السؤال.

---

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3) [illegible]

(1) [illegible]

الدعوة

عناصر الموضوع

مفهوم الدعوة ٣٦٦
الدعوة في الاستعمال القرآني ٣٦٧
الألفاظ ذات الصلة بالدعوة ٣٦٨
إسناد الدعوة إلى الله تعالى ٣٧٠
مقاصد الدعوة ٣٧٦
قواعد الدعوة ٣٨١
المدعو إليه ٣٨٦
أساليب الدعوة ٣٩١
مواقف المدعوين من الدعوة ٣٩٥
نماذج من الدعاة ٤٠١
ثمرات الدعوة ٤٢١

مفهوم الدعوة

يعتبر موضوع الدعوة [illegible] من الأمور المهمة التي ورد الحديث عنها في القرآن الكريم وسوف أتحدث عن هذا الموضوع فيما يلي:

أولاً: المعنى اللغوي:

الدعوة [illegible]

[illegible]

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

[illegible]

[illegible] الإسلام [illegible] وهي في القرآن الكريم

---

(1) انظر لسان العرب [illegible]

(2) انظر [illegible]

(3) انظر [illegible]

(4) انظر [illegible]

(5) انظر [illegible]

(6) انظر [illegible]

الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم.

والدعوة إلى فعل الخير يندرج تحتها نوعان: أحدهما: الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الأمر بالمعروف، والثاني: الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر(١).

فهي الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله وذلك بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا(٢).

والأصل في ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضي الله عنه على اليمن قال: إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله... الحديث(٣).

فالدعوة في اللغة هي: إطلاق الدعاء والنداء إلى الشيء، والمعنى الاصطلاحي يتبين أن هذا المعنى للدعوة هو: دعوة إلى الإيمان بالله تعالى، واتباع كتابه والسير على منهج رسوله صلى الله عليه وسلم، والدعوة إليه من أشرف الأعمال عند الله.

---

(١) انظر: كتاب [illegible] ٢/ ٣٠٢.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٥/ ١٥٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ٢/ ١١٩، رقم ١٤٥٨.

الدعوة في الاستعمال القرآني

ورد الجذر (دعو) في القرآن الكريم (٢١٢) مرة، بحيث يتمحور موضوع البحث منها (١٠٥) مرات[1].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد الورودات	المثال
الفعل الماضي	٧	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [فصلت ٣٣]
الفعل المضارع	١٠٦	﴿[illegible]﴾ [illegible]
فعل الأمر (دعا)	٣٢	﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ﴾ [النحل ١٢٥]
اسم الفاعل	٣	﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف ٣١]
اسم	٢٠	﴿[illegible]﴾ [illegible]
مصدر	١٠	﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد ١٤]

وجاءت الدعوة في القرآن الكريم بمعناها في اللغة وهي مصدر دعا، أي: نادى وطلب ميلًا إلى الأمر، حثًا عليه[2].

---

[1] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٥٧-٢٦٠.
[2] انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، ١/٧٣٧.

الألفاظ ذات الصلة بالدعوة

الهداية

الهداية لغةً:

أصل الهداية في اللغة التقدم ولكن شاع الهادي من الذي يتقدم للإرشاد من أهله[1]، والهدى: الرشاد والدلالة ضد الضلالة[2].

الهداية اصطلاحًا:

الهداية هي الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، ويقال هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب[3].

الصلة بين الهداية والدعوة:

الدعوة هي طريق الهداية، فالهداية غاية والدعوة وسيلة.

الموعظة

الموعظة لغةً:

الوعظ: التخويف، والاسم: العظة، وهو التذكير بالخير وما يرق له القلب[4].

الموعظة اصطلاحًا:

الموعظة: وهي ما يوعظ به من قول أو فعل[5].

الصلة بين الموعظة والدعوة:

الموعظة إحدى وسائل الدعوة وأكثرها استعمالاً، لجعل المدعو سريع الاستجابة.

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس ٤٢/٦.

[2] تهذيب اللغة للأزهري ٢٠٠/٦.

[3] التعريفات للجرجاني ص٢٥٦.

[4] مقاييس اللغة لابن فارس ١٢٦/٦.

[5] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٠٤٢/٢.

أسماء الدعوة إلى الله تعالى

تقدم معنا أن الدعوة لها ألفاظ ودلالات ومعان عدة، وأهم هذه المعاني هي: أن الدعوة دعوة إلى عبودية الله وحده باتباع رسوله والرسالة به.

ومن عظيم رحمة الله تعالى أنه يدعو عباده بنفسه، ومعنا إذ دل هذا يدل على عظيم كرمه وجزيل إحسانه، وبيان ذلك كما يلي:

أولاً: دعوة الله تعالى عباده إلى المغفرة:

جاء في آيات الدعوة الواردة في القرآن الكريم أن الله تعالى يدعو عباده بنفسه ويمكن أن نجمل تلك الدعوة في السبيل:

الآيات الصريحة في دعوة الله تعالى عباده إلى مغفرته:

وهذا كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

يعني تعالى ذكره: هؤلاء الذين حرمت عليكم -أيها المؤمنون- مناكحتهم من رجال أهل الشرك ونسائهم يدعونكم إلى النار، يعني: يدعونكم إلى العمل بما يدخلكم النار، وذلك هو العمل الذي هم به عاملون من الكفر بالله ورسوله، فلا تقبلوا منهم ما يقولون، ولا تستنصحوهم، ولا تنكحوهم ولا تنكحوا إليهم، فإنهم لا يألونكم خبالاً، ولكن اقبلوا من الله ما أمركم به فاعملوا به، وانتهوا عما نهاكم عنه[1]، فإنه يدعوكم إلى الجنة ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ أي: يدعو عباده لتحصيل الجنة والمغفرة التي من آثارها دفع العقوبات، وذلك بالدعوة إلى أسبابها من الأعمال الصالحة، والتوبة النصوح، والعلم النافع، والعمل الصالح[2]، ويدعوكم إلى مخالطة المؤمنين الذين أرسل الله إليهم الرسل[3].

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠].

أي: يدعوكم إلى التوحيد ليغفر لكم من ذنوبكم[4]، والدعوة أصلاً دعوة إلى الإيمان الموصل إلى المغفرة، ولكن السياق يجعل الدعوة سائرة للمغفرة لفضل

---

[1] جامع البيان للطبري (٢/ ٣٧١).
[2] تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٩٩.
[3] [illegible]
[4] [illegible]

الله وحده، [illegible] إلى المغفرة [illegible] الدعوة [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] مع الدعوة للمغفرة لا يعجلكم بالإهلاك [illegible] إنما [illegible] إلى أجل مسمى[1] [illegible] ولا [illegible] إلى [illegible] يحقه [illegible][2].

ففي الآيات [illegible] الله الكريم [illegible] سبحانه وتعالى:

- دعوة [illegible] إلى [illegible].
- دعوة [illegible] إلى مغفرته التي لا [illegible].

ومن الآيات التي تتضمن دعوة الله تعالى [illegible] إلى مغفرته قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (آل عمران: ١٣٣).

أي: سارعوا إلى ما يوجب المغفرة وهي الطاعة [illegible][1]، [illegible] الحصول على مغفرة الله تجب المسارعة إليه.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ [illegible]﴾ (الصف: [illegible]).

[illegible] في [illegible][2] [illegible] دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] بمغفرة الله [illegible].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الحديد: ٨).

أي: وأي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به[3].

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].
(2) [illegible].

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [illegible].
(2) محاسن التأويل، القاسمي [illegible].
(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible].

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible] ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الحديد ٢١)

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الصف ١٢)

فهذه الآيات تتضمن الدعوة من الله تعالى لعباده أن يسارعوا [illegible] إلى مغفرة الله [illegible] إلى مرضاته [illegible]

ثانيا: دعوة الله تعالى لعباده إلى الجنة:

جاء في القرآن الكريم دعوة الله تعالى لعباده إلى جنته مباشرة، ويمكن أن نمثل لها بالآيات التي تدل على ذلك في قسمين:

١. الآيات الصريحة في دعوة الله تعالى لعباده إلى جنته.

ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

﴿[illegible] أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ [illegible]﴾ (البقرة ٢٢١)

فهم يدعونكم إلى العمل بما يدخلكم النار [illegible] (١) [illegible] (٢) [illegible] والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه [illegible] دعوة المشركين إنما هي دعوة إلى النار [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] (٣).

فمن عمل بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد استجاب لدعوة الله له إلى الجنة، ومما يدخل في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الأنفال ٢٤)

وقوله صلى الله عليه وسلم: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»(٤).

---

(١) جامع البيان للطبري [illegible]

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي [illegible]

(٣) انظر: في ظلال القرآن [illegible]

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب [illegible]

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ (يونس:٢٥).

يقول تعالى ذكره لعباده: أيها الناس، لا تطلبوا الدنيا وزينتها فإن مصيرها إلى فناء وزوال، كما مصير النبات الذي ضربه الله لها مثلاً إلى هلاك وزوال، ولكن اطلبوا الآخرة الباقية، ولها فاعملوا، وما عند الله فالتمسوا بطاعته، فإن الله يدعوكم إلى داره وهي جناته التي أعدها لأوليائه، تسلموا من الهموم والأحزان فيها، وتأمنوا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التي أعدها لمن دخلها، وهو يهدي من يشاء من خلقه فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم، وهو الإسلام الذي جعله جل ثناؤه سببًا للوصول إلى رضاه، وطريقًا لمن ركبه وسلك فيه إلى جنانه وكرامته[3].

ثم إن الله تعالى دعا عباده إلى دار السلام، والحث على ذلك والترغيب، وهي [illegible] من [illegible] فضله وإحسانه، والله يختص برحمته من يشاء، [illegible] ولا أحد [illegible] الله الجنة دار السلام [illegible] من جميع الآفات والنقائص، وذلك الكمال فيها [illegible] وإحسانه ويقلبه، ويصونه من كل وجه[1]، إنها لدعوة الله التي [illegible] أن تتلمس في [illegible] حتى [illegible] إلى دار السلام[2].

وإذا [illegible] الله تعالى من الدعوة السابقة [illegible] فقال: ﴿[illegible]﴾ ([illegible]).

٢. الآيات التي تتضمن دعوة الله عباده إلى جنته[3].

وهذه الدعوة القصصية تتمثل في طياتها معنى الترغيب والوعد، فقد دعا الله عباده إلى الجنة مشوقًا إليها وحاثًا لهم على العمل من أجل الحصول عليها [illegible] في آثار الجنة [illegible] حيث [illegible] كما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ ([illegible]).

---

[1] [illegible] باب الاعتصام بسنن رسول الله [illegible]

[2] [illegible]

[3] جامع البيان الطبري ١٥/٩٧.

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير [illegible] السعدي ص٣٦٦.

[2] في ظلال القرآن سيد قطب [illegible]

[3] انظر: صفة الجنة في القرآن الكريم [illegible]

أي: إذا كانت تلك النعمة للمتقين جزاءً على أعمالهم، وصرّح بمجيئه [illegible] ﴿[illegible]﴾ أي: ما يشتهونه من النعيم وضروب الملاذ(1).

وجاءت ظرفية [illegible] في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

يقول: [illegible] الآخرة المعدة التي كنتم توعدونها في الدنيا على إيمانكم بالله واستقامتكم على طاعته(2).

وجاءت مرفوعة [illegible] كما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الرحمن: [illegible]].

وهذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره، يقول الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] الله عز وجل يوم القيامة ﴿[illegible]﴾ [الرحمن: [illegible]].

ولم يطغ ولا آثر الحياة الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى [illegible] بالواجب [illegible] الله يوم القيامة [illegible] جنتان كما ذكر البخاري عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)(1).

وجاءت مجرورة مرة في موضع واحد فقط وهو قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الشورى: [illegible]].

أي: أنهم في روضات الجنات [illegible] والصفة [illegible] والأشجار [illegible] والطيور [illegible] والأصوات [illegible] والاجتماع بكل حبيب [illegible] [illegible] فهم في الجنات [illegible]

---

(1) فتح القدير، الشوكاني [illegible].

(2) [illegible]

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، [illegible].

(2) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible].

أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ ونعم نزل أكرم من النزل، رحمة الله تعالى، والنعيم يقربه في دار الرحمة(1).

ويشاهد مجموعة مكررة في مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 25).

وفي المراد من التشابه بمعرفة النظر منها، إلى جانب الأزواج المطهرة: تلك الثمار المتشابهة التي يخيل إليهم أنهم رزقوها من قبل- أما ثمار الدنيا التي تشبهها بالاسم أو الشكل، وأما ثمار الجنة التي رزقوها من قبل- فربما كان في هذا التشابه الظاهري والتنوع الداخلي مزية الاستمتاع في كل مرة(2).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: 15).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ (النساء: 57) وغيرها من الآي.

وكل هذه الآيات تحض المؤمنة إلى الفوز بجنة الله تعالى مهما اختلفت صيغتها، وترسخ مسافة التي تدعو إلى تحقيق أعمال والسلوك لنيل السعادة التي تكون بجنة الله تعالى التي أعدها لعباده الصالحين.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٧٧٩.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب ١/٤٩.

مقاصد الدعوة

للدعوة الإسلامية مقاصد مهمة تكرر في ثنايا آيات الدعوة التي وردت في القرآن الكريم ومن تلك المقاصد ما يأتي:

أولاً: تحقيق التوحيد:

فمن المقاصد العظيمة التي تبدو في ثنايا الآيات التي تحدثت عن الدعوة تحقيق توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة.

والتوحيد هو أصل دعوة الرسل وهي دعوة الأنبياء كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥)(١).

وستكون بعض الآيات الواردة في الدعوة إلى تحقيق التوحيد حسب ترتيب السور.

منها قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

ويدعوه بمعنى: يعبدونه [illegible] [illegible] (٢).

وقوله تعالى: ﴿[illegible]

[illegible] ﴾ (الأعراف: ٥٩)

ويبين تعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين الظالمين عند الموت وألقوا أرواحهم إلى النار يقولون لهم: أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله؟ [illegible] ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ أي: ذهبوا عنا فلا نرجو نفعهم ولا خيرهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: أقروا واعترفوا على أنفسهم ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

[illegible] ﴿[illegible]﴾ (يوسف: ١٠٨).

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الرعد: ٣٦).

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

---

(١) انظر: [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

[illegible] ﴿ [illegible] ﴾ (الزمر: [illegible])

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (النحل: [illegible])

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (آل عمران: [illegible])

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (النحل: [illegible])

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (الأحزاب: [illegible])

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (يوسف: [illegible])

وفي كثير من الآيات أن الدعوة إلى تحقيق التوحيد فيها [illegible]:

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

ونلاحظ أن قاعدة التوحيد الأولى هي إفراد الله بالعبادة [illegible] الدعوة [illegible] من جميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام [illegible][1].

ثانيًا: الهداية والإصلاح

ومن مقاصد الدعوة في القرآن الكريم: الهداية والإصلاح [illegible].

ومن الآيات التي تذكر [illegible] هذا الباب قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ (البقرة: ١٢٩)

[illegible][2].

وقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

يقول تعالى: ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأولئك هم [illegible]

---

(١) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ([illegible]).

(٢) تفسير القرآن العظيم ([illegible]).

[illegible] وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الأنعام: [illegible])

[illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الأعراف: [illegible])

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (الأعراف: [illegible])

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٢-١٧٣)

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٤)

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ ([illegible])

ففي هذه الآيات وغيرها نلحظ أن آيات الدعوة المتصلة، فهذا رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الهداية والإصلاح الذي هو نتائج من الهداية، والخطة لذلك فيما يأتي:

- أن آيات الدعوة المتصلة على الدعوة الصريحة إلى الهداية.
- أهل الهداية الحقة هم الموحدون والداعون إلى توحيد الله تعالى.
- الدعوة إلى الهداية دعوة إلى امتثال أوامر الله تعالى، وترك زواجره، ونواهيه وهي ما يكون به الإصلاح.
- وجوب محبة أهل الهداية؛ لأن المسلمين هم الدعاة إلى الهداية [illegible].

ثالثاً: إقامة الحجة:

ومن المقاصد التي نلحظ في آيات الدعوة إقامة الحجة على المعرضين عن الهداية، فأرسل الله ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء: ١٦٥)

وكذلك فقد جاءت به الآيات والتي منها ما يأتي: قوله تعالى: ﴿[illegible]

[illegible] ﴿١٨٦﴾ [الأعراف: ١٨٥-١٨٦].

فأمرهم سبحانه [illegible] [illegible][1].

وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ [illegible]﴾ [يونس: ٦٦].

فأخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض [illegible][2].

وقوله تعالى: ﴿[illegible] لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

[illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

في هذه الدعوة إقامة الحجة على قومه.

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

وهذا [illegible][1] [illegible][2] [illegible].

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [القصص: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible][3].

---

[1] فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٧١).
[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢٨٤).

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٨٤٢.
[2] معالم التنزيل للبغوي (٨/ ١٠٠).
[3] جامع البيان للطبري (١٨/ ٢٨٥).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِنْهُ ۚ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (فاطر: ٤٠).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾﴾ (الأحقاف: ٤-٥) وغيرها كثير.

والناظر في ما مر معنا من الآيات يلحظ ما يأتي:

- أن آيات الدعوة اشتملت على إقامة الحجة البالغة في الدعوة إلى عبادة الله تعالى.
- تعدد الآيات الكريمة إلى الدعاة من ما يعبد من دون الله، وبيان عجزهم وضعفهم.
- الدعوة إلى توحيد الله من الأنبياء وغيرهم وإقامة الحجة على أقوامهم في عبادتهم غير الله.
- إفراد الله تعالى بالخلق والتعبير بدعوة المشركين لأنه لا يستجيب إلا الله لقيام الحجة عليهم لأنهم علموا ذلك وأقروا به.

قواعد الدعوة

بالبحث فيما مضى من آيات الدعوة، ومراجعة كلام المفسرين حولها، نلاحظ أن هناك قواعد مهمة للدعوة تتكرر في تلك الآيات، والتي منها ما يأتي:

أولاً: الإخلاص:

ذكر ابن القيم كلاماً جميلاً في منزلة الإخلاص، كما ذكر تعريف سهل: أن الإخلاص: أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله، ولا مجازياً سواه[1].

وإخلاص الدعوة لله تعالى أمر واجب؛ وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم الجماعة»[2].

ومن الآيات الواردة في الأمر بالإخلاص في سلوك سبيل الدعوة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ (الأنعام: ١٦٢).

أي: قاصدين بذلك وجهه وحده لا شريك له، والدعاء يشمل دعاء المسألة

---

[1] انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٢/٩١.

[2] أخرجه أحمد في المسند (٢١٥٩٠)، والترمذي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٦٦).

وبعد المسافة، أي: لا تزاحموا ولا تصحبنا من الأعراض في معاملتكم سوى مرضاة الله تعالى[1].

وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

أي: إذا كان الأمر كما ذكر من ذلك فادعوا الله وحده مخلصين له العبادة التي أمركم بها ولو كره الكافرون ذلك، فلا تلتفتوا إلى كراهتهم ودعوهم يموتوا بغيظهم ويهلكوا بحسرتهم[2].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١١-١٢].

يقول: قل يا محمد لمشركي قومك: إن الله أمرني أن أعبده مفردًا له الطاعة دون كل ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد، وأمرني ربي بذلك لأن أكون بفعل ذلك أول من أسلم منكم، فخضع له بالتوحيد، وأخلص له العبادة، وبرئ من كل ما دونه من الآلهة[3].

تبين مما سبق أن الداعي لابد أن يكون مخلصًا مهما كانت ظروفه ومهما كانت منزلته في الدعوة إلى سبيل الله رب العالمين.

ثانيًا: العلم:

والعلم مفتاح كل شيء، ولا بد أن يكون الداعية عالمًا بما يدعو إليه، ليدعو إلى الله على بصيرة[4].

ومن الأدلة الواردة عن أهمية العلم في مجال الدعوة قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

أي: على علم ويقين وبرهان شرعي وعقلي لا يأتيك في الحق لبسًا[5].

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين: الإنس والجن، آمرًا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله، أي: طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي[6].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٩٨.

[2] فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٤٥).

[3] جامع البيان للطبري (٢١/ ٢٧٠).

[4] انظر: منهج ابن القيم في الدعوة، أحمد الصفحة (٢٢١).

[5] أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٦٣).

[6] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤٩٧).

بقوله: لما جاءني الآيات الواضحات من عند ربي، وذلك أنها كتاب الله الذي أنزله(1) من الصحيح والآيات أو من الآيات فيها حجة الله الحق حججاً جلية(2)، نفسه على ذلك من أمره به على علم يقين وبصيرة(3).

والواجب على الداعية أن يتعلم العلوم الشرعية لأنه بذلك يحوز جميع صفات الكمال المطلوبة للداعية(4).

وهذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه جهد السعي فيها(5).

ثالثاً: الرفق:

الرفق من الأمور المهمة التي ينبغي أن يتحلى بها جميع الدعاة على اختلاف مراتبهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه(6).

وقال أيضاً: من يحرم الرفق يحرم الخير(1).

ومن الأدلة الواردة في بيان ذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: 125).

وهنا أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة [illegible] وذلك بالطريقة المشكورة [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] وإنما شرع الدعوة وأمر بها لهذا [illegible] الشهادة وليس على الداعية [illegible] الدعوة [illegible] إلى الحق [illegible] في الطريق(2).

وفي قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأحقاف: 21).

قوله: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ أمر [illegible] في

---

(1) جامع البيان للطبري (21/ 411).

(2) أنوار التنزيل للبيضاوي (4/ 71).

(3) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(7).

(4) انظر: [illegible] ابن القيم في الدعوة [illegible].

(5) التفسير القيم لابن القيم ص(...).

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق (4/ 2003) رقم (2593).

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق (4/ 2003) رقم (2592).

(2) فتح القدير للشوكاني (3/ 2).

قال: [illegible] يدخل في الأمر والإيمان [illegible] ذكر الإيمان على التعيين، لأجل [illegible] الأصنام والكواكب وقد جرت عادة القرآن [illegible] ثم يعطف عليه [illegible] (1) [illegible] إلى الأرض [illegible] من الله [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] إلى الله [illegible] القرآن [illegible] ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾ (2) [illegible] هؤلاء [illegible] من الجن منطلقين في خطاب قومهم [illegible] يدعونهم إلى الحق المبين.

رابعًا: مراعاة حال المدعوين:

يختلف حال المدعوين من شخص لآخر [illegible] آيات الله [illegible] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٠١)

[illegible] هؤلاء المدعوين المكلفين.

وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] في هذه القضايا إلى [illegible] حتى [illegible] على الله [illegible] (1) [illegible] في [illegible] (2)

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾ (الأنعام: ٧١)

[illegible] الأصنام [illegible] لا تنفع ولا تضر [illegible] (3) [illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

---

(1) [illegible]

(2) في ظلال القرآن [illegible]

(1) المصدر السابق [illegible]

(2) تيسير الكريم الرحمن [illegible]

(3) [illegible]

أي: اتبع يا محمد [illegible] إليك [illegible] ما تجد منهم [illegible] إليهم(١) [illegible] وإصلاح [illegible] حتى يرجع [illegible](٢).

وقد ظهرت هذه المراعاة لأحوال المدعوين جلية واضحة في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته، حيث [illegible] إلى الدين.

خامسًا: الصبر:

يعتبر الصبر من القواعد الأساسية للدعاة عامة، وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصفوا بذلك في كثير من مواطن القرآن، بل أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال تعالى له: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] من [illegible] الرسالة [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] على الفترة [illegible] من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا في الله من قومهم من المكاره [illegible] ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ يا محمد [illegible] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ [illegible] في الآخرة [illegible](١).

ويعد الصبر من أهم مقومات نجاح الداعية حيث يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤).

أي: لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك زواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوهم به، كان منهم أئمة يهتدون إلى الحق بأمر الله ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ثم لما بدلوا وحرفوا وأولوا سلبوا ذلك المقام وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه فلا عملًا صالحًا ولا اعتقادًا صحيحًا(٢). [illegible] في مكة [illegible] كما صبر [illegible] من بني إسرائيل [illegible]

---

(١) جامع البيان الطبري [illegible].

(٢) [illegible].

(١) جامع البيان الطبري [illegible].

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible].

أمة للمسلمين كما كان أولئك أمة لبني إسرائيل، وتقرير طريق الإمامة والقيادة يوم الصبر واليقين"(١).

وقد بين الله تعالى أن من حكم الناس معوله عليه ما يهلك من أجلهما للإمامة ميراثاً عليها كما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (المؤمنون: [illegible]).

والداعية لا يمكنه الوصول إلى مبتغاه إلا أن يمر بمنصب الابتلاء، وهذا يحتاج إلى وسيلة تقابل تلك العقبات ألا وهي: الصبر"(٢).

المحور الثاني

أشار القرآن الكريم إلى مجموعة من الأمور التي يدعى إليها الدعويون ومن تلك الأمور:

أولاً: الإيمان

وحقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبر به الرسول، المتضمن لانقياد الجوارح، ليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان بالغيب الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به لخبر الله وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم، فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر؛ لأنه تصديق مجرد لله ورسله. فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به أو أخبر به رسوله، سواء شاهده أو لم يشاهده، وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه"(١).

ومن الآيات التي تحدثت عن الدعوة إلى الإيمان بالله وما يتبع ذلك، هذه الآيات التي بين أيدينا.

قوله تعالى: ﴿الم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ١-٣).

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/ ٢٨٠٨.

(٢) انظر: منهج ابن القيم في الدعوة، أحمد الحمد ١/ ٢١٤.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٤٠.

أي: بما دعوا إليه من القرآن الكريم(1).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة ١٨٦).

أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة، ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره سبب لحصول العلم(2).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء ١٣٦).

يعني بذلك جل ثناؤه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني من قبل محمد من الأنبياء والرسل، وصدقوا بما جاءوهم به من عند الله ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يقول: صدقوا بالله وبمحمد رسوله أنه لله رسول، مرسل إليكم وإلى سائر الأمم قبلكم ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ يقول: وصدقوا بما جاءكم به محمد من الكتاب الذي نزله الله عليه، وذلك القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ يقول: وآمنوا بالكتاب الذي أنزل الله من قبل الكتاب الذي نزله على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو التوراة والإنجيل(3).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝﴾ (الأحزاب ٤٥-٤٦).

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝﴾ (الشورى ٥٢).

وقوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝﴾ (الشورى ١٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝﴾ (القصص ٨٧).

وغيرها من الآيات الكثير.

فهذه الآيات وغيرها تدل وترشدنا إلى ما يأتي:

- أن أساس الدعوة هو وجوب الإيمان بالله تعالى وما جاء عنه.
- أن دعوة الرسول دعوة إلى الإيمان

---

(1) محاسن التأويل للقاسمي ٢/ ٢٨٩.

(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٨٧.

(3) جامع البيان للطبري ٩/ ٣١٢.

الصحيح.

● أنّ آيات الدعوة والرهبة وغيرها لتصيب كثيرًا يدعونه المؤمنين إلى ما يجب أن يستمسكوا به ويتخلقوا به ليكونوا أكملين الإيمان.

ثالثًا: التقوى:

والتقوى الكاملة تتحقق بامتثال أمر الله ورسوله واجتناب نهيهما والتصديق لخبرهما وقد جمع الله بين التقوى والبر؛ لتكون التقوى اسمًا لتوقي جميع المعاصي، والبر اسمًا لفعل الطاعات، وإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر(١).

وقد تقدم من بعض ذلك كما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة ١٠٣)

يضاف إلى ذلك قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (يس ٦٩)

ومن أفضل ما قاله المفسرون في هذه الآية الكريمة وأمثالها من الآيات [illegible] الأعراف [illegible] من السماء [illegible]

صلى الله عليه وسلم قال: إنّه أنزل عليه هذا الكتاب ليعرف به الخالق من مخلوقات خلق السماوات والأرض ويستعظم الله الجبار الأعظم الذي إذا سخط على الطغاة المهلكة المستأصلة فهذا مما يجب علينا أن نتأمل في معاني القرآن ونعرف أوامره التي أمرنا بها لنعد وزواجره التي نهانا عنها ونتخلق من هذا الإخلاص [illegible] أنزل هذا القرآن على الرسول [illegible] القرآن العظيم.

والإنسان يجب عليه أن يتدبر هذا القرآن العظيم ويعظم أوامره وينظر زواجره ويعمل بما فيه من الحلال والحرام، فالحلال ما أحله الله في هذا القرآن وبينته السنة الكريمة والحرام ما حرمه الله لا حكم إلا لله، فكل الأحكام [illegible] هذا الكتاب ليعرفنا إلا أنْ نعمل بما فيه من الخير والآيات فنحل حلاله ونحرم حرامه ونعظم عظائمه ونعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه ونعتبر بما فيه من الأمثال ونتعظ بما فيه من المواعظ وضروب الأمثال [illegible] لا ينبغي للمسلم أن يهمله ويعرض عنه صفحًا(٢).

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٨.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي ١/١٨٣.

[illegible] بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ (الزمر: ١٠).

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ﴾ أي: لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم(1) [illegible] بطاعته واجتناب معصيته(2) [illegible]

[illegible] (3).

فالاهتمام بالدعوة إلى التقوى أمر جلي، [illegible] الأمر بالتقوى [illegible] القرآن الكريم.

ثالثاً: العبادة:

وهي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة(4).

ويظهر ذلك في الآيات الواردة في موضوع الدعوة ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤).

فهنا يبين جل وعلا أنه العظيم الأعظم، خالق السماوات والأرض وخالق الشمس والقمر والنجوم [illegible] [illegible] (5).

وقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ [illegible]﴾ (الأعراف: ٥٥)

[illegible]

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible].

(2) معالم التنزيل للبغوي [illegible].

(3) تيسير الكريم الرحمن [illegible].

(4) [illegible].

(5) [illegible].

ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق، وذلك أن ذلك إذا كان معناه كان داخلاً فيه الأمر بإجابتهم لقتال العدو والجهاد والإجابة إذا دعاكم إلى حكم القرآن، وفي الإجابة إلى كل ذلك حياة المجيب [illegible] وذلك له فيه حياة، وأما في الآخرة فحياة الأبد في الجنات والخلود فيها[1].

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [إبراهيم: [illegible]].

[illegible]

وهكذا [illegible] إبراهيم [illegible]

[illegible]

رابعاً: الأخلاق:

يلاحظ أن الآيات التي تحدثت عن الأخلاق، [illegible] الدعوة [illegible] والتحلي بها، ومن الآيات الواردة معنا في ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأحزاب: [illegible]].

[illegible]

[illegible] [الأحزاب: [illegible]].

[illegible][2] [illegible]

---

[1] جامع البيان للطبري [illegible].

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[illegible] الزواج [illegible] الزواج التي يحصل [illegible] الله [illegible] الواقع [illegible] السعيد[١].

أساليب الدعوة

للدعوة أساليب عدة للوصول إلى الهدف المطلوب من أقرب طريق وأقصره، وبالنظر في الآيات الواردة في الحديث عن الدعوة يمكن القول أن أساليب الدعوة كما يأتي:

أولاً: أساليب عقلية:

[illegible][٢] [illegible][٣] [illegible]

قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧]

أي: ما يعبد هؤلاء المشركون من دون الله إلا إناثاً، أي: أوثاناً، وأصناماً مسميات بأسماء الإناث كاللات والعزى ومناة [illegible]

---

[١] [illegible]

[٢] انظر: [illegible]

[٣] انظر: [illegible]

تملك ولا ترزق، ولا تمنع من حاجها في ولا من أنفسها نفعاً ولا ضراً، ولا تنصر أنفسها ممن يريدها بسوء، وليس لها أسماع ولا أبصار ولا أفئدة، فكيف يعبد من هذا وصفه ويترك الإخلاص لمن له الأسماء الحسنى والصفات العليا والحمد والكمال والمجد والجلال والعز والجمال والرحمة والبر والإحسان، والانفراد بالخلق والتدبير، والحكمة العظيمة في الأمر والتقدير؟

هل هذا إلا من أقبح القبيح الدال على نقص صاحبه، وبلوغه من الخسة والدناءة أدنى ما يتصوره متصور، أو يصفه واصف؟

ومع ذلك فعبادهم إنما عبدوها لظنهم أنها الأرباب الناقصة والمخلوقة ما حيلتها غير الشيطان الذي هو عدوهم الذي يريد إهلاكهم ويسعى في ذلك بكل ما يقدر عليه الذي هو في غاية البعد من الله لعنه الله وأبعده من رحمته كما يبعد الله من رحمته يسعى في إبعاد العباد من رحمة الله[1]، ثم أصدق من الله قيلاً، ومن أحسن من الله حديثاً في بيان حقيقة ما يدعيه المشركون.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۝﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥].

وبهذا الخلق على الأصنام التي العباد وعبر عنها بضمير العقلاء لأن الكفار يعتقدونها يصفات من هو من عقلاء الخلاء أنها معبودات وأنها تنفع وتقرب إلى الله زلفى، فهذه الأحجار أجرى عليها ضمائر العقلاء وعبر عنها بالعباد ويريد سالكهم مع أن الكفار النافين والأصنام المعبودات كلهم مخلوقات لله لا تملك أن تجلب لأنفسها نفعاً ولا أن تدفع عنها ضراً، فهم من قبيل أسماع الله لهم وخلقه العبيد، وقدرة على العبيد بهذا الاعتبار هم سواء[2].

ومن الآيات في هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝﴾ [النحل: ٢٠-٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۝

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٣٠٧.

[2] أضواء البيان، الشنقيطي (٣١١/٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]

وغيرها من الآيات ومن خلال هذه الآيات السابقة من الحقائق المقنعة ما يلي:

- أنه من لم تكن دعوته ودعاؤه إلى الله تعالى فلا [illegible]
- كل ما يدعى من دون الله سبحانه لا [illegible] إنما هو عبد الله تعالى.
- الدعوة الحق هي الدعوة إلى الله والدعوة التي جاءت به رسله [illegible] عن طريق رسله.
- من يدعى من دون الله تعالى لم يخلق شيئا [illegible] في خلق السموات والأرض، ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا [الفرقان: ٣].

وبهذه الدلائل العقلية المقنعة الدعوة إلى الله [illegible] إلى الله والأساليب العقلية التي [illegible] من الأنبياء في دعوتهم [illegible] الأقوام.

ثالثا: أساليب عاطفية:

ويظهر أن هذا الأسلوب قد يجمع بين أسلوبي الحكمة والموعظة، فأسلوب الحكمة لأصحاب العقول المرة والفطر السليمة، وأسلوب الموعظة أسلوب يصلح في الترغيب والترهيب والتخويف[1].

والأدلة في ذلك كثيرة كما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ٢٢٢]

فالله تعالى يقول لهم بخطاب الرقة [illegible] إلى الجنة [illegible] فلا بد من ترك دعوة الله [illegible].

وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

فلا بد من وسائط الدعوة إلى الخير والأمر

---

[1] انظر: [illegible]

[2] [illegible]

بالمعروف والنهي عن المنكر، لا بد من سلطة في الأرض تدعو إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي يقرر أنه لا بد من سلطة هو مدلول النص القرآني ذاته، فهناك دعوة إلى الخير، ولكن هناك كذلك أمر بالمعروف، وهناك نهي عن المنكر، وإذا أمكن أن يقوم بالدعوة غير ذي سلطان، فإن الأمر والنهي لا يقوم بهما إلا ذو سلطان، هذا هو تصور الإسلام للمسألة، إنه لا بد من سلطة آمرة ناهية، سلطة تقوم على الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر، سلطة تتجمع وحداتها وترتبط بحبل الله وحبل الأخوة في الله، سلطة تقوم على هاتين الركيزتين مجتمعتين لتحقيق منهج الله في حياة البشر، ولتحقيق هذا المنهج يقتضي دعوة إلى الخير يعرف منها الناس حقيقة هذا المنهج[1].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ④﴾ (الأحقاف: ٤)

أي: ومن على صفته أنه يعبد؟ ومن حق المعبود أن يكون خالقا لعابده لا ... بل هم ... محسنون[2].

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ㉑ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ㉒﴾ (الأحقاف: ٢١-٢٢)

ومن الأساليب العاطفية التي يرددها من الأنبياء في دعوتهم سأذكر أيضًا في نتائج الدعاة من الأنبياء وهذا الأسلوب يجمع بين العاطفة والعقل.

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب ١/٤٤٤.

[2] محاسن التأويل، القاسمي ٩/٢٢٧.

ثالثاً: أساليب حسية:

من الأساليب التي سلكتها الآيات في بيان طريق الدعوة ووجوب الاعتصام بها الأساليب الحسية لما من [illegible] النفس إلى عبادة الله تعالى [illegible] من المعجزات الحسية ما يؤكد صدق دعوته والأساليب الحسية التي وردت من الأنبياء في دعوتهم [illegible] الدعاة من الأنبياء.

ومن الأساليب الحسية الواردة في آيات الدعوة ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ [illegible]﴾ [آل عمران: ٢٣].

يقول تعالى منكراً على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتابيهم اللذين بأيديهم وهما التوراة والإنجيل [illegible] إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم تولوا وهم معرضون عنهما وهذا في غاية ما يكون من ذمهم [illegible] بالمخالفة والعناد[1].

فهذا أسلوب حسي بالكتاب الذي كان بأيديهم، ورسول الله محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي معه.

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [الأنعام: [illegible]].

[illegible] من سائر الشيء يشاهد الذين يعبدون من دون الله ويعبدونهم.

[illegible] جمهور أهل العلم إلى [illegible] الآية [illegible] أصل [illegible] في سد الذرائع وقطع الطرائق إلى [illegible][2] [illegible] المشركين بسبب آلهتهم [illegible] من دون الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦].

ففي هذه الآية الكريمة عاب الله على الكفار [illegible] بهم شيئاً من المظاهر [illegible] أمام أعينهم [illegible] وأنه [illegible] الله [illegible] الله [illegible] لا يدفع ولا يضر [illegible] من الله للكفار، فهم [illegible] في آيات الله [illegible][3].

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

---

[1] تفسير القرآن العظيم ابن كثير [illegible].

[2] [illegible].

[3] [illegible].

﴿[illegible]﴾ [الإسراء: [illegible]]

والسياق [illegible] على هذا التشهيد [illegible] [illegible] [illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [القصص: [illegible]]

ولكن هنالك [illegible] بين الخلائق حتى يرث الله الأرض ومن عليها ولا يبقى إلا الله وحده لذا وجب ألا يعبد إلا هو.

وفي قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأحقاف: ٤]

أي: ائتوني بكتاب من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فإنه ناطق بالتوحيد أو أثارة من علم أي بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة أو الأمر بها[1] [illegible]

---

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب ([illegible]).

[1] انظر: الكشاف للزمخشري ([illegible])، أنوار التنزيل للبيضاوي ([illegible]).

موقف المدعوين من الدعوة

تعتبر الدعوة أمرًا مرفوضًا إلى جميع الكافرين [illegible] الأصل [illegible] لأن الله تعالى قال: ﴿[illegible]﴾ [الذاريات: ٥٦]

وقد كلفت الرسل [illegible] إلى أقوامهم من يستجيب [illegible] ومنهم من يعرض عنهم، ومنهم من يجحدهم [illegible] [illegible].

أولًا: المستجيبون للدعوة

[illegible] من أكثر أنواع الرسل، وذلك كما قال تعالى [illegible] من قوم نوح [illegible] الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [هود: ٢٧]

فهنا اعترض الكافرون على نوح عليه السلام [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible].

الذي لا [illegible] أن أتباع الحق هم الأشراف [illegible] الأراذل [illegible] الحق من [illegible] الناس [illegible] الأشراف [illegible].

[illegible] في حديث ابن عباس [illegible] هرقل [illegible] أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ [illegible] بل ضعفاؤهم، فقال هرقل: كذلك هم أتباع الرسل.

ومن الآيات الواردة في بيان المستجيبين للدعوة

قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: ١٩٣]

[illegible] أنه [illegible] يدعو إلى الإسلام [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible].

---

[1] تفسير القرآن العظيم [illegible]

[2] الحديث [illegible] البخاري [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [1] أي: [illegible]

[illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

أي: لا [illegible]

[illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

قيل: [illegible]

وأصحابه [illegible] [2].

[illegible]

[illegible]: [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾

[illegible]

ومن لم يصب [illegible] الله تعالى [illegible] ﴿[illegible]﴾

أي: [illegible]

---

(١) [illegible]

(٢) في ظلال القرآن [illegible]

(٣) [illegible]

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

بالمعصوم المطلق(١)، يعني: ما كان من [illegible] الدعوة(٢). فطالما المدعو أن يعرض عن أمر الاستمساك [illegible] المحمول على التي [illegible] المرض [illegible] من الحق إلى الباطل.

ومن ذلك في حكاية الهوى في ميدانه في كل ما يأتي ويذر، لا يهتم بشيء، ولا يصغي إلى رسالة غير داعي هواه وحاجته إليها(٣).

ثالثًا: الصادين عن الدعوة:

وأكثر الصادين عن الدعوة هم الكبراء والمتكبرون، ففي هذا الكبر يقول الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: [illegible]].

ويقول تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

ويقول تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible].

ويقول تعالى: ﴿[illegible]

﴾ [illegible].

وقد كان أكابر القوم -الملأ- أكبر المعاندين لنشر الدعوة بين الناس، يحرصون كل الحرص على إيجاد الهوة بين الأنبياء وسائر الناس، وهذا الأسلوب من أخطر الأساليب في الصد عن دين الله الذي مارسه أعداء الدعوة منذ القدم(١).

ومن الآيات الواردة في شأن الدعوة والتي تبين حال هؤلاء قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: [illegible]].

[illegible] وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [القصص: [illegible]].

[illegible] عن دعوة الله، [illegible] قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [غافر: [illegible]].

[illegible] أمر الله [illegible] ﴿[illegible]

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]

(١) [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ ([illegible]).

بل ربما وصل الأمر بالصد عن الدعوة [illegible] كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ ([illegible]).

ومنها البخل [illegible] البخل [illegible] كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝﴾ (النساء: ٣٦-٣٧).

[illegible] الله تعالى [illegible] عن دعوة الله تعالى.

ومن شأن الكفار أن يطلقوا كل سبيل للصد عن سبيل الله تعالى، سواء كان [illegible] من أنواع [illegible] في الدعوة إلى الله تعالى [illegible] الناس[1].

---

[1] المصدر السابق ([illegible]).

نماذج من القصة

أولاً: الأنبياء والرسل:

تعتبر قصص القرآن الكريم من القضايا التي تكررت كثيرًا خاصة فيما جرى بين الأنبياء وبين أقوامهم.

والقصص في القرآن ثلاثة أنواع: النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام[1].

ويحسن ألا يطيل الحديث عن هذه المقاطع فسأذكر ذلك في أمرين:

1. دعوة الرسل عمومًا.

دعوة الرسل أجمع هي: الدعوة إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة دون ما سواه.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: 59).

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: 65).

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ (الأعراف: 73).

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: 85).

وأمر الله تعالى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم أن يقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 64).

والقاعدة العامة في كل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: 25).

---

[1] مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ص 306.

نتعلم من هذا أن دعوة الرسل جميعًا هي: الدعوة إلى توحيد الله تعالى وحده لا شريك له، ولهذا جاء جواب من النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة حين قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، فقال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له بصرى»[1].

ودعوة الرسل في القرآن الكريم لم تذكر فيها من التفصيلات [illegible] ما ذكر منهم من الأحكام بالدعوة إلى توحيد الله تعالى والتذكير [illegible] التي تعبد من دون الله[2].

وهذا هو الأصل؛ لأن الداعي لا ينتقل إلى الفروع إلا بعد التأكيد على سلامة العقيدة لتدخل الإيمان في قلوبهم[3].

٢- نماذج من دعوة الرسل:

وسنذكر من الرسل: نوحًا وإبراهيم وموسى ومحمدًا عليهم الصلاة والسلام وبالله نستعين.

● دعوة نوح عليه السلام.

وأهم الآيات التي تتحدث عن دعوته عليه الصلاة والسلام ما يلي:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]

مع طول مدة الدعوة إلا أنهم لم ينجع فيهم البلاغ والإنذار[1] بسبب كفر قومه.

قال الزمخشري: فإن قلت: هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة؟

قلت: ما أورده الله أحكم لأنه لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره، وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك، وكأنه قيل: تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد، إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظًا، وأملأ بالفائدة، وفيه نكتة أخرى، وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتًا له، فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدة صبره[2].

وكذلك فالمدة التي قضاها نوح عليه السلام [illegible] طويلة، ومع ذلك كان له أسلوب للدعوة

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده [illegible]

[2] [illegible]

[3] انظر: أساليب الدعوة، عبدالكريم زيدان [illegible]

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible]

[2] الكشاف، الزمخشري [illegible]

[illegible]

وفي قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ۝ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ [يونس: ٧١-٧٣]

[illegible]

وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]

﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤١-٤٣]

حرص نوح عليه السلام على دعوة ابنه [illegible]

[illegible]

[illegible]

الطرق، بنور القمر وسراج الشمس وغيرها، وفي هاتين الفقرتين أوضح صناعة السفينة والأمر بصنع الفلك فيها وحملهم في الفلك.

وقال تعالى في سورة نوح: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ⑬ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ⑭ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ⑮ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ⑯ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ⑰ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ⑱ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ⑲ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ⑳﴾ (نوح: ١٣-٢٠).

يبدأ هذه الآيات المبينة من سياق دعوة نوح عليه السلام، فهو يدعو قومه فلا يجد إلا فرارًا، لا يرجون لله وقارًا[1]، ويخرجهم على ربهم مخالفة وأساليب مغايرة، فلم ينتفع ذلك فيهم[2].

وإني الله نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، بذلك في سبيل الدعوة إلى الله[3]، وهذه السورة كلها تقص قصة نوح عليه السلام مع قومه، وتصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض، وتمثل دورًا من دورات العلاج الدائم الثابت للبشرية الضالة، وصورة من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل، ثم من بعد ذلك صورة من صور الجهد المضني، بالجهد المرهق، بالصبر الجميل، والإصرار الكريم من جانب الرسل صلوات الله عليهم لهداية هذه البشرية الضالة العنيدة العصية الجاهلة وهي حصيلة مرة.

وكان الرسالة في الرسالة ومقدمة البشرية الجريرة تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي انتهت إليه أمانة دعوة الله في الأرض كلها في آخر الزمان، والمطلع بأكبر عبء تكلف به رسول، ويرى فيها صورة الكفاح النبيل الطويل لأخ له من قبل، لإقرار حقيقة الإيمان في الأرض، ويطلع منها على هذه البشرية أمام دعوة الحق، وشأن القيادة الضالة، وتأثيرها على القيادة الراشدة.

ثم إرادة الله في إرسال الرسل تجري بعد هذا العناد والضلال منذ فجر البشرية على يدي نوح عليه السلام، وأشرفي على الجماعة المسلمة في مكة، وعلى الأمة المسلمة بعامة وهي الوارثة لدعوة الله في الأرض، والمنهج الإلهي المنبثق من هذه الدعوة القائمة عليه في وسط الجاهلية المشركة، وهو في وسط كل جاهلية، فترى فيها صورة الكفاح والإصرار والثبات هذا المستوى الطويل من أبي البشرية الثاني، كما ترى فيها عناية الله بالفئة المؤمنة، والدمار على الضالة العائل.

---

[1] محاسن التأويل، القاسمي ٩/ ٣٣٢.

[2] فتح القدير للشوكاني ٥/ ٢٩٩.

[3] المرجع السابق ٥/ ٣٠٧.

في ذلك الحين(١).

فهل يتعظ بذلك الدعاة الذين سرعان ما يدب اليأس إلى نفوسهم [illegible] [illegible] إصدار الأحكام القاطعة عليهم [illegible] أمام أول صدمة يتعرضون لها(٢). [illegible] دعوة نوح [illegible] الدعاة إلى الله في الأمة [illegible] الدعوة [illegible] في عدم الاستعجال.

● دعوة إبراهيم عليه السلام:

[illegible] الآيات التي تتحدث عن دعوته عليه الصلاة والسلام ما يأتي:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝﴾ (البقرة: ١٣٠-١٣٢).

فدعوته عليه السلام أساسها التوحيد [illegible] الإخلاص لله عز وجل.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝﴾ (النحل: ١٢٣).

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في

الخلفاء من يرغب عن الحق الواضح الذي [illegible] ملة إبراهيم [illegible] جاء به محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] أهل الكتاب والمشركين [illegible] [illegible] إلا من سفه نفسه [illegible] على نفسه [illegible](٣).

[illegible] الله تعالى ذكره [illegible] [illegible] إبراهيم [illegible] [illegible] ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] إبراهيم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] الله تعالى [illegible] [illegible] الإمام [illegible](٤) [illegible] [illegible] إليك يا خاتم الرسل [illegible] ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين(٥) [illegible] الدعوة [illegible] دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى [illegible] التوحيد [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم.

[illegible] القرآن الكريم [illegible] الأساليب الدعوية التي استعملها إبراهيم عليه السلام: أسلوب الجدال والمناظرة.

---

(١) في ظلال القرآن سيد قطب [illegible].

(٢) منهج الأنبياء في الدعوة محمد سرور ص [illegible].

(٣) [illegible].

(٤) جامع البيان الطبري [illegible].

(٥) تفسير القرآن العظيم ابن كثير [illegible].

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

أي: إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت، فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلهًا كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب؟ فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت، أي: أخرس، فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة(١)، وكانت هذه المناظرة دعوة من إبراهيم عليه السلام إلى توحيد الله تعالى، والكفر بكل ما يعبد من دون الله، وبيان بطلانه بالحجة والمجادلة [illegible] ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۝ [illegible] قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ [illegible] ۝ [illegible] ۝ [illegible] ۝ [illegible] ﴾ (الأنعام: ٧٤-٨٣)(٢).

يقول تعالى: واذكر قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حيث دعا قومه، [illegible] لدعوته إلى الله [illegible] من الشرك(٣).

[illegible] المشركين - [illegible] - في هذه السورة على أحسن الوجوه؛ وذلك لأنه حكى عن المشركين [illegible] الأصنام [illegible] الله تعالى، [illegible] حكاية عن إبراهيم(٤).

ولقد كانت منه في [illegible] التي آتيها الله إبراهيم ليدحض بها حججهم التي جاءوا بها [illegible]، وقد كشف لهم عن

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ٥٢٤).

(٢) [illegible] مثل هذه الآيات في سورة الصافات برقم (٨٥-٩٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص(٢٦٠).

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي [illegible].

ومن ما جاء عليه من تصويرهم أن هذه الآلهة تملك أن [illegible] ما كانوا يعبدون من دون الله ولا [illegible] صاحب القوة والسلطان في الكون [illegible] كانوا يشركون به هذه الآلهة [illegible] إبراهيم بأنه من كان يخشى الله لا يخاف من غيره، أما من يشرك بالله فهو أشد بالمخافة [illegible] في [illegible] الله [illegible] صحبه [illegible] إبراهيم على [illegible](١) [illegible] في سرعة بكلمات معدودة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۝ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۝ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ۝ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۝ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۝ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ۝ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ۝ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ۝ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٥١-٦٧).

تبين هذه الآيات لك من الأساليب الدعوية التي استعملها إبراهيم عليه السلام: المواجهة المباشرة والتغيير باليد.

رابعاً: أسلوب دعوي عملي [illegible] التفكير عقلاً(٢).

فيخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه [illegible] أي من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه(٣)، فجمع لهم بين الدليل العقلي، والدليل الحسي، أما الدليل العقلي فإنه قد علم كل أحد حتى هؤلاء الذين جادلهم إبراهيم أن الله وحده الخالق لجميع المخلوقات، من بني آدم، والملائكة، والجن، والبهائم، والسماوات

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible].

(٢) انظر: [illegible].

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [illegible].

[illegible]

[illegible] من الرسل على ذلك، فهذا الله إبراهيم ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible] الرسل [illegible] الرحمن»(١).

[illegible]

لأن [illegible] العظيم(٢) [illegible] من خليل الرحمن [illegible]

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝٤١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝٤٢ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝٤٣ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝٤٤ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۝٤٦ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝٤٧ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۝٤٨ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝٤٩ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠﴾ [مريم: ٤١-٥٠].

[illegible] لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا»(٣).

بهذا اللطف في الخطاب [illegible] إبراهيم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٤٩٩.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/٢٣٠٧).

(٣) [illegible] (٩٨/٧).

إلى أبيه بمقول أن يهديه إلى الخير الذي منحه الله إياه وعلمه إياه، ومن يتعجب إلى هدايته: ﴿[illegible]﴾ حتى نسيئة الأولى التي يبدأ بها إبراهيم دعوة أبيه، ثم يتبعها بأنه لا يقول هذا من نفسه، إنما هو العلم الذي جاءه من الله فهداه، [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] التي هدى إليها(١).

وأيضًا [illegible] في قصص الأنبياء الذين قصّهم على الرسول في الترغيب والترهيب بسبب ما [illegible] من عبادة الله وحده والإنابة إليه والقيام بطاعته، وبطرق العباد، ودعوة الخلق إلى الله، والصبر على ذلك، والعظات [illegible] [illegible] الله في هذه السورة [illegible] الأنبياء [illegible] الآن [illegible] إظهار الله [illegible] [illegible] على الإيمان بهم ومحبتهم والاقتداء بهم(٢).

إذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يذكر في الكتاب الذي هو القرآن العظيم المنزل إليه من الله (إبراهيم) عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، ويؤثر على الناس في القرآن أنه مع قومه، ودعوته إليهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، وأبرز هذا المعنى الشاكرين في هذه الآيات في آيات أخر من كتاب الله عز وجل(٣). فاستخدم عليه السلام الأسلوب العاطفي الرقيق الذي يدل على عظيم حلم وكريم خلق لكن أبا إبراهيم رفض دعوته.

● **دعوة موسى عليه الصلاة والسلام:**

وأبرز الآيات التي تتحدث عن دعوته عليه الصلاة والسلام ما يأتي:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝﴾ [إبراهيم: ٥].

أي: أرسلناه ليخرج قومك من الظلمات إلى النور، أي: ادعهم إلى الخير ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ [illegible]

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٣١١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٤٩٤.

(٣) أضواء البيان، الشنقيطي (٣/ ٤٣٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/ ١١٠).

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ⑫ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ⑬ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ⑭ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ⑮ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ⑯ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ⑰ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ⑱ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ⑲ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ⑳ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ㉑ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ㉒ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ㉓ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ㉔﴾ [طه: ١٢-٢٤].

يقول تعالى ذكره: إنني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا أنا فلا تعبد غيري، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي(١).

ولما أوحى الله إلى موسى، وأراه الآيات الباهرات، أرسله إلى فرعون ملك مصر، فقال: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ أي: تمرد وزاد على الحد في الكفر والفساد والعلو في الأرض، والقهر للضعفاء، حتى إنه ادعى الربوبية والألوهية -قبحه الله- أي: وطغيانه سبب لهلاكه، ولكن من رحمة الله وحكمته وعدله أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد إقامة الحجة بالرسل، فحينئذ علم موسى عليه السلام أنه تحمل حملًا عظيمًا، حيث أرسل إلى هذا الجبار العنيد الذي ليس له منازع في مصر من الخلق، وموسى عليه السلام وحده وقد جرى منه ما جرى من القتل، فامتثل أمر ربه وتلقاه بالانشراح والقبول، وسأله المعونة وتيسير الأسباب التي هي من تمام الدعوة فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ أي: وسعه وافسحه لأتحمل الأذى القولي والفعلي، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإن الصدر إذا ضاق لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم(٢).

والخطاب المأمور به خطاب خاص، [illegible] موسى [illegible] وإظهار المعجزات [illegible] على طريقة [illegible] بالعصا واليد [illegible] أمره بالذهاب إلى فرعون [illegible](٣).

ويؤخذ من هذه الآية الكريمة: أن الدعوة إلى الله يجب أن تكون بالرفق واللين، لا بالقسوة والشدة والعنف(٤).

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾

---

(١) جامع البيان للطبري [illegible].

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي [illegible].

(٣) [illegible].

(٤) [illegible].

(٥) [illegible].

بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ۝ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ۝ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ۝ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۝ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ۝ [الزخرف: ٤٦ - ٥٦].

[illegible]

وفي سورة الشعراء [illegible] موسى [illegible] فرعون [illegible]

[illegible]

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ١٠٤.

عن النبي [illegible] في النبي لموسى: ﴿[illegible]﴾ [الشعراء: ٢١].

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [الشعراء: ٢١٩].

يريد أن يتهمهم على مسألة الرسالة في [illegible] القلوب من [illegible] بهذا [illegible]؛ لا أنه يريد الإقرار بها والاعتراف [illegible] السلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بهذا [illegible] لا [illegible] في [illegible] [illegible] في طريقه [illegible] الحق [illegible] [illegible][١].

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وفي قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible] على [illegible] إلى [illegible] [illegible][٢] [illegible]

من قبله.

وقال تعالى عن قصة عبادتهم العجل:

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ۝ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ۝ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٤٨ - ١٥٤].

---

(١) جامع البيان للطبري ([illegible]).

(٢) [illegible]

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ([illegible]).

[illegible] تعالى من خلال [illegible] من بني إسرائيل، في [illegible] الذي اتخذه لهم السامري من حلي القبط التي كانوا استعاروها منهم، فشكل لهم منه عجلاً جسداً لا روح فيه [illegible] الريح فيه حتى صار يسمع له خوار -كصوت البقر- [illegible]

وذكر [illegible] أن موسى عليه السلام رجع إلى قومه [illegible] في تلك الرجوع غضبان أسفاً على قومه من أجل عبادتهم العجل[2].

[illegible]

وقال تعالى: [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: ١٥٠-١٥١][1].

[illegible] موسى عليه السلام [illegible] هارون [illegible]

وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير [illegible]

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] التحرير والتنوير لابن عاشور [illegible]

[illegible]

● معجزة محمد صلى الله عليه وسلم.

[illegible]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) انظر: منهج النبي في الدعوة، محمد أمين ص [illegible]

كانوا صابرين في سبيل دعوة ربهم محتسبين بكل شيء من أجلها، سالكين كل سبيل بالله لوجوههم من عقاب الله تعالى.

(٧) المصلحون و أتباع الرسل:

أيضا دعا الأولياء إلى الله تعالى [illegible] بعض الناس، ومن هؤلاء المؤمنين من سار على درب رسله، وعلم أنه لا بد أن يدعو إلى الشيء الذي يدعو به الرسل.

ومن هؤلاء الصالح:

ما ذكره الله عز وجل من قصة صاحب الجنتين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ (الكهف: ٣٧-٤٢).

فقال له صاحبه [illegible] بالكفر، [illegible] له على [illegible] ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أي [illegible] كلام الكبير على الكفر، [illegible] كلام التكبير على الكفر، في [illegible] الكفر

عليه، ﴿لَٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ أي: [illegible] لذلك لو [illegible] ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] الرجال(١).

فذكره صاحبه المؤمن حاله الأولى التي أوجده الله فيها في الدنيا ﴿خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والإمداد، وواصل عليك النعم ونقلك من طور إلى طور، حتى سواك رجلا كامل الأعضاء والجوارح المحسوسة والمعقولة، وبذلك يسر لك الأسباب، وهيأ لك ما هيأ من نعم الدنيا، فلم تحصل لك الدنيا بحولك وقوتك، بل بفضل الله تعالى عليك.

فكيف يليق بك أن تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة ثم سواك رجلا، وتجهل نعمته وتزعم أنه لا يبعثك؟

ثم اعترف أن نعمة الله عليه بالإيمان والإسلام، ولو مع قلة ماله وولده، هي النعمة الحقيقية، وأن ما عداها معرض للزوال والعقوبة عليه والنكال فقال: ﴿[illegible]﴾ [illegible] ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ قال: ما عند الله خير وأبقى، وما يرجى من خيره وإحسانه أفضل من جميع الدنيا التي

---

(١) مختصر [illegible] ٢/ ٤١٩.

ويتقي فيه المتقون(١).

وهكذا تنقلنا هذه الإشارة في القصص الموجزة إلى المعاني السامية والعظيمة في الصبر والثبات، ولا التخلي عن الحق، ولا تجادل فيه الأصحاب، هكذا يصنع الداعية المؤمن أمام أعداء الله، وكذا صنع الله مع من أعرض عن الله، وأن فضل الله عظيم وهو يلحق في فضل الله، وكذلك الله جازاه، وأنها ولية الله لعباده الناصحين المخلصين(٢).

فالدعاة إلى الله بلا اعتراف بصدقه عليه وأمره الله من دعوة الخلق على هدى الله، ولا يرجع إلى الله ويسلم الأمر ويعرف حقه في الآخرة.

ومن نماذج الدعاة الناصحين الذين ذكرهم القرآن: صاحب ياسين.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ۝ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ۝ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۝﴾ (يس: ٢٠-٢٧).

جاء من أقصى مدينة القوم الذين أرسلت إليهم الرسل رجل يسعى إليهم، ولعله أن أهل المدينة هَمّوا بالرسل وأجمعوا على قتلهم، فلما بلغ ذلك هذا الرجل، وكان حرصه على نصح قومه حين سمع ما همّوا به، قال لهم: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ فأمرهم باتباعهم ونصحهم على ذلك، وشهد لهم بالرسالة، ثم ذكر تأييدًا لما شهد ودعا إليه(٣).

فجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق، وفي كفهم عن البغي، وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أن يصبوه على المرسلين، وإن الذي يدعو مثل هذه الدعوة وهو لا يطلب أجرًا، ولا يبغي مغنمًا، إنه لصادق، وإلا فما الذي يحمله على هذا العناء إن لم يكن يلبي تكليفًا من الله؟ ما الذي يدفعه إلى حمل هم الدعوة؟ ومجابهة الناس بغير ما ألفوا من العقيدة؟ والتعرض لأذاهم وشرهم واستهزائهم وتنكيلهم، وهو لا يجني من ذلك كسبًا، ولا يطلب منهم أجرًا؟

وهداهم والصدق في طبيعة دعوتهم لهم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٢٦٦.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٤/١٩٢١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٦٩٣.

يدعونه إلى إله واحد، ويدعونه إلى نوع واضح، ويدعونه إلى عقيدة لا انحراف فيها ولا غموض، فهم يدعونه إلى نوع سليم وإلى طريق مستقيم، [illegible]

[illegible]

ومن الدعاة [illegible] مؤمن آل فرعون.

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]

من المسلم عن الوقوع فيما يخالف عقيدتهم [illegible].

ثم ذكر المفسرين قال: ﴿[illegible]﴾ وليس له دعوة ترغيب له الألوهية في الدنيا ولا في الآخرة، ومرجعنا ومصيرنا إلى الله، والمسرفين [illegible] [illegible] كل أحد بما [illegible] ﴿[illegible]﴾ أي: المستكبرين [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible] حكمكم [illegible][1].

وكذلك [illegible] إلا دعوة [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على أن [illegible] ﴿[illegible]﴾ [illegible].

[illegible] [illegible] من طريق [illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] ولا ريبة أن [illegible] [illegible] [illegible] الأمر [illegible] [illegible] في الدنيا ولا في [illegible].

الله [illegible] المسرفين [illegible] في الدنيا [illegible] أهل النار[2].

[illegible] الرجل من قوم فرعون [illegible] موسى عليه السلام، [illegible] [illegible] في دعوة موسى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] دعوة الله [illegible] من أفضل الناس.

[illegible] [illegible].

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [غافر: ٣٨-٤٤].

[illegible] الله تعالى [illegible] أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الخلق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ﴿[illegible]﴾ أي: [illegible] بعضهم بعضاً بالتلقّ [illegible].

---

[1] فتح القدير، الشوكاني (٤/٤٩٤).

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/٣٠٨٢).

﴿[illegible]﴾ [illegible] ذلك لهم ﴿[illegible]﴾ [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] (١).

وقوله تعالى [illegible] من قبل هؤلاء [illegible] من الحق [illegible] رسول الله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى [illegible] من [illegible] في الآخرة [illegible] من عذاب [illegible] ومن لا يجب [illegible] رسول الله محمدا صلى الله عليه وسلم [illegible] ربه [illegible] الله [illegible] على [illegible] (٢).

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

[الأحقاف: [illegible]]

ومطلع السورة [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] القرآن [illegible]

---

(١) [illegible]، السعدي، ص[illegible].

(٢) جامع البيان، الطبري [illegible].

(٣) [illegible]

(٤) [illegible]

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب [illegible]

[illegible] فإن ذلك أنه عظيم، [illegible] الإنسان [illegible] الشبهات [illegible][1].

وتهدف السورة إلى إثبات كرامة النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] من القرآن [illegible] [illegible][2].

وفي هذه السورة إظهار لحقيقة الدعوة فقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم بأنه إنما يدعو إلى ربه ويقوم بما يجب له عليه وهو لا يملك شيئاً من [illegible] إلا أن يبلغهم ما أرسله به إليهم [illegible] من يعصي الله سبحانه ويعصي رسوله صلى الله عليه وسلم [illegible].

ثم أمره أن يخبرهم بأنه لا يدري متى يكون ما يوعدون به من [illegible] الله من علم الغيب الذي اختص به الله سبحانه[3].

ثالثا: الغرض من هذا هو بيان الأمر الذي جعل الجن [illegible] الدعوة [illegible] [illegible] سراط الله المستقيم.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن: السعدي ص ٨٩٠.
[2] التحرير والتنوير: ابن عاشور ٢٩/٢١٧.
[3] التفسير الموضوعي [illegible] القرآن الكريم [illegible] ١٠/٢٢٩.

ثمرات الدعوة

تعتبر الدعوة عملاً [illegible] من الأعمال التي أكدت عليها الشريعة ولا بد لكل عمل من جهد يبذل فيه، ولكل جهد ثمراته، وللدعوة ثمرات [illegible] من خلال الآيات من أهمها ما يلي:

١. الإيمان بالله تعالى والوصول إلى مرضاته وعفوه ومغفرته.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ (البقرة [illegible])

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ ([illegible])

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ ([illegible])

٢. استجابة الله تعالى للمخلصين في دعوتهم ومحبته لهم.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة ١٨٦)

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ ([illegible])

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ ([illegible])

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ ([illegible])

٣. حصول النصر وإفلاح الأمة ونجاتها من الهلاك.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران ١٠٤)

وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران ١١٠)

٤. التمييز بين الحق والباطل.

وذلك كما قال تعالى: ﴿[illegible]

[illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

٩. حفظ مكانة العلماء وبيان عظيم فضلهم وسلامة دعوتهم.

ومثال ذلك ما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾

[illegible]

٦. القيام بالدعوة إلى الله من أسباب الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة

كما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]